سعد جمعة
رئيس الوزارة الأردنية السابق

المؤامرة ومعركة المصير

دار الكاتب العربي

الطبعة الاولى في ٢٥ تموز ١٩٦٨
الطبعة الثانية في ٢٥ ايلول ١٩٦٨

المؤامرة ومعركة المصير

على عتبـــة

قبـــر مجهـــول ..

لفـــدائي مجهول

المقدمة

هذه خواطر حزينة ، حبستها في صدري زمنا ، وأردت البوح بها قبل اليوم •• غير ان المشاغل السياسية التي خضت غمارها ، وغصت في لجتها ، برغمي ، حالت دون ما أريد ، حتى شاء الله لي أن أشهد كارثة الخامس من حزيران ، بعيني وأذني وكياني كله ، وأن أعاني ساعات الفجيعة •• ساعات الهزيمة ، لحظة وراء لحظة ، ودقيقة بعد دقيقة ، وأن أصلى بنارها ، دون أن أكون من جناتها ، فطارت نفسي شعاعا ، وهدت المصيبة أعماقي ، ومزقت أعصابي ، وعشت ليالي طوالا غربة روحية سحيقة ، أبكي الرجولة الذاوية ، وأندب الاهل والاحبة •• حتى أحسست لتلك الخواطر الحبيسة ، مثل رسيس الحمى ، في عقلي ووجداني ، فقلت : أنفثها في هذه الصحائف الحسرى ، أستصفي منها العبرة ، من خلال خبرة حياتي العملية •

وأنا امرؤ لا أملك الا قلبا يرتعد •• وقلما يرعف بالفجيعة ، وقد قضيت من الدنيا أوطاري ، وقضيت في نفسي على انفعال الخوف والرغبة • فأنا حين أقول ، لا أقول الا الحق الذي أومن به ، لا أبالي على أي جنب كان مصرعي ••• واعتقادي ان الجهاد بالكلمة السديدة كالجهاد بالبندقية ، بل أبعد مدى وأشد نفاذا ••• ذلك ان العالم العربي في العقدين الماضيين ، قد تمطى وتمخض طويلا ••• ثم أجهض ، مع الاسف ، سقطا هزيلا !!

وقد سقت حـــديثي ، مساق الذكريات ، مساق الهـــواجس والخواطر ••• وأرسلت نفسي على سجيتهـــا • فأنا لم أقصد أن أخرج للناس عملا أكاديميا مبنيا على النصــوص والوثائق ، بل جعلت عدتــي تجربتي الشخصية ، وانفعالاتي الخاصة ، لا أقف موقفالتحرجوالتحفظ، بل أقول ما أقول غير مزهو ولا محتشم ••• مماذا أحتشم ؟!

وقد نقلت من مفكرتي ، قبسات من أقوال سجلتها ، دون أن أعزوها الى مراجعها ، أو أردها الى مصادرها ، وعذري انني أسوق اهتماماتي ، بانفعال عفوي دون تلكؤ ، غير معني الا بالدلالة ، وأملي أن ينظر أهلي في هذه الصحائف ، بوعي وتعمق ، ليدركوا أبعاد القضيـــة ، وأشواط المأساة ••• عسى أن تصبح النكبة نارا مطهرة للعقـــول والضمائر •• وعسى أن تتسع لنا رحمة ربنا ، فيؤلف بين القلوب المتنافرة ، ويجمـع الشمل الممزق ، لتعمل أمتي يدا واحدة ، بصبر ودأب وايثار ، فتصهـر المعارك الجانبية ، والمبادىء المتعارضة والعقائد المتخالفة المتباعدة فـــي نسق موحد مركز ، للمعركة القادمة ••• وتضع كل امكاناتها وطاقاتهـا في مصيرها المشترك •

أما اذا بقينا نحوم في الدوامة المغلقة ، فنحن جـديرون بما أصابنا وما ينتظرنا ، وعندئذ لا يبقى لنا ، الا أن نصرخ بقولة الشاعر :

أخي من نحن ؟ لا وطن ! ولا أهل ولا جار
اذا نمنا •• اذا قمنا ، ردانا الخزي والعار
لقد خمت بنا الارض ، كما خمت بمــوتانا
فهـات الرفش واتبعني ، لنحفر خندقا آخر
نواري فيه أحيـانا

— ١ —

سأحاول في الصحائف التالية ، أن أجيب على السؤال الذي تصعق أصداؤه ضمير كل عربي :

« كيف •• ولماذا وجدت اسرائيل ؟! » •

ان خير ما أستهل به هذا الفصل ، خلاصة مقال كتبه أميركي يهودي ، هو الاستاذ « بنجامين فريدمان « Benjamin Freedman في صحيفة « Common Sense »الاميركية ، بتاريخ ١٥ — ٤ — ١٩٦٤ ، تحت عنوان : « الصهيونية ترمي الى اشعال حرب عالمية ثالثة » • والاستاذ المشار اليه ، هو رئيس جمعية المواطن للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط :

قال الاستاذ فريدمان :

« لقد سجل الرئيس « كندي » في خطابه الانتخابي الذي ألقاه في مدينة نيويورك بتاريخ ١٥ — ٨ — ١٩٦٠ ، السياسة التي يتبناها الحزب الديمقراطي في الشرق الاوسط ، بقوله : « لقد ذكرت في حفل عام ، قبل أسابيع ثلاثة ، ان اسرائيل قد وجدت لتبقى ، وهذا التزام لا يقبل النقاش والنقض ! ، وان الصداقة بين هذه البلاد واسرائيل ، ستنمو وتزدهر على الدوام • واذا كان الرئيس « ترومان » هو أول من اعترف بخلق اسرائيل ، ومنحها الدعم ، والمضمون الواقعي في المجال الدولي ، فأنا أزيد على ذلك ، بأنني أومن ، وألتزم بصورة قاطعة ، باستمرار هذه

السياسة ، وبأن واجب البيت الابيض أن يرعاها ويؤكدها في كل مجال » ..

« ومع اعتقادنا بأن التدخل الفعلي لتوكيد وجهة النظر هذه ، لن يكون سهلا ، فاننا يجب أن نجعل هدفنا واضحا لا التواء فيه ، وهو اننا سنعمل دائما ، بسرعة وتصميم ، على حماية اسرائيل بكل ما في يدنا من قوة ، ولو أدى بنا ذلك الى المغامرة بحرب عالمية ثالثة » .

ولم يكذب الرئيس « كندي » ، اذ كانت سياسة حكومته ، فيما يتعلق باسرائيل ، منذ تولى الحكم في ٧ – ١١ – ١٩٦٠ حتى اغتيل ، مؤكدة ومؤيدة لالتزامه السالف الذكر ، ولم تتوان الصهيونية عن اهتبال كل بادرة واغتنام كل فرصة لتثبيت دعائم تلك السياسة ، وجعلها ، بالتالي ، جزءا من برامج الحزبين !!

واننا لنتساءل اليوم : هل كان الرئيس يلزم نفسه وحزبه بتلك السياسة ، على أساس من القيم الاخلاقية ، ومبادىء الحق والعدالة !؟ أو انه قد فعل ذلك على أساس المصلحة الحزبية في المعركة الانتخابية ؟

غير انه مهما كانت الدوافع والاعتبارات ، فان من حق الشعب الاميركي أن يسأل الرئيس « جونسون » وريث ذلك الالتزام ، وتلك السياسة : هل ينوي حقا ارسال أبنائنا واخوتنا وأزواجنا ، ليحاربوا العرب في فلسطين لمصلحة الصهيونية ؟ تحت علم الولايات المتحدة ؟ وليساعدوا قتلة وسفاحين ولصوصا في لباس القوات الاميركية المسلحة ؟

اننا نقول للرئيس : ان أي عمل شائن كهذا ، سيمرغ علمنا في التراب ، وسيجعل البزة العسكرية الاميركية دلالة خزي وعار !

ولكأنني أنظر من شرفات الغيب ، فأرى جنودا من أبنائنا واخوتنا يحرثون ثرى فلسطين ، ويزرعون الدمار في روابيها في سبيل الصهيونية العالمية المجرمة !.. وأراهم يشاركون عصابات شذاذ الآفاق في التنكيل

بمليون وربع المليون عربي ، مسيحي ومسلم ، كل ذنبهم ، رغبتهم الطبيعية العفوية في العودة الى أوطانهم ... أرض آبائهم وأجدادهم التي أخرجوا منها غدرا وظلما ، وتقتيلا وتشريدا ، بيد ستمائة ألف صهيوني ، غرستهم خيانة الاستعمار في الارض المقدسة بين سني ١٩٢٠ و ١٩٤٨ !

أجل .. ان من حق الشعب الاميركي أن يُسأل رئيسه ما اذا كان هو يعتنق أيضا ، ذلك العهد الغريب ، العجيب المريب ! الذي قطعه الرئيس الراحل على نفسه .. وما اذا كان يعتبر ذلك العهد بمثابة الزام قومي ، يتولى البيت الابيض تنفيذه !؟

ان من حقنا أن نسأل ... ومن حقنا أن نعتقد ان رئيسنا ، لا يمكن أن يرى في عودة مليون وربع المليون عربي الى بيوتهم ، وانقاذها من أيدي الغزاة ، عدوانا وظلما !!

اهتز ضمير الامة الاميركية سنة ١٩٤٨ ، لان الرئيس الاميركي عندئذ ، لم ير في احتلال الصهيونية لفلسطين العربية عملا عدوانيا .. ولم ير في قيام عصابة واغلة دخيلة ، محمية بحراب الاستعمار ، بطرد مليون وربع مليون مواطن من بلادهم التي عاشوا فيها مئات السنين ، اعتداء وظلما ! » .

ويمضي الكاتب في توضيح الاسباب الكامنة وراء وعد « بلفور » فيقول :

« في الفترة الواقعة بين اعلان الحرب العالمية الاولى صيف عام ١٩١٤ حتى خريف عام ١٩١٦ ، احتلت الجيوش الالمانية الغازية ، جميع دول غرب أوروبا تقريبا ، وسيطرت الغواصات الالمانية على البحار المحيطة ببريطانيا ، حائلة بذلك دون وصول شحنات المواد الغذائية ، التي كانت بريطانيا لا تملك منها ، ما يكفيها لاكثر من أسبوع واحد .. وفي الوقت نفسه اضطرت القوات البريطانية في الخنادق الاوروبية الى الانسحاب والتراجع ، بسرعة تشبه الهزيمة ، لنفاذ العتاد والذخيرة ،

وظهرت بوادر العصيان في القوات الفرنسية ، وتحطم الجيش الايطالي ، واستمر تقهقر القوات الروسية نحو الشرق •

كانت دلالات الاحداث في تلك اللحظات واضحة لا تخفى على أحد • وكلها تشير الى ان بريطانيا قد خسرت الحرب نهائيا ، أمام الضربات الالمانية الشديدة المتلاحقة ، وانه ما لم تسارع الولايات المتحدة الى نجدة الحلفاء ، بدخول الحرب الى صفهم المنهار الممزق ، فلا أمل في نجاة ؟!

وكانت الصهيونية العالمية ، واعية لابعاد الخطر الجائح ، خاصة حين عرضت ألمانيا على بريطانيا ، الدخول في مفاوضات للصلح ، تحفظ لبريطانيا ماء وجهها ، وأخذ المسؤولون فيها يدرسون ذلك العرض جديا ، ويميلون الى قبوله ، لتجنيب بلادهم الدمار النهائي !

فاغتنمت الصهيونية الفرصة اللائحة ، ودخلت في حوار سري مع وزارة الحرب البريطانية ، وكانت حصيلة تلك المفاوضات ، رفض بريطانيا عروض الصلح ، ثم دخول أميركا الحرب الى جانب الحلفاء ، وكان ثمن هذا الدخول اصدار وعد بلفور الذي شق الطريق لحلم الوطن القومي •• بل الدولة اليهودية !

* * *

وقد أزيح النقاب مؤخرا عن قصة المفاوضات السرية المشار اليها • وانني أجتزىء بالمقتطفات التالية المسجلة بنصها في نشرة المتحف البريطاني الاصلية ، تحت عنوان : « النص الاصلي لوعد بلفور ، ومساهمة الدكتور حاييم وايزمن فيه » •• رقم
(FF. 12 (1944) fol. cup. 1227, c. 28, Vol. 151.)

يقول مستر جيمس مالكوم « James Malcom » وهو المسؤول البريطاني الذي تولى القيام بدور الوسيط في المفاوضات التي أدت الى اصدار الوعد المشؤوم :

« في احدى زياراتي لوزارة الحرب البريطانية أواخر خريف ١٩١٦ ، وجدت سير مارك سايكس Mark Sykes وزير الحرب (وأحد طرفي معاهدة سايكس ـ بيكو ، التي قسمت وجزأت العالم العربي بين دول الاستعمار القديم لضمان قيام وسلامة اسرائيل) •• وجدته مغضبا مهتاجا •• ولدى الاستفسار عن سبب ثورته ، مضى يتحدث بحزن وأسى عن الهزائم المتتالية التي مني بها الحلفاء في كافة الجبهات ، ذاكرا ان مساعيه المتواصلة مع الصهيونية العالمية للضغط على الولايات المتحدة ، لدخول الحرب ، لم تأت بطائل ، بل على العكس ، دلت التقارير الواردة من أميركا ، على تزايد شعور التأييد لالمانيا ، بين كبار الاثرياء والمصرفيين اليهود من أصل جرماني ••• وبين كبار رجال الصحافة عملاء أولئك الاثرياء والناطقين بأهوائهم ، وأعرب عن شعوره بالخيبة المريرة لفشل البعثات الفرنسية والايطالية في احداث أي تأثير معاكس ، خاصة وان أخبار المظالم التي ارتكبها قيصر روسيا ضد اليهود ، وأنباء المعاملة الحسنة التي يلقاها يهود بولندا من قوات الاحتلال الالمانية ، قد طغت على تلك الدوائر ••

وأثناء الحديث ذكرت للسير مارك ، ان هناك سبيلا أوحد لاجتذاب الدوائر الصهيونية في الولايات المتحدة الى جانب الحلفاء ، وذلك باقناعهم أن تحقيق الحلم الصهيوني ، منوط بانتصار الحلفاء !

ثم سألته عما اذا كان يعرف شيئا عن الحركة الصهيونية فأجاب بالنفي ، فذكرت له ما أعرف عنها ، وعن آمالها وأحلامها •• عن اتجاهاتها ومخططاتها !

وقلت له : ان الطريق الوحيد لكسب الرأي العام اليهودي العالمي هو اعلان دعم الاماني الصهيونية ، ووعدهم ببذل كل جهد لتحقيق ذلك ، باقطاعهم فلسطين بعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء •

ثم قلت : ان بالامكان التوصل الى النتيجة المتوخاة بالاتصال بأحد

قضاة المحكمة العليا في واشنطن ، وسميت له اسمه ، باعتباره من ألصق أصـــدقاء الرئيس « ويلسون » وهو في الوقت نفسه صهيـــوني متحمس •• واقترحت عليه في تلك اللحظة اصدار وثيقـــة من وزارة الحرب البريطانية تتضمن وعد اليهود بتسهيل حصولهم على فلسطيـن وطنا قوميا لهم ، ثمنا لاستغلال كل طاقاتهم في الضغط على الولايــات المتحدة لدخول الحرب •

وبعد يومين من حديثي هذا معه ، أعلمني ان الوزارة البريطانية قد وافقت من حيث المبدأ على الفكرة التي طرحتها ، وانها قد عهدت الــي القيام بمهمة اجراء اتصالات عاجلة مع زعماء الصهيونية في هذا السبيل •

وقد أخطرت فـــي ذهني حينذاك ، أبعاد الحركة الصهيونيـــة واتجاهاتها ، وقدرت انها لو تم لها ما رسمنا ، فلن تلتزم جانب الحيــاد بعد الان ! بل انها ستبذل قصارى جهدها لمصلحة الحلفاء ، خاصة في الولايات المتحدة ، اذ ان مثل تلك الفرصة المتاحة لتحقيق أطماعها لــن تلوح في غير هاتيك الظروف •

وبدأت المسعى بهمة ونشاط ، فكانت الخطوة الاولى الاتصـــال بزعماء الصهيونية في كافة أنحاء الدنيا واطلاعهم على الفكرة ، وأسبابها ودواعيها وأهدافها ، وســارع السير « مارك سايكس » ، فيسر لــي استعمال جميع أجهزة وزارة الخارجية البريطانية وسفاراتها في الخارج ، وكانت النتيجة استجابة عاجلة ، وقام الدكتور وايزمن وبطانته في لندن في صيف عام ١٩١٧ بوضع صيغة الوعد المشؤوم ، وارسالها الى زعماء الصهيونية في واشنطن لعرضها على الرئيس « ويلسون » وسلمت نسخة منها الى وزارة الحربية ، ونسخة أخرى الى المستر بلفور الذي كان عليه أن يعلنها ويصدرها بتوقيعه في الوقت المناسب باسم الحكومة البريطانية بوصفه وزير خارجيتها » •

وبعد اتفاق الجهات المعنية بالامر ، صدر الوعد اللئيم المخالف لكل

مبادىء الشرف والاخلاق ، في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، وقد أسماه الاستاذ تمبرلي « Temperly » المؤرخ الرسمي لمؤتمر السلام في باريس : عقدا كاملا بين بريطانيا العظمى واليهودية العالمية يقضي بالتزام بريطانيا بتوفير أكثرية يهودية في فلسطين في أقصر وقت ممكن بعد انتهاء الحرب.. ولاول مرة في تاريخ العلاقات الدولية ، يغدو وطن سلعة يجري التعاقد عليها في غياب أهلها ، بين من لا يملكها ومن لا يستحقها !!

وقد انطوى تحت هذا الالتزام فيما بعد ، مماطلة بريطانيا في الوفاء بمبادىء عصبة الامم المتحدة المتعلقة بالانتداب ، والقاضية بضرورة اجراء انتخابات مباشرة فورية في فلسطين لاقامة حكومة محلية .

وفي سنة ١٩٢٠ قرر أهالي البلد الاصليين باستفتاء حر تحت اشراف دولي ، اختيار الولايات المتحدة لتولي الانتداب وفق المادة ٢٢ من دستور العصبة وبأكثرية ٨٢ ٪ ، غير ان الحكومة البريطانية تنكرت لتلك الرغبة وذلك الاختيار بصفاقة عجيبة ، وأعلنت من طرف واحد انها ستتولى الانتداب بنفسها ، متجاهلة رغبة السواد الاعظم من أهل البلد الاصليين وحقهم في تقرير مصيرهم .

وبقية القصة معروفة ، فقد أخذت بريطانيا على عاتقها منذ اللحظة الاولى ، توفير المناخ الملائم لتسهيل وتشجيع هجرة أكبر عدد ممكن من يهود أوروبا الوسطى ، واستطاعت الصهيونية العالمية خلال سني ١٩٢٠ و ١٩٤٨ تهجير نحو ستمائة ألف يهودي في حماية الحراب البريطانية ، مخالفة بذلك كل مفاهيم الامانة ، ومتجاوزة كافة الاعراف الدولية والانسانية ، ومبادىء المنظمة الدولية ، ومتجنية بصورة فاضحة على حقوق أكثرية سكان البلاد وأصحابها .. مسيحيين ومسلمين !!

ولو التزمت بريطانيا بمقتضيات الشرف ، بقدر التزامها بتنفيذ العهد المشؤوم ، لوجب عليها بموجب نص المادة ٢٢ الآنفة الذكر ، المبادرة

الفورية ، منذ ولايتها على البلاد ، بايجاد حكم محلي ، بانتخاب حر ، وفق مبدأ حق تقرير المصير !

غير ان بريطانيا ضربت بكل ذلك عرض الحائط ، ومضت تسوف وتماطل ، وتخدع وتخاتل ، حتى مكنت الصهيونية العالمية من انجاز الخطوات الاولى من جريمتها الكبرى ، مستغلة قوة بريطانيا (العظمى !) لاغراق البلاد بشذاذ الآفاق ومجرمي الدنيا ، ولصوص العالم وتجار الحروب !

وقامت السلطات البريطانية ، تحميها حراب مائتي ألف جندي شاكي السلاح ، بتجريد أهالي البلاد ، مسلمين ومسيحيين ، من أسلحتهم ، وحرمانهم من حقهم الطبيعي في تقرير مصيرهم .. وفي الوقت نفسه ساعدت على تسليح الحركة الصهيونية داخل فلسطين ، بأحدث أنواع الاسلحة الفتاكة عن طريق الجمعيات الصهيونية العالمية ، بما لا تقل قيمته عن ثلاثمائة مليون دولار !

وبالرغم من كل تلك الاجراءات والتدابير ، لم تنجح الحركة الصهيونية في تهجير اكثر من ستمائة ألف يهودي ، بالاضافة الى خمسين ألفا كانوا يعيشون في البلاد قبل سنة ١٩٢٠ ، مقابل مليون وثلاثماية وخمسين ألفا من السكان العرب . وبذا فشلت حكومة الانتداب والصهيونية ، كلتاهما ، مع كل طاقاتهما ونشاطاتهما ، في توفير أكثرية يهودية تتسلم مقاليد الحكم في البلاد بعد زوال الانتداب .

ولا بد من الاشارة هنا ، الى ان معاهدة سايكس ــ بيكو السرية المعقودة سنة ١٩١٦ ، بين بريطانيا وفرنسا ، انما كانت مقدمة طبيعية مهدت لوعد بلفور ، بقصد حرمان العرب من تحقيق أمانيهم في التحرر والوحدة ، والتنكر للوعود القاطعة المبذولة لهم لقاء دخولهم الحرب الى جانب الحلفاء .

فبينما كان « مكماهون » يبذل الوعود العريضة لشريف مكة ، كان

وعد بلفور يطبخ في لندن ، وكانت الاتصالات مستمرة في الوقت نفسه بين بريطانيا وفرنسا لتجزئة التركة العثمانية وتقسيمها الى أشلاء ممزقة وتحويلها الى مناطق نفوذ !!

تلك هي مؤامرة الاستعمار مع الصهيونية منذ مطلع هذا القرن ... وتلك هي مروءة الدول العظمى ووفاؤها بالمواثيق والعهود !!

ومشت الاحداث الى نهايتها المحتومة ، في الرابع عشر من مايس ١٩٤٨ ــ كما سيأتي تفصيله فيما بعد ــ حينما نفذت بريطانيا قرارها المفاجىء بمغادرة فلسطين وانهاء الانتداب ، متخلية عن مسؤولياتها الى هيئة الامم المتحدة ، مخلفة وراءها ستمائة وخمسين ألف يهودي ، مسلحين بأحدث أنواع الاسلحة ، وأعلى مستويات التدريب العسكري ، والتنظيم السياسي ، مقابل مليون وثلاثمائة وخمسين ألف عربي ، ممزقين ، مشتتين ، عزلا من السلاح .

وعند انتهاء الانتداب ، كانت الوكالة اليهودية على أهبة الاستعداد لتولي السلطة في البلاد وتشريد الكثرة الغالبة من سكانها الاصليين ، تاركين وراءهم أملاكا غير منقولة ، قدرتها المنظمة الدولية بمبلغ ستة آلاف مليون دولار ... ليعيشوا على فتات صدقات الدول الاستعمارية التي ساهمت في النكبة ، بما يدفع الموت البطيء ، ويمسك الحياة الذليلة !.. وفي الدنيا كما يتشدقون ضمير انساني يبارك ذاك الضياع !

انسحبت بريطانيا دون أن تفي بالتزام صك الانتداب القاضي باعداد حكم محلي يمثل أكثرية السكان ... بل تركت تلك الاكثرية تواجه مصيرها المحتوم في وجه أقلية يهودية منظمة ، مدربة ، مزودة بكميات هائلة من الاسلحة ..

وبعد دقائق من اعلان العصابات الصهيونية ، اقامة حكومة يهودية مستقلة ذات سيادة في فلسطين ، اعترفت الولايات المتحدة بلسان رئيس جمهوريتها « هاري ترومان » على بعد سبعة آلاف ميل بدويلة القتلة

والسفاحين ... حصيلة مؤامرة بشعة لئيمة ، لا مثيل لها في تـــاريخ الانسانية كلها !

ولقد كان سلوك الرئيس الاميركي في تلك اللحظات السود سلوكا مشينا موسوما بالعار ، وضربة قاصمة للمبادىء الاميركية ، اذ بدلا من أن يوصم الاجرام الصهيوني ، في الارض المقدسة ، بالعدوان اللاأخلاقي، بارك أكبر معقل للحرية في العالم ، ذلك الاجرام ، ومضى منذئذ يتهـم أصحاب الحق .. أصحاب الدار .. أصحاب الارض بالعدوان ، كلمـا ارتفع لهم صوت يصرخ بالظلم الذي حاق بهم ، ويفضح المؤامرة الدولية التي أصبحوا ضحية بريئة لها ! » .

* ❋ *

ويمضي الكاتب الاميركي اليهودي « بنجامين فريدمان » فـــي سرده البالغ الصدق .. الصادق المرارة ، ليكشف أسباب اضطهـــاد النازية لليهود في المانيا ، منذ سنة ١٩٣٣ الى الحرب العالمية الثانية ، تحت الحكم النازي ، فيقول :

« لقد كانت ألمانيا الهتلرية ، تعرف معرفة يقين ، دور الصهيونيـة ، فيما منيت به من هزيمة سنة ١٩١٨ بسبب دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب الحلفاء ، ولقد كان معظم اليهود في المانيا من بقـايا « الخزر » الذين شردوا من روسيا ، فالتجأوا الى ألمانيا ، عند بداية الحرب العالميـة الاولى ، ومثلهم معظم يهود اوروبا الوسطى ، الذين استغلتهم الصهيونية فيما بعد لتحقيق أهداف مؤامرتها السرية مع بريطانيا وساقت البعض منهم بمختلف وسائل الترغيب والترهيب الى فلسطين ، فهم فـي حقيقة الامر ، ينتمون الى « عرق الخزر » لا الى « العنصر اليهودي » وقد تهودوا في القرون الوسطى ، وعلى هـــذا فالاسطورة الدينية والعصبية العنصريـة للصهيونية العالمية ، لا تنطبق عليهم في كثير او قليل !

وقد عاشت الاقليات اليهودية فـــي اوروبا الوسطى وفـي المانيا

بالذات ، في أمن ودعة ، طالما حافظت على شرف المواطنة الصالحة والولاء للدولة .

وتاريخ العرب من هذه الجهة قدوة حسنة ، اذ لم يقع في تاريخ العرب الطويل اي اضطهاد للاقليات اليهودية ، بل كانوا دائما ، جيرة وابناء عمومة ، وفي موضع الرعاية والعطف ، حتى ذر قرن الصهيونية التي هي في الواقع ، حركة فاشية ، استعمارية ، عنصرية ، تحارب القيم الاخلاقية والمبادىء الانسانية !

ولقد نما شعور الكراهية ضد اليهود في المانيا خلال تلك البرهة لاسباب ثلاثة :

١ ــ كانت الصهيونية سببا هاما من اسباب هزيمة المانيا في الحرب العالمية الاولى ، وكان لليهود الالمان دور بارز في تلك النتيجة ، مما زرع الحقد والنقمة في نفوس الشعب الالماني .

٢ ــ لقد نشأت الشيوعية الدولية في احضان الصهيونية الدولية ، فهما صنوان وتوأمان .

٣ ــ لقد قام اليهود في المانيا بدور مريب ، اثناء الازمة الاقتصادية التي هزت العالم بأسره في مطلع الثلاثينيات ، هادفين الى الكسب الحرام على حساب مصلحة البلد الذي آواهم ومنحهم الرفد والحماية !

ونظرة مجردة موضوعية الى هذه الاسباب تدلنا على ان كلا منها يعتبر وفق القوانين والاعراف الخاصة والدولية ، خيانة عظمى تترتب عليها اقسى العقوبات .

ونحن لا نقول هذا تبريرا لمظالم النازية الجماعية ضد الشعب اليهودي ، فالبريء لا يؤخذ بجريرة المخطىء ، والفتك بالجملة دون تمييز ، لا يقره ضمير .

واذا كانت اللعنة السماوية ، تلصق بالصهيونية كحركة عنصرية نازية مدمرة طاغية ، فأن في الشعب اليهودي الاصيل ، الكثير من الجماعات

والمنظمات التي تناهض الصهيونية وتحتقر مبادئها ، وتبرؤ الى الله منها في كل مناسبة ، وفي كل مجال » ..

ولا بد من وقفة قصيرة هنـــا ، لفضح الاسطورة الصهيونيـة .. اسطورة الستة ملايين (شهيد !) يهودي تحت الحكم النازي ... تلـك الاكذوبة الكبرى التي روجتها الصهيونية ، واستغلتها ابـرع استغلال ، لاستدرار عطف الرأي العام العالمي وتبـــرير جرائمها في فلسطين وغير فلسطين ، وتغطية نزواتها الشريرة في تحريك الاحقاد الدولية لمصلحتها .. والتطويح بالعالم في اتون حربين عالميتين مدمرتين ، في سبيل قيام دويلة الفتك واللصوصية .. دويلة حكماء صهيون !

لقد خرجت الانسانية من الحرب العالميـة الثانية محطمـة القوادم والخوافي ، مهيضة الجناح ، فقد نسفت الويلات المبادىء والقيم : وعطلت المآسي العقل والضمير .. والتاثت على النـاس السبل ، لا يدرون ماذا يصدقون وماذا يكذبون !.. واختلط الحابل بالنابل ، وامتـــزج الشك باليقين !

وخرجت الصهيونية العالمية ، من الردم والانقاض .. ومـن الدمار والخراب .. أشد عزما وتصميما على المضي في مخططاتها الاجرامية وقد أكسبها الظفر المليح مخلبا ونابا ، ومضت في دروبها المعتمة تسوق العالم ، المغطى على بصره وبصيرته ، حيث تشاء ، ونشطت الاجهـزة الصهيونية لغرس (عقدة) النازية في نفوس مـــن هدتهم الحرب ، بحيث تستجيب بسهولة ويسر لكل ما يوجه الى المانيا الهتلرية من سهام وتهم ، مهما اغرقت في المبالغة والايهام ... وبحيث تستصغر ايـــة جريمة ، بالقياس الـى مسؤولية الحرب التي كان وقودها خمسة واربعين مليون قتيل .. وتدميرا شاملا لم يسبق له مثيل !

نشطت الاجهزة الصهيونية تعلن شعار اللاسامية ، وبدعـة الستـة ملايين !

وصدقت الدنيا الاسطورة الخيالية ، دون توقف ، دون تدبر ، دون تفكير ، حتى كانت سنة ١٩٤٨ وقد استفاقت الدنيا من الصدمة واستيقظت من الغفوة ، ونظرت الى الصهيونية تغزو الارض المقدسة ، وتوسعها فتكا وتنكيلا واجراما ، في حماية حراب الانتداب الذي كان أشأم من الاستعمار ... وتطبق في البلد الآمن والسكان الابرياء ، اساليب النازية واسلحتها ، متحدية الشرائع الالهية والمبادىء الانسانية ، والقيم الاخلاقية ، بعد ان نومت العقول وخدرت العواطف بأسطورة الستة ملايين (شهيد !)

وتنبه ذوو العقول الى ما كان ، وما هو كائن ، وثارت الشكوك هنا وهناك ، حول قصة ، بل اسطورة ، بل اكذوبة الستة ملايين !

وجاءت اول اشارة الى الموضوع في مقال للاستاذ « هانسون بولدوين » المراسل الحربي لجريدة النيويورك تايمز الضالعة مع اسرائيل ، نشر في عدد الجريدة الصادر في ٢٢ — ٢ — ١٩٤٨ متضمنا احصاء مقارنا ، يستند الى وثائق رسمية محفوظة عن عدد اليهود في العالم في سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٨ .

وجاء في المقال ، ان اللجنة المركزية لليهودية الاميركية ، كانت قد نشرت احصاء دقيقا سنة ١٩٣٨ ورد فيه ان عدد اليهود في العالم ، على وجه التحديد هو خمسة عشر مليونا وستمائة وثمانية وثمانون الفا ومائتان وتسعة وخمسون .. وان عدد اليهود سنة ١٩٤٨ وفق احصاء علمي دقيق هو ثمانية عشر مليونا وسبعمائة الف .

وبمقارنة هذين الرقمين المأخوذين من مصادر يهودية صهيونية يتبين بوضوح وجلاء ان رقم الستة ملايين هو رقم أسطوري خيالي مغرق في التهويل والايهام ، ولا يمكن تصديقه بحال من الاحوال ...

ومن جهة اخرى فقد ورد في الكتاب السنوي لليهود الاميركيين من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥ ، ان هجرة اليهود من اوروبا وخاصة من المانيا ،

الى فلسطين والامريكتين قد اتسعت وتزايدت ، حتى بلغ عدد من هاجروا في تلك البرهة ما لا يقل عن ستة ملايين ...

قصة الستة ملايين (شهيد !) يهودي ، اذن ، هـي خرافة لا اساس لها من الصحة ، ولا سند لها من الحقيقة ، وما هي ألا أسطورة ابتدعتهـا مخيلة الصهيونية ، لاستدرار العطف على اليهود ، وتغطية الجرائم البشعة التي ارتكبت في فلسطين ، ولاستنزاف سبعة مليارات دولار ، فيما بعد ، من المانيا تعويضا عن عقدة الشعور بالذنب !

وعندما كشف النقاب عن الاتفاقية السرية التي عقدت في نيويورك بين « اديناور » و « بن غوريون » لتزويد اسرائيل بالاسلحة ، بضغط من الولايات المتحدة ، واتخذت الجامعة العربيـــة قرارها المعروف ، بقطـع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية .. واعلنت المانيـا ، وقف شحـن الاسلحة المستبقية ، هاجت الصهيونية وماجت ، وهددت بحرب اقتصادية (مقدسة !) ضد المانيا ، التي لم تكفر عن ذنبها بعد ، برغم السبعة مليارات دولار ، وبرغم ما تم شحنه من اسلحة فتاكة كثيرة ! كأن المانيا ، ــ تحت سيف الفجوز الصهيوني المصلت ــ مكلفة بدفع ثمـــن جنون دكتاتورها الذي انطوى ، الى ابد الآبدين !!

ان العرب بطبيعة تراثهم وعقيدتهم ومبادئهم ، يمقتــون الاجـرام ، ويكرهون الظلم ، حيثما حلت ، ووقعت ، وهم ــ لا شك ــ يستنكرون الاضطهاد العنصري بكافة اشكاله والوانه ، ولذا فهم كانوا وسيظلون ضد الجرائم النازية كائنا ما كان عدد اليهود الذين ذهبوا ضحيتها !

لكن ... اين كان الضمير العالمي ، يـــوم ارتكبت الصهيونيـة ، جرائمها البشعة الدنيئة في بلد آمن ، وشعب مسالم ، على غرار الاساليب النازية ، بل أحط ، وأحقر ، وأعرق في الخسة واللؤم !

أين كان ... وأين هو الآن !!

— ٢ —

لكي نفهم اساليب الصهيونية ، واهدافها ومخططاتها ، ينبغي ان نستعرض بايجاز وتركيز ، قصة الحركة الصهيونية ، منذ اواخر القرن الماضي .

برزت الحركة الصهيونية بصورة علنية فعلية ، عشية اغتيال ، قيصر روسيا ، اسكندر الثاني سنة ١٨٨١ . فقد اتهمت السلطات الروسية اليهود بتدبير مقتله ، وطردت منهم عشرات الالوف ، لجأوا الى بولنده واوروبا الغربية والولايات المتحدة ، وهاجر نحو ثلاثة آلاف منهم الى فلسطين حيث أنشأوا أول قرية تعاونية قرب « يافا » .

وفي سنة ١٨٨٩ ، منعت السلطات التركية ، هجرة اليهود الى فلسطين ، ففترت الحركة ، حتى أصدر « هرتزل » كتاب « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٥ ، وضمنه اقتراحا بأقامة دولة يهودية مستقلة في الارجنتين او في فلسطين . وكان هدف هرتزل وضع حد لمشكلة العداء للسامية ، من خلال العنصر اليهودي ، الذي أخذ يغزو المجتمعات الاوروبية . وكانت قضية « دريفوس » المشهورة في فرنسا ، مظهرا لذلك العداء — على حد زعمه — .

وكانت حركة « هرتزل » في البداية تهدف الى اقامة حكومة يهودية على أساس النبوءات الاسطورية والخرافات القومية .. لكن قادة الصهيونية ، تبينوا فيما بعد ان حركتهم مقضي عليها بالفشل ، ان لم توضع

في أطار الدافع الديني والعاطفي ، وتحت شعار « العودة » والارتباط بأرض اسرائيل !

كانت الحركة الصهيونية الى ذلك الحين ، حركة قومية لا حركة « ايديولوجية » اذ كانت ترمي الى ايجاد حل محدود، لمعضلة محدودة . لا الى تحقيق أساطير دينية !

واجتمع المؤتمر الصهيوني الاول في « باز ل» بسويسرا ، في آب سنة ١٨٩٧ ، وقال « هرتزل » صاحب الدعوة في خطاب الافتتاح : ان الغرض من هذا الاجتماع هو العمل على تبني فكرة وطن قومي في فلسطين ، والحصول على اعتراف دولي بشرعية هذه الفكرة .. وايجاد منظمة دائمة تتولى التبشير بهذه الفكرة ونشرها ، ولم شتات جميع يهود العالم حولها ..

ومن الجدير بالذكر ، ان المؤتمر تحاشى استعمال كلمة « دولة » واستعمل بدلا عن ذلك كلمة « وطن » تجنبا لاثارة مشاكل سياسية مع الحكومة التركية .. وبغية كسب اكبر عدد من اليهود غير السياسيين .

وقبل انفضاض المؤتمر ، انتخب « هرتزل » رئيسا له فبدأ على الفور بتكريس جهوده ومساعيه لتنفيذ البند الثاني من دستور المؤتمر ، وهو استقطاب الاعتراف بشرعية الوطن القومي لليهود ، فاتصل بامبراطور المانيا في استانبول في تشرين الاول سنة ١٨٩٨ ، ثم اجتمع به مرة ثانية في فلسطين في ٢ تشرين الثاني من السنة نفسها . لكن الامبراطور رفض الفكرة جملة وتفصيلا ، فلم يثن ذلك « هرتزل » عن متابعة مساعيه . فقابل السلطان في مايس سنة ١٩٠١ وحاول اغراءه بالرشوة ، وبذل الوعود بأن اليهود سيعملون على تطوير الموارد الطبيعية في الدولة العثمانية .. غير ان السلطان داس كل تيك المغريات ورفض العرض .. فلم يجد « هرتزل » بدا من الاتجاه نحو انكلترا ، الدولة الاستعمارية العظمى ، ذات الاطماع العريضة في الشرق الاوسط ، ودخل على الفور

في مفاوضات مباشرة معها سنة ١٩٠٢ لمساومتها على منطقة في سيناء ، يقام عليها مجتمع يهودي يتمتع بلون من الحكم الذاتي • غير ان الحكومة البريطانية قدمت لهرتزل في السنة التالية عرضا بديلا ، هو السماح بأقامة دولة يهودية في « أوغنده » • وكان هرتزل ميالا لقبول الفكرة ، الا ان المؤتمر الصهيوني السادس رفض ذلك •

وبعد وفاة هرتزل سنة ١٩٠٤ ، انقسمت الحركة الى قسمين ، بين تحبيذ اقامة الدولة اليهودية في اي مكان ، وبين الالحاح في ضرورة اقامتها في فلسطين •

وفي المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد سنة ١٩٠٥ ، تغلب الرأي الثاني ، نظرا للاعتبارات الاسطورية والخرافات العنصرية الآنفة الذكر •

وفي سنة ١٩٠٧ ، عقد مؤتمر اوروبي كبير ، ضم اضخم نخبة من المفكرين والسياسيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح : « ان الحضارة الاوروبية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضي علينا ان نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة ، تحول دون انهيار تلك الحضارة » • وبعد أشهر من الدرس والنقاش ، توصل المؤتمرون الى خطة تقضي بالعمل المشترك على منع اي اتحاد او اتفاق بين دول الشرق الاوسط ، لانها تشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا ، وان الوسيلة لذلك انشاء قومية غربية معادية ، شرق قناة السويس • وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية •

ومن سنة ١٩٠٧ الى ١٩١٤ نشطت الحركة الصهيونية فقامت ٥٩ قرية تعاونية يهودية في فلسطين •

وفي اواخر اكتوبر سنة ١٩١٤ ، بحثت قضية انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، في اجتماع للوزارة البريطانية ، لاول مرة ، بألحاح من الوزير الصهيوني « هربرت صموئيل » الذي عين فيما بعد اول مندوب سام في فلسطين ، لتنفيذ المؤامرة الصهيونية •• وترك الامر للوزير

المومى اليه ، ليبحثه بالتفصيل مع وزير الخارجية « ادوارد جراي » ، في اطار أهمية فلسطين بالنظر لقربها من قناة السويس ، واغتنمت الصهيونية هذه الفرصة التي واكبت قيام الحرب العالمية الاولى ، فعملت على تجميع من فر من اليهود من الحكم التركي ، وتشكيل كتيبة يهودية منفردة ، بلغ عدد افرادها نحو ستمائة وخمسين جنديا قاتلوا مع الحلفاء في الدردنيل .

وقصة الصهيونية العالمية ، بعد سنة ١٩١٤ معروفة ، اجملنا الاشارة اليها في الصحائف السابقة .

غير أنه لا بد لنا من وقفات قصيرة عند الاحداث البارزة .

ففي سنة ١٩٣٩ دعت الحكومة البريطانية زعماء العرب واليهود الى مؤتمر مائدة مستديرة ، في لندن ، اثر الانتفاضات العربية الوطنية في فلسطين ، ونتيجة لذلك صدر كتاب أبيض يقضي بتحديد الهجرة الى فلسطين ، وفق الاسس التالية :

١ ـ ان وعد بلفور الذي صدر سنة ١٩١٧ انما ينص على السماح بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، لا أقامة دولة يهودية فيها .

٢ ـ بما ان ذلك الهدف قد تحقق بالفعل ، فالضرورة تقضي بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين نهائيا ، بعد السماح بهجرة العدد الذي سبقت الموافقة عليه ، وهو خمسة وسبعون الفا .

٣ ـ ان سكان البلاد الاصليين الذين كانوا يشكلون حينذاك نسبة ثلثين عرب الى ثلث يهود ، يجب ان يمكنوا من ممارسة حق تقرير مصيرهم ، ويحققوا استقلالهم خلال مدة لا تتجاوز العشر سنوات .

ولقد كان موقف العرب أزاء ذلك سلبيا ـ كالعادة ـ . اما الصهيونية فقد جن جنونها ، لان تنفيذ بنود الكتاب الابيض سالف الذكر ، بشرف وأمانة ، من شأنه أن يعيق تحقيق أهدافها في توفير أكثرية يهودية في فلسطين ، قبل انتهاء الانتداب . وبدأت منذ تلك اللحظة تعد العدة لممارسة اساليب الضغط والارهاب ، ضد سلطات الانتداب .

ونشطت بالاضافة الى ذلك الهجرة غير المشروعة ، وعندما اضطرت سلطات الانتداب الى منع الهجرة بالقوة ، لم تتورع الصهيونية عن نسف واغراق باخرة مكتظة بمهاجرين يهود من اواسط اوروبا ، يزيد عددهم على مائتين وخمسين ، هادفة من وراء تلك الجريمة الانسانية البشعة الى شن حملة دعائية عالمية شعواء ضد حكومة الانتداب .

وقد فعلت تلك الدعاية فعلها في المجتمعات اليهودية ، خاصة في الولايات المتحدة ــ وذلك بيت القصيد ــ مما حفز ثريا صهيونيا يقيم في « هوليود » هو المدعو « بن هكت BEN HECHT » ان يكتب مستنفرا عصابات « ارجون وشترن » التي كانت ماضية حينذاك في اقتراف جرائم التخريب والتنكيل : « انكم كلما استطعتم ان تصيبوا بنيران مدافعكم الانكليز الذين خانوا وطننا القومي ، أقام لكم اليهود في اميركا الافراح في أعماق قلوبهم » .

وفي مايس سنة ١٩٤٠ تألفت حكومة حرب بريطانية مختلطة برئاسة « تشرشل » الموسوم بتحيزه للصهيونية ، فنشطت الهجرة غير المشروعة تحت سمع وبصر سلطات الانتداب ، وغدا الكتاب الابيض وسيلة لذر الرماد في العيون ، وتضليل الرأي العام العربي ، بالخداع والمطل والتسويف ، خاصة بعد ان استثمرت الحملات الصهيونية على النازية ، واستطاعت بذلك ، استقطاب الرأي العام العالمي بالعطف ، على الشعب المشرد المنكود (!)

وفي ٢٠ ايلول سنة ١٩٤٤ ، استطاع « وايزمن » اقناع « تشرشل » بتشكيل الفيلق اليهودي ، ليحارب مع جيوش الحلفاء ، وبهذا أتيح للصهيونية ان تؤكد استقلال العنصر اليهودي كقومية ، وأتيح لذلك الفيلق ان يستظل بعلم خاص ، أصبح فيما بعد ، علم الدولة اليهودية ، وحققت الصهيونية بذلك ، حلما من احلامها العريضة ، بأنشاء النواة الاولى لجيش اسرائيل استعدادا لمواجهة الموقف ، عند انتهاء الانتداب .

وعلى الرغم من تطور الحركة الصهيونية في اوروبا ونشاطها الذريع، كانت الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة ، معزولة عنها ، تقريبا ، بل كانت تنظر اليها بشك وريبة ، لان الاسس التي قامت عليها ، ومضمونها الاضطهاد العنصري واللاسامية ، كانت بعيدة عن مفهوم تلك الاقلية ، لما تتمتع به من نعيم مقيم ، وحرية سابغة ، ومواطنة كاملة ... ولان حلم الوطن القومي هو في عين الحقيقة والواقع خرافة دينية ، واسطورية قومية لا معنى لها في عالم حقق قمة الحضارة المادية . وقد احست الهيئات اليهودية في العالم الجديد ، ان الاخذ بمفاهيم الحركة الجديدة ، يزلزل في نفوسها ، مشاعر المواطنة الصالحة ، فتجاهلتها واهملتها ، بل اكثر من ذلك ، نشأت فيما بعد منظمات تعادي الحركة الصهيونية ، وتعمل ضدها ، في مقدمتها « المجلس الاميركي لليهودية العالمية » . كما وان الشعب الاميركي لم يكن ليهش ، لنزوة واغلة ، وبدعة مريبة ، تورث مشاكل لا مبرر لها .

وعند احتدام الصراع بين الصهيونية العالمية والحكومة البريطانية ، بسبب اصدار كتاب « ماكدونالد » الابيض سنة ١٩٣٩ ، الذي يحدد الهجرة الى فلسطين ، ثم يمنعها ، تطلعت انظار قادة الصهيونية الى اميركا، على اعتبار انها ــ بالذات ــ نظرا لقواها الهائلة ، ولنفوذ الاقلية اليهودية فيها ، هي وحدها القادرة على المساعدة لوضع المخططات الصهيونية ، موضع التنفيذ .

وبهذه النية ، اتجه « وايزمن » الى واشنطن ، اول مرة ، سنة ١٩٤٠ ، تحدوه آمال كبار ، وقابل الرئيس « روزفلت » غير ان المقابلة جاءت مخيبة لتطلعاته ، لان روزفلت كان يرى في نفسه ، رسول العناية الربانية ، لانقاذ الانسانية من شرور الحرب . ولذا كان يطمح دائما لان تتسم اعماله بالمبادىء الخلقية ، وكان يرى في الحركة الصهيونية افتئاتا على حقوق الاكثرية من سكان فلسطين العرب ، ويعتقد ان كل حل ، لتلك

المعضلة المفتعلة ، يجب ان يحظى بموافقة اولئك السكان ، وتعاونهم . ولذا رفض رجاء « وايزمن » الضغط على الحكومة البريطانية لالغاء قرارها القاضي بتحديد الهجرة الى فلسطين .

ولم تستكن الصهيونية لذلك الفشل ، بل لعله كان حافزا للاتجاه بكامل ثقلها وقواها الدولية ، لاجتذاب الرأي العام الاميركي ، وتأييد الاقلية اليهودية ، عن طريق وسائل الاعلام وكسب الانصار من اعضاء الحزبين في « الكونجرس » في اجهزة الدولة ، واقامة ركائز لها في البيت الابيض نفسه ، ولم تكد تمضي سنوات قليلة ، حتى كانت الصهيونية قد تغلغلت في المجتمع الاميركي ، بحيث ان الرئيس التالي « هاري ترومان » كان ضالعا معها بقحة عجيبة ، بل كان عميلا لها من قمة رأسه الى اخمص قدميه !

ففي ٣١ اغسطس سنة ١٩٤٥ ، رغب الى رئيس وزراء بريطانيا « كليمنت أتلي » بالسماح بهجرة مائة الف يهودي الى فلسطين ، فلم تستطع بريطانيا ان تجيب بلا او نعم ! لحرصها على مرضاة اميركا من جهة ، ولالتزامها الحاسم بالكتاب الابيض من جهة أخرى ، واختارت طريقا وسطا ، بأقناع « ترومان » لارسال لجنة انجلو ـ اميركية ، الى فلسطين لتدرس الوضع عن كثب ، وتتقدم بتوصياتها عن الحالة ومتطلباتها .

واغتنمت الصهيونية ، ضعف « ترومان » امامها ، فلم تقنع بهجرة المائة الف يهودي فورا ، بل الحت عليه بواسطة «الربي سلفر Rabbi Silver » و « الربي وايز Rabbi Wize » لاستعمال نفوذه بالضغط على الحكومة البريطانية لتسهيل أنشاء حكومة يهودية في فلسطين .. وخضع ترومان للضغوط الهائلة بالرغم من معرفته بأن وعد بلفور لم يشر الى حكومة يهودية ، وانه تضمن نصوصا صريحة للمحافظة على حقوق اهل فلسطين الاصليين ، وأن أنشاء حكومة يهودية هو شعار صهيوني جديد لم يرد في

ذلك الوعد المشؤوم ... هذا بالاضافة الى المبدأ الفقهي القانوني الانساني الدولي الاخلاقي ، بأن الحكومة البريطانية لم تكن الجهة الشرعية لاصدار مثل ذلك الوعد ، فهو بمثابة أعطاء ما لا تملك لمن لا يستحق ..

وبينما كانت الدول الكبرى معنية بايجاد مأوى لليهود الذين اقتلعوا من موطنهم في اوروبا .. وفي المانيا على وجه التخصيص ، كانت الصهيونية تخالف وتعارض أيجاد اي مأوى في غير فلسطين .. واوضح دليل على ذلك ، انه عندما قررت المنظمة الدولية في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ مناشدة الدول الاعضاء فتح ابواب بلادها للاجئين اليهود ، استقبلت الصهيونية ذلك القرار بالامتعاض والفتور ... كذلك عندما أقر الكونجرس سنة ١٩٤٧ القانون القاضي بفتح أبواب الهجرة على مصراعيه، وقفت الصهيونية العالمية من هذا القانون ، موقف الجفوة ، واللامبالاة ، بل موقف الحقد والعداء !

وكان من الواضح الذي لا يقبل الشك ، ان الصهيونية كانت تغذي استشراء مشكلة اللاجئين اليهود ، وتعطيل هجرتهم ، لتتخذ من آلامهم ، وسيلة لتحقيق هدفها الاول في انشاء الدولة اليهودية ، وفي فلسطين بالذات !

وكانت سنة ١٩٤٦ في الولايات المتحدة ، سنة انتخابية لاعضاء الكونجرس ، فلم تترك الصهيونية الفرصة اللائحة ، بل تغلغلت في الحزبين بالمال والنفوذ والتسلط، بحيث تبارى الديمقراطيون والجمهوريون في الحرص على تبني أهداف الصهيونية ، واصدر الرئيس ترومان نفسه بيانا حزبيا طالب فيه ، كرة اخرى ، بهجرة المائة الف يهودي ، وبذا اصبح الحزبان الرئيسيان اللذان يتبادلان الحكم في الولايات المتحدة ملتزمين منذئذ بدعم الحركة الصهيونية ، علانية ، كجزء من برامجهما الحزبية !

وبالرغم من ان موقف حكومة العمال في بريطانيا حينذاك كان موقفا

جادا وحازما في التمسك بمنع الهجرة الموسعة ، خاصة موقف وزير الخارجية مستر « ارنست بيفن » في وجه الحاح « وايزمن » وصفاقته ، فقد اضطرت حكومة العمال بعد لاي للرضوخ لبعض المطالب المتعلقة بالهجرة تحت تأثير الضغط المتواصل من الصهيونية العالمية والالحاح الشديد من الولايات المتحدة ، الذي بلغ حد المساومة على القرض المالي الكبير ، الذي كانت الولايات المتحدة حينذاك تنوي اعطاءه لبريطانيا .

وقد ساهم الضغط الاميركي فيما بعد ، بتعجيل انهاء الانتداب البريطاني في فلسطين ، رغبة من الحكومة المنتدبة في نفض يدها نهائيا من تلك المشكلة الشائكة ، بعد ان اتسعت في المجال الدولي وتعقدت ، الى مرحلة زرع الخصومة بين المتحالفين ... وبعد أن ضمنت أميركا وبريطانيا كلتاهما ، قدرة الاجهزة الصهيونية في فلسطين على تحقيق الحلم الصهيوني ، خاصة وان المقاومة العربية كانت في طور الحذر والاستكانة، بسبب اختلاف الزعماء العرب على الجاه والنفوذ والغنم المادي على حساب القضية المقدسة .

ونتيجة لتلك الضغوط المتواكبة ، اتفقت الحكومتان على ايفاد لجنة مشتركة مؤلفة من اثنى عشر عضوا ـ ستة من كل بلد ـ لدراسة القضية والوصول الى قرار نهائي .

وقد كان خضوع ترومان التام للسيطرة الصهيونية في تلك البرهة ، لطخة سوداء في تاريخ الولايات المتحدة ، ولم يتورع عن حشر بعض كبار انصار الحركة في اللجنة المقترحة ، « كجيمس ماكدونالد وبارتلي كروم Games MacDonald, Bartley Crum » وعلى الرغم من ان قرار اللجنة، لم يرض العرب واليهود ، الا انه تبنى اهم القضايا العاجلة ذات الاهمية القصوى في نظر الصهيونية وهي المطالبة بهجرة المائة الف يهودي على الفور . وسجل من جهة أخرى فشلا ذريعا في اقتراح حلول عملية يرضى

بها الطرفان ، أذ أن كل ما استطاع الايصاء به ، اقتراح اقامة «كانتونات» عربية ويهودية تحت الاشراف البريطاني •

وقد أثار موقف الرئيس « ترومان » المتجني المنحرف ثائـرة مستر « ارنست بيفن » وزير خارجية بريطانيا ، الذي كان يتمتع فـي المحافـل الدولية بسمعة خلقية ممتازة ، فلم ينس وهو يعلق على فشل اللجنة فـي مجلس العموم البريطاني ، التنديد بموقف « ترومـان » وخضوعه المريب للصهيونية ، وقال بالحرف الواحد : « لقد كان بأمكان حكومته ان تجد حلا مرضيا للمشكلة ، لولا تحيز وتعجل مستر ترومان •• وفـي القضايا الدولية لا يمكن التوصل الى حلول مرضية ، اذا استعملت تلـك القضايا مادة للمزايدة والمساومة في انتخابات محلية ! ان هـدف الصهيونية من أدخال مائة الف يهودي ، ليس حلا معقولا لمعضلة أنسانية بل هم يريدون ذلك كخطوة في تهجير ملايين اليهود ، لتتوفر لهم الاكثرية ، تقيـم دولـة صهيونية ، ولست أعتقد ان هناك مبررا أخلاقيا لهذا الطلب ، خاصة وان وعد بلفور لم يلتزم نحو الصهيونية وحدها ، بل التزم نحو المجتمع القائم الذي لا ينبغي لنا ان ننساه ! » •

وكانت نتيجة ذاك الفشل ، وذلـك التصلب ، ان قامت قيامـة الصهيونية العالمية على بريطانيا ، متناسية ما قدمته للحركة المجرمة مـن خدمات جلى ، توشك ان تصل الـى تحقيق حلمهـا الاسود ، ومضت العصابات الصهيونية في فلسطين ، على طيتها ، تشن على سلطات الانتداب، حربا لا هوادة فيها من الرعب والتخريب واراقة الدماء ، يرافق ذلك حركة سرية نشطة ، للتوسع في الهجرة غـير المشروعة ، ووجدت الحكومـة البريطانية نفسها في مأزق لا تحسد عليه ، فلا هي تستطيع اتخاذ اجراءات رادعة ضد العصابات الصهيونية المجرمة ، وما تزرعه في الارض المقدسة ، من خراب ودمار وتقتيل ، خشية اغضاب مستر « ترومان » في وقت هي أحوج ما تكون فيه الى رفده ودعمه وتأييده ، ولا هي تستطيع السكوت

على الجرائم المثيرة ، فكان ان اختارت أهون الشرين ، بأعلان رغبتها في نفض يدها من المشكلة وانهاء الانتداب ، وايداع القضية برمتها لدى هيئة الامم المتحدة .

وهكذا كان .. فقد طلبت الحكومة البريطانية من الهيئة في الثاني من نيسان سنة ١٩٤٦ ، ادراج القضية الفلسطينية في جدول اعمال الهيئة العامة .

وقصة القضية في المنظمة الدولية ، قصة مجللة بالخزي ، توجت في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ ، بأقرار مشروع التقسيم ... تقسيم الارض العربية المقدسة الى ثلاثة اجزاء ، بل أشلاء : دولة عربية ودولة يهودية ، ومنطقة دولية في قطاع القدس !

ورفض العرب القرار .. وتلقفته الصهيونية ، بنشوة وشغف بالرغم من عرفانها انه غير قابل للتنفيذ عمليا ، اذ تعترف المنظمة الدولية ، لاول مرة في تاريخ الحركة الصهيونية ، بالقومية اليهودية ، وتمنح اليهود حق اقامة دولة مستقلة ذات سيادة في وطن أناس آخرين . وفي اعتقادي ان المنظمة ، ساعة اقرارها مشروع التقسيم ، قضت على فكرة وجودها ، وكتبت صك انهيارها . لان قرارها ، فوق مجافاته لكل عقل ومنطق وضمير ، يخالف ميثاقها مخالفة فاضحة ، بحرمان الاكثرية الساحقة من سكان بلد اصليين ، مقيمين فيه بصورة مستمرة ودائمة منذ آلاف السنين .. حرمانهم من حق تقرير المصير .. وموافقتها الضمنية على كل ما ارتكبته الصهيونية في فلسطين من جرائم بشعة ، بتشريدها سكان البلاد، بالفتك والتنكيل والارهاب ، وتهجير الوف اليهود من اوروبا ، والعالم ، ليحتلوا دورهم ومساكنهم وأراضيهم وممتلكاتهم ، ثم ترحيبها باسرائيل عضوا مكرما معززا في الاسرة الدولية . وقبل ان يجف مداد قرار التقسيم ، اعتدت العصابات الصهيونية على أطراف شاسعة من الجزء

المخصص للعرب ، وضمتها الى دويلتها عنوة وقسرا تحت سمع المنظمة الدولية وبصرها ..

لصوصية وسرقة واغتصاب !

* * *

وتتساءل اليوم ، وبعد حرب الخامس من حزيران ، هل اكتفت أو تكتفي الصهيونية بما تحت يدها من أراض عربية !؟

جوابنا على هذا هو النفي القاطع .. ذلك ان الصهيونية هي ظاهرة نازية عنصرية مبنية على الخرافات والاساطير ، ولم يكن قرار التقسيم الا خطوة اولى من مخطط اجرامي عريق .. وتبقى خطوتان اخريان تنتظران التحقيق ، أولاهما تشجيع أكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد للتجمع في فلسطين ، وثانيتهما التوسع والتمدد في قلب المنطقة العربية للوصول تدريجيا ، بصبر ودأب واقتحام ، الى حدود « أرض اسرائيل Eretz Israel »

من هرتزل سنة ١٨٩٧ الذي وضع اسس الحركة الصهيونية ، كما سبق ايضاحه ، الى الخامس من حزيران ، كانت الاهداف محددة ، والمخططات مدروسة مهيأة ، وكانت الرؤية والرؤيا معا واضحتين وضوح تلك الاهداف والمخططات ، فنشطت الحركة ، تعمل بجد وعزم ، تحني رأسها للاعاصير احيانا ، وتشرئب لمقارعة الحتوف ، احيانا ، تشري وتبيع ، وتساوم وتزايد ، وتتجمع وتقتحم ، حتى استطاعت ان تصل الى بعض هدفها ، وهي لا تني جادة لتحقيق الكثير الكثير !

لقد كانت الاطماع الاقليمية لاسرائيل ، وستظل ، هي الهدف البعيد ، ولم يخف قادتها ، ايمانهم بهذه الاهداف ، كما وان برامج ودساتير معظم الاحزاب الصهيونية ، تتضمن سياسة توسعية ، تهدف الى تحقيق حلم « أرض اسرائيل » .

لقد واكبت هذه الاطماع الحركة الصهيونية منذ نشأتها الى الآن .

ففي سنة ١٩١٩ ، تقدمت المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح في

باريس ، بعريضة تطلب فيها ، أدخال شرق الاردن، وجبل الشيخ وحوران، ولبنان الجنوبي ضمن حدود فلسطين ، لتكون مشمولة بوعد بلفور ، فتصبح في المستقبل جزءا من كيان اسرائيل • وقام « وايزمن » سنة ١٩٢٠ بالاتصال بالسلطات الفرنسية لاقناعها بأن لبنان الجنوبي هو جزء من أرض اسرائيل •

وبالرغم من ان الكتاب الابيض ، الذي أصدره « تشرشل » سنة ١٩٢٢ ، اخرج شرق الاردن من المؤامرة ، وبالرغم من ان السلطات الفرنسية ، قد رفضت ، الاخذ بوجهة نظر وايزمن ، فأن ذلك لا ، ولن يثني الصهيونية عن التمسك بحدود « أرض اسرائيل » والايمان بقدرتها على ذلك ، عندما تواتي الظروف •

وقد كشف النقاب مؤخرا عن الخطاب الذي وجهه « بن غوريون » بعد حرب حزيران ، الى الجنرال « ديغول » وقال فيه : « لعلك تذكر يا سيدي الجنرال ، لقاءنا في يونيو سنة ١٩٦٠ ، لقد سألتني حينذاك : ما هي أفكاركم الحقيقية عن الحدود الفعلية لاسرائيل ، أخبرني عنها ، ولن اقول لاحد !•• لقد أجبتك عندئذ قائلا : لو أنك سألتني هذا السؤال منذ خمس وعشرين سنة ، لاجبتك ان الحدود التي نريدها ، هي نهر الليطاني شمالا ، ونهر الاردن شرقا • أما جوابي على سؤالك الآن ، فأقول لك : ليست لنا أية مطامع اقليمية ، **في الوقت الحاضر** » •

فأذا لم يع العرب ــ وهم لم يعوا للان مع الاسف ــ أبعاد المؤامرة الصهيونية ، ويواجهوها ــ قبل أن تستفحل ــ بنفس تخطيطها وأساليبها المدروسة ، ووضوح أهدافها ، وصلف قادتها ••• فسيصبح الحلم ، حقيقة ، غير بعيد !

- ٣ -

بتاريخ ١٢ ـ ١ ـ ١٩٦٤ دعيت لالقاء كلمة فـي أعضاء « جمعية المواطنين الاميركية » ، وهي جمعية قامت في الولايات المتحدة في اعقاب مباشرة السلطات الاسرائيلية استكمال مراحل تحويل مياه الاردن .

والاعضاء المؤسسون لتلك الجمعية ، هم رهط مـن كبار الساسة الاميركيين ، ورجال المال والاعمال المعروفين بحيدتهم ونزاهتهم في النزاع بين الـدول العربية واسرائيل ، وقد آلمهم تحيز حكومتهـم السافر للصهيونية ، وخضوعها لنفوذها ، فهبوا يبصرون الشعب الاميركي الطيب الساذج ، الذي لا يعرف من المأساة الا وجهها اليهودي الزائف ، بالظلـم الصارخ ، الذي تعرض ويتعرض له العرب ، مـن جـراء مساهمة الدول الكبرى ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة في قيام اسرائيل ، وما نجم عـن ذلك من جرائم أخلاقية وانسانية ، ضد السكان الاصليين فـي فلسطين ، والدول المجاورة لها ... وآخر تلك الجرائم ، اعتـزام اسرائيل اختلاس المياه العربية بتحويل نهر الاردن ، واستغلال مياهه فـي أرواء منطقـة النقب ، واستصلاحها لاستقبال مئات الالوف من المهاجرين الجدد ، ودلالة ذلك العدوان على نوايا اسرائيل التوسعية في المنطقة .

وكان قيام الجمعية ، نذيرا للمسؤولين الاميركيين ، خاصة وانهـا قامت بعد انعقاد مؤتمر القمة الاول سنة ١٩٦٣ ، وما اتخذ فيه من مقررات جادة هادفة ، تجمع الشمل العربي ، وتخطط لاجراءات عاجلـة ، لاحباط

المؤامرة الصهيونية ، وذلك بتحويل مصادر المياه العربية ، التي ترفد نهر الاردن في كل من سوريا ولبنان •

وكان موضوع الكلمة التي القيتها في نخبة من أعضاء الجمعية ، صبيحة ذلك اليوم ، في فندق « شورام » بواشنطن : قصة تحويل مياه النهر ، بكونها القضية التي كانت تشغل المحافل الدولية في تلك البرهة •

وكانت الحجج التي سقتها لتأييد الموقف العربي ، وشجب المؤامرة الاسرائيلية ، تتلخص فيما يلي :

١ ـ ان مياه نهر الاردن ، لا تكفي لارواء ضفتي النهر ، ولذا فأن ضخها لمسافات بعيدة ، مخالف للاعراف والقوانين الدولية •

٢ ـ ان امتصاص أية كمية من مياه النهر ، مهما ضوءلت ، ستؤثر تأثيرا مباشرا على الاراضي التي يرويها النهر •

٣ ـ ان التحويل سيزيد في نسبة ملوحة المياه المتبقية ، ويجعلها غير صالحة للري •

٤ ـ ان التحويل يتعارض مع الحقوق الطبيعية والتاريخية للاراضي ، التي تكون حوض النهر ، وتروى بمياهه •

٥ ـ ان تحويل النهر ، سيقلص البحر الميت بالنظر لشدة تبخر المياه فيه ، وبالتالي سيقلل من جدوى الصناعات المنشأة عليه ، او يقضي عليها قضاء مبرما •

٦ ـ سيؤدي التحويل الى جفاف مجرى النهر تدريجيا ، وبذا يعفي على المواقع الاثرية والدينية على حافتي النهر المقدس ، وهي ملك الانسانية كلها •

٧ ـ هدف المشروع الاسرائيلي ، أرواء منطقة النقب ، لجعلها صالحة لسكنى مئات الالوف من المهاجرين الجدد ، مما يعقد القضية ، ويقضي على كل أمل في حل سلمي • ويكشف نوايا اسرائيل التوسعية ، في الوقت

الذي تتجاهل فيه قرارات مجلس الامن والمنظمة الدوليـة المتلاحقة بشأن عودة اللاجئين او تعويضهم !

الى آخر ما سقته ، ونبهت اليه ، وليس هو على اي حال ، موضوع هذا الحديث •••

واهتبلت الفرصة السانحة • والاميركيون ـ اشهد ـ شعب طيب القلب ، ينفعل للمواقف الانسانية بحسن نية ، ويحاول ، خاصة من كانوا في مستوى الجمع الذي خاطبته ذلك الصباح ، تفهم الامور وتمحيصها ، والتزام جانب الحق ، والتجاوب مع المنطق والحجة •

اغتنمت الجو الصديق الذي وجدتني أتفاعل معـه ذاك الصباح ، لاقول برأيي ، بصراحة مطلقة ، في المخاطر المحيقـة بمستقبل الولايات المتحدة ، التي نشأنا منذ الصغر نحسب انهـا قلعة الحرية والديمقراطيـة في العالم ••• من جراء تغلغل النفوذ الصهيوني في اجهزة الدولة عـن طريق الدعاية والمال •• والاصوات الانتخابية !

وكانت بعض المنظمات المستنيرة ، ومن ضمنها « المجلس الاميركـي لليهودية العالمية » المناهض للصهيونية ، قد نهدت تلك الايام تنبه الـى قصة الولاء المزدوج ، تعني بذلـك ولاء اليهـود الاميركيين المنتمين للصهيونية ، لاسرائيل ، قبل ولائهم للولايات المتحدة ! وما ينطوي عليـه ذلك الاتجاه ، من خطر مباشر على الكيان الاميركي ، والقومية الاميركية، ••• وتكشف النقاب في تلك الايام أيضا ، عن التحقيقات التـي اجرتها لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، برئاسة الزعيـم الديمقراطي المعروف « فلبرايت » حول النشاط المريب الذي تقوم به بعض المنظمات الصهيونية لجمع الاموال باسـم مساعدة اللاجئين والمهاجرين اليهود ، ثم انفاق تلك الاموال الطائلة المعفاة من الضريبة فـي الولايات المتحدة نفسها ، لشراء الضمائر والعقول ، وبـث الدعايات المضللـة و « غسل دماغ » المواطن الاميركي العادي لتأييد وجهة النظر الاسرائيلية،

... ناهيك بتقصير الدعاية العربية المشين في هذا السبيل ، بل تعريضها مقاتل القضية العربية الحقة لاعدائها ، بلسان الفوغائيين من قادة العرب ، الذين كانوا يحتلون الميادين العامة ، في تلك البرهة التعيسة ، ليعرضوا بضاعتهم من الدجل والتهويش والمواقف العنترية الدونكيشوتية ، لاستجداء تصفيق القطيع المسكين ، المغلوب على أمره ، فتستغل الصهيونية اللئيمة الغادرة ، لكن العليمة الواعية ، ذلك أبشع استغلال !

اغتنمت تلك الفرصة التي قل ما تهيأ لي مثلها ، لاخاطب الضمير الاميركي ، بانفعال صادق ينضح حرارة واخلاصا ، ومرارة وأسى ... قلت بالحرف الواحد :

أيها السيدات والسادة

« يطيب لي في ختام هذا الحديث ، أن اتوجه بالشكر والتقدير الى جمعيتكم الفتية الراقية ، لما قامت به من أعمال بناءة خلال برهة وجودها القصيرة ... بتبسيطها وتوضيحها ، قصة النزاع العربي ــ الاسرائيلي .. تلك القصة التي ظلت خافية على هذا الشعب الطيب ، بسبب سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام الاميركية ، وجهدها الدائب ، لتجهيل المواطن الاميركي العادي ، وغشه ، بالارهاب الفكري ، وشراء الضمائر والتمويه والخداع ، ومسخ كل جهد حقيقي ، يهدف الى أطلاع هذا الشعب النبيل على الجانب الآخر من المأساة ! !

وأود أن أذكركم هنا ، بالتحقيق الذي أجرته مؤخرا لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، في مايس واغسطس الماضيين حول نشاط الممثلين غير السياسيين لجهات خارجية ، مشيرا بصورة خاصة ، الى كلمة الافتتاح التي القاها رئيس اللجنة ، السناتور « وليام فلبرايت » وقال فيها : « ان ممثلي الوكالة اليهودية مكلفون من قبل دوائر العدل ، بتصنيف المبالغ الجسيمة التي أنفقوها داخل الولايات المتحدة ، خاصة ما جاء منها تحت بند ، « الاعانات والمساعدات المالية » ، أو بند

« رواتب الانصار والمحاسيب •• ! »

وقد ثبت فيما بعد في محاضر التحقيق المنشورة « في وثائق مجلس الشيوخ الرسمية » ان الوكالة اليهودية قد أنفقت في الولايات المتحدة من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٦٢ مبلغ خمسة مليارات ومائة مليون دولار على الجهات السالفة الذكر ، لتغطية الجرائم الاسرائيلية المتكررة في منطقة الشرق الاوسط !

لقد تسنى لي خلال اقامتي كسفير لبلادي في هذا البلد العظيم ، ان ادرس حركة الاقليات ، وتأثيرها في المجتمع الاميركي ، وكانت حصيلة تلك الدراسة ، أن نشأت في أعماق نفسي ظنون ، غذتها وروتها مطالعات وقراءات واتصالات ، بأن هناك منذ مطلع هذا القرن علاقة سرية وثيقة ، بين حركة الصهيونية العالمية ، وحركة الفوضوية الدولية التي افسدت الماركسية •• وان حكماء صهيون الجدد يمارسون لعبة بالغة الخطورة ضد سلامة الانسانية وأمنها واستقرارها •

وأسوق لتوكيد تلك الظنون ، الخواطر والملاحظات التالية :

في سنة ١٩١٢ صدر في بريطانيا كتاب بعنوان « برنامج عنصري للقرن العشرين A Racial Program for the 20th. Cent » للكاتب الصهيوني الشيوعي « اسرائيل كوهن Israel Cohen » جاء فيه : « يجب ان نعلم ان امضى أسلحة حزبنا ، هو استغلال الهياج العنصري ، وللتوصل الى انتصار الحزب في أميركا يجب ان نثير الاقلية الملونة ضد الاكثرية البيضاء وبذا نخلق في الاكثرية عقدة الشعور بالذنب ، ونهيىء المجتمع للارتماء في أحضاننا » !

وما يجري في الولايات المتحدة اليوم ، هو مصداق نبوءة الكاتب الصهيوني الشيوعي ، وكأنه يتلقى الالهام من شرفات الغيب !

وفي السادس عشر من شهر ايلول سنة ١٩٢٠ قام ارهابيون فوضويون ، بوضع متفجرات في شارع المال في نيويورك «Wall Street»

أدت الى مقتل عدد كبير من المواطنين الاميركيين ، وأثبت التحقيق الذي أشرف عليه النائب العام « بالمر Palmer » ان تلك الجريمة من صنع عصابة سرية ، معظم أعضائها من الفوضويين والصهيونيين الروس ، وأن من زعماء تلك العصابة « الكسندر بيركمان Alexander Berkman » وايما جولدمان Emma Goldman » وهما صهيونيان .

ثم ان المجرم « كزولكوز Czolgosz » الذي اغتال الرئيس « ماكنلي Mackinley » هو احد اتباع ايما جولدمان المشار اليها .

وبمقارنة هذا الحدث ، بحادث اغتيال الرئيس « كندي » في دالاس بتكساس في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ ، يبدو وجه الشبه العجيب ، اذ ان « اوزولد Oswald » قاتل « كندي » ، كان ينتمي الى عصابة سرية اسمها « Fair Play For Cuba » يرأسها يهودي صهيوني هو « V. T. Lee » ان هذا ليس محض صدفة !

ان هذا التزاوج بين الصهيونية العالمية ، والعدمية « Nihillism » يقوم على عقيدة واحدة ، وأساس واحد ، هو أزالة وتحطيم كافة القيم الخلقية والمفاهيم الانسانية ...

ثم ... من هم قادة الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧ ؟
هم « Trotsky, Bronstein, Sobelson, Zinovief, Rosenfield, Steinberg, Zilberstein »
وخلافهم ، وهم جميعا فوضويون عدميون ، حرضوا « لينين Lenin » على أفساد مبادىء ماركس ! ثم جاء « ستالين » فكان الانحراف الكلي !

ولست أجيئكم بجديد حين أقول لكم ان اليهود الروس المنتمين الى الصهيونية الذين هاجروا الى هذه البلاد ، في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن ، والذين كانت تربطهم بزعماء الثورة المنوه بهم آنفا صداقات متينة ، أخذوا منذئذ يبذلون كل جهد للسيطرة على الاذاعة والصحافة والتلفزة ، وكل وسائل الاعلام الاخرى ، وكللت مساعيهم

بالنجاح الغريب العجيب ، المنقطع النظير !

ان محطات التلفزة الوطنية الثلاث الكبرى في الولايات المتحدة اليوم ، يحتكرها يهود روس :

رئيس مؤسسة N.B.C. « روبرت سارنوف « Robert Sarnoff »

هو يهودي روسي !

مدير C.B.S. « ويليام بالنسكي « William Palinsky

هو يهودي روسي !

رئيس مجلس ادارة A.B.C. « ليونارد جولنسون Leonard Golenson

هو يهودي روسي كذلك !

جريدة النيويورك تايمز يملكها « سلزبيرجر « Sulzberger

وهو يهودي روسي !

جريدة واشنطن بوست، تملكها عائلة «ايوجين ميير « Eugene Meyer

وهو يهودي روسي !

جريدة نيويورك بوست تملكها « دوروثي سكف « Dorothy Schiff

وهي يهودية روسية ... الى آخر ذلك ، والامثال كثيرة لا يحصرها العد ، فهل كل هذا التوافق العجيب ، محض صدفة !؟

ثم ان اوزوالد ، قاتل الرئيس « كنيدي » هو فوضوي ، لكن روبنشتاين ، قاتل القاتل ، ربما ليقفل فاه الى الابد ، هو صهيوني !؟

ومستر « ويزمن « Weissman الذي سافر ألفي ميل من نيويورك الى « دالاس » لينشر اعلانا في صحفها المحلية ، يتهم فيه الرئيس كندي ، يوم وصوله اليها واغتياله فيها ، هذا الرجل هو صهيوني كذلك !؟

فهل كل هذا التوافق الغريب ، محض صدفة !؟

تاريخ الخيانة القومية والجاسوسية في هذه البلاد ، ابتدأ ، « بيوليوس وأثل روزنبرج « Julius & Ethel Rosenberg

وانتهى بماستون سوبل Maston Sobel وهمُ جميعا صهيونيون !

هل هذا مجرد صدفة !

كلا ايها السادة ، لا يمكن ان تكون كل هذه الاحداث ، وكل تلك الجرائم ، وكل ذلك التوافق العجيب بينها ، قد وقع محض صدفة ، ان وراء ذلك كله خطة محكمة ، وتدبيرا محبوكا ، مرده الى ان ولاء الصهيوني الاميركي ، هو لبروتو كولات حكماء صهيون ، ولاسرائيل المصنوعة من الدسيسة والاجرام ، قبل ان يكون لاميركا !

ايها السادة والسيدات

أعذروني للمرارة التي تشيع في كلماتي ، والاسى الذي يقطر منها ، ان محبتي لهذا الشعب النبيل ، قولتني ما قلت ، وهدفي اولا ، واخيرا ، الحرص على استمرار الصداقة والمودة والتعاون بين هذا الشعب وبين الشعوب العربية •

لقد آن لقادة الرأي في هذا البلد ، أن يعوا هذه الحقائق المخيفة ، وان يعرضوها للناس ، ليواجهوا الاخطار الراصدة عند كل منعطف ، قبل فوات الاوان •

* * *

واشهد لقد كان تأثير كلامي في المستمعين ، فوق ما توقعت ، ونشطت الجمعية ، بعدئذ ، نشاطا ملحوظا ملموسا ومضى كبار أعضائها يطوفون الولايات المتحدة ، يحاضرون ويحدثون ويكتبون • وتجربتي خلال السنوات الثلاث التي قضيتها سفيرا لبلادي في اميركا ، اكدت لي حقيقة لا يأتيها باطل ، هي ان معظم قادة الرأي هناك ، يضمرون الحذر والريبة من الحركة الصهيونية ، وهم لو وجهوا بدعاية عربية صادقة مخلصة حثيثة ، لما وقع المحذور ، ولما بقي المجتمع الاميركي موطنا سهلا ، ومرتعا خصبا ، لافك الصهيونية اللئيم !

ونحن ــ والله ــ لو بذلنا عشر معُشار الجهد الذي اضعناه ، في دوامة الشعارات ، وتكريس الارهاب الفكري ، وتفتيت الصف العربي . لو بذلنا عشر معشار ذلك الجهد ، في أقامة أجهزة دعائية مخلصة قديرة جريئة ، تحمل مأساة الوطن المضيع ، والشعب المشرد ، الى كل ركن في الدنيا ، وفي يدها سلاح الحق والمنطق ، لما واجهنا اليوم خزي الهزيمة ، وذل الانكسار !!

وليتني أدري ، هل هزت النكبة ، أعماق نفوسنا ، لننتصر على الهوان الذي في نفوسنا ، فنواجه الحقائق المرة ، بالتفكير السليم ، والمنهاج القويم ، والصدق في القول والعمل والنية لخلق الانسان العربي الجديد !؟

ليتني أدري !؟ وليت قومي يعقلون !؟

— ٤ —

لالقاء مزيد من النور على قصة النفوذ الصهيوني في اميركا ، ونشاط عملاء اسرائيل المستمر لتضليل المواطن الاميركي العادي ، الـذي يؤمـن أيمانا أعمى بما تنشره وتبثه وسائل اعلامه ! في معزل عن أي نشاط عربي جاد ، لايضاح الحقائق ، وفضح الدسائس ، وكشف المغالطات ، وتعريف ذلك الشعب الساذج بأكبر جريمـــة عرفها التاريخ ، تآمرت قـــوى الصهيونية ، والاستعمار ، باجتراحها أزاء شعب آمن مسالم ، حرم مـن حقه في تقرير مصيره .

أذكر ، بمرارة وحسرة ، أنني في زيارتي الاولى للولايات المتحـدة سنة ١٩٥٦ ، بدعوة من الحكومة الاميركية ، زرت عددا مـــن الجامعات والمؤسسات العلمية ، في الولايات الوسطى والغربية . وكنت أفاجأ فـي كل مكان ، بالدعاية الصهيونية المنظمة ، تغزو تلـك المؤسسات وتغرقهـا بسيل لا ينقطع من المطبوعات والاحصاءات والكراسات الدقيقة والمعلومات الموسعة ، عما أنجزته أسرائيل مـن تقدم علمي وحضاري وتكنولوجي ، ودراسات مقارنة عما حققته اسرائيل بالقياس الى الوضع السائد قبل قيام دويلة الغصب والعدوان من جهة ، والى التأخر الحضاري ـ على زعمها ـ في البلدان المجاورة ، من جهة اخرى !

واترك للقارىء ، تقدير مدى التأثير الذي تحدثه مثل تلك النشرات الملحة ، في نفوس الجيل الاميركي الطالع ، الذي اصبح الآن ، وبعد مضي اثني عشر عاما ، في مراكز القيادة والنفوذ والتوجيه .

ولقد قال لي حينذاك العديد من الاساتذة ، حينما كنت أتساءل وأعتب ، لافساحهم المجال للدعاية الصهيونية ومخططاتها واكاذيبها ، وحرمان الطلاب من التعرف الى حقيقة المأساة ! وحقيقة المظالم والجرائم التي ارتكبت بحق الانسان العربي ... قالوا لي : ان الذنب يقع على العرب ، الذين لم يستطيعوا مجاراة الصهيونية ، ولم يحسنوا القيام بأي نشاط جدي معاكس ، لفضح اساليبها ونواياها وتفنيد أكاذيبها ودعاواها !

وكنت أعلم ان الجامعة العربية قد أنشأت عددا كبيرا من المراكز الاعلامية في الامريكتين واوروبا ، بعيد قيام أسرائيل ، للنهوض بمثل تلك الاهتمامات ، وكنت أعلم ـ بخاصة ـ ان في نيويورك وواشنطن وشيكاغو ، وسان فرانسيسكو ، وغيرها من المدن الكبرى ، مراكز اعلام عربية يتولى الاشراف عليها المكتب الرئيسي في نيويورك ، ومديره حينذاك السفير كامل عبد الرحيم .. وان الجامعة تنفق على تلك المكاتب مبالغ طائلة ، من دم المكلف العربي .. وعجبت ان لم يخطر ببال ذلك الجيش اللجب من الموظفين والمسلكيين زيارة تلك الجامعات والمؤسسات وأشباهها ، وماذا ترى تفعل تلك المكاتب اذن ؟!

وهزني الشعور القومي المشوب بالفجيعة ، فكتبت الى الاستاذ كامل عبد الرحيم ، أذكر له ما شهدت ، وألوم واعتب ، وادل على هذا النقص المزري ، واناشده العمل على سد ذلك الفراغ في اقرب وقت ممكن .

وسيفجع القارىء العربي معي ، لو أعلمته ان المدير الهمام المشار اليه أجابني برسالة عريضة طويلة ، تبرر التقصير ، بمعاذير هي أقبح من الذنوب ، وارفق كتابه بنشرة دورية يصدرها المركز الرئيسي ، فقلت لنفسي : لعل له عذرا وانت تلوم ؟

وهجمت على قراءة النشرة من الغلاف الى الغلاف ، لعلي اجد فيها ما يشبع تطلعي ... فماذا وجدت ؟. سيحزن القارىء العربي معي لو أعلمته ان ما تضمنته النشرة ، كان مجموعة من المقالات الانشائية التقريرية

السخيفة .. منها مقال عن « الطعمية » المصرية ! ـ هكذا والله ـ ومقال عن المطبخ العربي ـ هكذا والله ! ومقال عن عادات الزواج عند العرب ـ هكذا والله ـ ومقال آخر او اخير عن جبران خليل جبران .. وهو معروف في أميركا اكثر مما هو معروف في الشرق الاوسط ، بحكم نشأته وثقافته فيها واصدار اكثر كتبه المشهورة باللغة الانكليزية !.. الى آخر تلك النفايات ! فعرفت حينئذ كما لم اعرف قط ، اين تذهب اموال الجامعة العربية . وعرفت لماذا تغزو الدعاية الصهيونية المضللة ، الشعب الاميركي الساذج البسيط ، حين تكون تلك الدعاية هي مادته الوحيدة لمعرفة ما يجري في هذا الجزء من العالم !

ولقد كان سلوك القادة العرب ، من ناحية اخرى ، بما يقولونه في الميادين العامة ، وبما يفتعلونه من مواقف مضحكة لاستجداء التصفيق ، ولو بوأد الحقيقة والمجازفة بمقدرات أمة ، كان ذلك عونا مسعدا لتغلغل الدعاية الصهيونية في كافة الارجاء ، واستيلائها المطلق على الرأي العام في العالم ، وتوجيهه حيث تشاء ! حتى لقد أصبحت الفكرة السائدة ، هي العطف على اسرائيل، الدويلة الصغيرة، المنتسبة الى الاسرة الدولية ، التي تضم شتات من قاسوا ويلات الحروب ، فماذا يريد العرب اذن بتلك الدويلة البائسة المنكوبة ، التي ترنو الى العيش مع جاراتها بسلام ... ولماذا تعد الدول العربية الهمجية ، عدتها ، وتشحذ سلاحها ، لمص دم اسرائيل ، والتنكيل بأبنائها ، وقذف من بقي منهم حيا في البحر !!

بهذا المنطق الكاذب المضلل ، عبأت الصهيونية العطف العالمي ـ الذي يكتفي بالسطح ولا يهتم بالاعماق ـ لمصلحتها ، بينما العرب سائرون في غيهم ، ينهش بعضهم لحم بعض ، ويضمر بعضهم لبعضهم الآخر من الحقد والعداء والكراهية ، اكثر مما يضمره الجميع او معظمهم لاسرائيل !

وهكذا مضى المسؤولون الاميركيون ، الضالعون مع اسرائيل ،

يتصرفون على هواهم دون رقيب ... حتـــى أصبح انحيازهم لاسرائيل مطلبا قوميا يستقطب الجماهير .. وتعتنقه الاحزاب السياسية المتطاحنـة على الحكم ، وتحسب له في موازينها الانتخابية أعظم حساب !

ومضى كبار الساسة فـــي الكونجرس ممـــن اشترت الصهيونية ، ضمائرهم يوالون حملاتهم على العرب ، بقحة لا مثيل لها ، مطمئنين الى ان الرأي العام الاميركي يهضم مثل تلك الحملات المغرضة ، بـل يهش لهـا ويسر ، لانها تتجاوب مع ما استقر في النفوس من العطف على اسرائيل ! ولقد بلغت الصفاقة بأحد هؤلاء المدعو « مولتر « Multer » ان يقف في الكونجرس ، امام لجنة الشؤون الخارجية ، فينصح الحكومة بـــأن تضع حدا للتسول العربي وان تصرخ في وجوه القادة العرب : ان سياستنا في الشرق الاوسط لن تتبدل ، سيان لدينا قبولكم او رفضكم !

ولم يكتم الرئيس « ترومان » الاعتراف في مذكراته ، بأنه اتخـذ قرار الاعتراف باسرائيل فور قيامها ، تحت ضغط هائل مـــن مستشاريه اليهود ، وفي وجه معارضة صارخة مـــن كبـار المسؤولين فـي وزارة الخارجية الاميركية !

ولم يستح الشيخ « أوهارا » عضو لجنـة الشؤون الخارجية ، أن يقول أثناء مناقشة برنامج « ايزنهاور » لمساعـــدة دول الشرق الاوسط سنة ١٩٥٧ : « ان اسرائيل لا تمثل في المنطقة المبـــادىء الديمقراطية فحسب ، بل هي تمثل المجتمع الصناعي الحديث الـــذي يهدف لمساعدة بقية دول المنطقة المتأخرة ، على احراز التقدم ، ورفع مستوى المواطنين ، فتصبح اسرائيل دولة صناعية ، تحيط بها دول زراعية ، فيتفاعل الجميع ، ويتعايشون بسلام ! » . ولم يتورع الشيخ المحترم ! عن أن يشفـــع تمنياته اللئيمة بحجج صبيانية منها مثلا : ان الله ليس محتكرا ، ولا هو يشجع الاحتكار ، لقد خلق لنا هذه السيارة ... هذه الارض المعطاءة ، ولست أعتقد ان الله يقر من يقول منا : « ان هذا الجزء من الارض هو

حكر لي ، لان آبائي وأجدادي قد عاشوا فيه آلاف السنين ، ولذا يجب أن أتملك هذه الارض وحدي الى نهاية الخليقــة ، سواء كنت في حاجة اليها أم لا ، فأقصي عنها من يستحقها أكثر مني !! » .

هكذا .. هكذا ... الى آخر هذه التبريرات الديماغوجية والحجج الواهية ، يقذفها صاحبها ، باستعلاء وتبجح ، وكأن الامر كله لا يعــدو أن يكون تسلية هينة ، وانتقام أحمق ، دون أي وازع مــــن شرف أو ضمــــير !

غير ان المجتمع الاميركي ــ في الحق ــ لم يخل مــــن المنصفين الذين أعيى الصهيونية اختلاس مروءاتهم ... مع ان العرب مع الاسف ، لم يحسنوا استغلال مواقف أولئك الشرفاء !

من ذلك مقال كتبه الاب المحترم رالف جورمان « Ralf Gorman » من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية في مجلة « The Sign » في عددها الصــــادر في نيسان سنة ١٩٥٧ جاء فيه ما يلي :

« يسألني الكثير من القراء عن سبب اهتمــــامي بمشاكل الشرق الاوسط ، خاصة الارض المقدسة ، وأنا آسف لاضطراري الى استعمال ضمير المتكلم في الاجابة على ذلك التساؤل ..

« لقد قضيت في القدس ثلاث سنوات (١٩٢٥ ــ ١٩٢٨) أدرس معالم البلد المقدس ، وطوفت في فلسطين فلم أدع ركنا فيها لم أزره .

« لقــــد كانت فلسطين ، حينذاك ، بلدا عربيا بكل ما تعنيه هذه الكلمة ... كنا نتجول بين غزة وبئر السبع والى الحدود السورية فــي الشمال .. وبين حيفا ويافا على البحر الابيض المتوسط ، ونجتاز أحيانا بحيرة طبريا ، شرقا الى مؤاب ، فلا تقع أعيننا علــى يهودي واحد .. كان هناك قلة ضئيلة منهم منثورة في المدن الكبرى وفي بعض القــرى التعاونية النائية . وكانت « تل ابيب » قرية صغيرة . والطابــع العام للبلاد ، كان عربيا محضا .. الاهلون عرب .. الاراضــي عربيــة ...

المجتمع في القرية والمدينة ، هو مجتمع عربي متكامل ..

« ثم زرت البلاد المقدسة مرة ثانية سنة ١٩٥٣ ، فماذا وجدت ؟ المناطق الجنوبية والغربية والشمالية يحتلها أجانب جاؤوا من أوروبا الوسطى ، بعد ان طردوا منها سكانها الا صليين ، وحجتهم ان آباءهم الاقدمين كانوا هنا قبل ألفي عام أو تزيد ... السهول الخصبة الغنية بالقرب من شاطىء المتوسط ، من حيفا الى طبريا العامرة بمظاهر النشاط الزراعي العربي ، بيارات الحمضيات ، والكرمة ، والزيتون ، قد احتلها دخلاء واغلون .. البيوت ، المتاجر ، الخدمات العامة في المدن ، كلها استولى عليها غرباء لا يمتون اليها بصلة .

« أين .. أين السكان الاصليون ؟! أين العرب الذين ولدوا وعاشوا ، وعملوا ، وتعبدوا ، هنا ، خلائف في الارض لآبائهم وأجدادهم، منذ آلاف السنين ؟

« لقد ذهبوا .. طردوا من ديارهم ، شردتهم المذابح ! انهم يعيشون الآن في العراء .. العائلة الكبيرة ، في خيمة ممزقة ، أو كوخ قميء مهدم .

« لقد مضت سنون طويلة وهم يجترون الجوع والعري والمرض ، ويقتاتون السأم واليأس والكلال .. اذا التفت الواحد منهم الى مطارح صباه ، وراء الحدود ، أكل الحقد قلبه ، وأحس بلذعة التعطش للثأر .

« ان الشرق الاوسط ضروري وحيوي للعالم الغربي ، لمخزونه من البترول ، ولموقعه الستراتيجي الهام .

« لكن الاهم من هذا وذاك ، ان اثما كبيرا ، وجرما خطيرا ، قد ارتكب في هاتيك الدنى الخيرة المقدسة بدعم منا وتأييد ، ولئن كانت دموع « هابيل » ما تزال تصرخ في وجه السماء ، فان دموع الآلاف من اللاجئين ، تلسعنا صباح مساء ، بسياط الخزي والعار . انهم يعلمون ان قادتنا وزعماءنا ، هم الذين ساقوهم الى هذا الذل ، وباعوهم بثمن

بخس : أصوات انتخابية ، أو دولارات في خزائن الاحزاب !

« ان الشرف يقتضينا أن نهب مسرعين لازالة هذه اللطخة ، لغسل هذه الخطيئة ، وبهذا وحده نسهم في اقرار سلام حقيقي في الشرق الاوسط .

« وكما ان دم « هابيل » لم يصرخ عبثا في وجه السماء ، فان دموع اللاجئين العرب لن تذهب أدراج الرياح » !!

* * *

وكتب الاب المحترم المشار اليه ، مقالا آخر في المجلة نفسها ، في عددها الصادر في شباط سنة ١٩٦٠ جاء فيه :

« ان عصرنا هذا ، عصر النور والمعرفة ، لم يخل ، مع الاسف ، من آثار همجية الانسان الحجري .

« ان معاملة الانسان لاخيه الانسان ، لا تختلف أحيانا عن معاملة الحيوان الاعجم .

« والمحزن حقا ، اننا ننظر الى قضية اللاجئين العرب ، نظرة مجردة ، وكأن تلك القضية انما تعني الحكومات والمنظمات ، ولا تعنينا نحن الذين عرفنا « الناموس » ! وننسى أو نتناسى ان اللاجيء هو انسان مثلنا من لحم ودم وأعصاب ، وانه ينطوي مثلنا على الامل والمحبة والطموح ..

« اننا نحن الاميركيين ، نحمل فوق أعناقنا وزر مأساة اللاجئين العرب من فلسطين ! لقد ساعدنا الصهيونية ، عن سابق تصور وتصميم ، لارتكاب جريمتها النكراء ، فطردت مليون انسان من أرضه وبلاده التي عاش فيها عشرات القرون ، ولملمت شذاذا من كافة آفاق الدنيا ، لتقطعهم تلك الارض .. وتلك البلاد !

« وننظر فنرى العديد من حملة الاقلام ، ومن كبار الساسة في هذه القارة ، يدافعون عن ذلك الظلم البشع ، وتلك الجريمة المنكرة ،

ونرى حكوماتنا المتعاقبة ، تؤيد الظلم وتشجع عليه ، ولعل أقذر جريمة سياسية ، ارتكبها مسؤول ، اعتراف الرئيس « ترومان » بأنه أقدم على ما أقدم عليه ، لان النفوذ الصهيوني أكرهه على ذلك ، ولانه نظر في المأساة نظرة حزبية انتخابية حين لم يجد في دائرته أصواتا عربية يقام لها وزن ، وكأن الدنيا قد خلت من الشرف والمروءة ومكارم الاخلاق » !

* * *

ومن الجدير بالذكر ، ان اليهود لا يدينون كلهم بالصهيونية ، ولا يقرون جرائمها في اغتيال فلسطين وأهلها ••• فهذا مثلا السيد وليم زكرمان «William Zukerman» محرر جريدة « Jewish Newsletter » ذات النزعة الاخلاقية ، والطابع الديني ، يقول :

« لقد خسر العرب ، بقيام اسرائيل ، بيوتهم وممتلكاتهم ، التي سيستعيدونها في يوم من الايام ، كما تؤكد الشواهد التاريخية ، لكن اليهود بما اقترفته الصهيونية ، قد فقدوا والى الابد ، أشرف مقوماتهم الاخلاقية ، التي حرصوا عليها ، كأثمن مقتنياتهم على مر العصور •

« لقد أخذ العالم المسيحي ، الذي تعمق المأساة ، ينظر الى الصهيونية نظرة شك وحقد وارتياب ، بسبب مجافاتها بدائه المفاهيم الانسانية ، وبأنها ارتكبت ضد العرب ، ما سبق أن ارتكب ضد اليهود ، فأكسبهم عطف العالم ••• وهنا في هذه البلاد ينظر الكثير من المسيحيين الى سلوك كبار رجال المال والاعمال من اليهود ، الذين خدعتهم الصهيونية ، نظرة مقت وازدراء » !!

ولقد بلغ الصدق بأحد هؤلاء اليهود الافاضل ، الخارجين على تضليل الصهيونية ، وهو « جيمس ووربيرج « James Warburg ان يقول : « ان واجب اليهودية العالمية أن تسارع دون ابطاء لحل مشكلة اللاجئين العرب ، قبل التفكير في اكراه عشرات الالوف من يهود رومانيا وبلغاريا ، وغيرهما للهجرة الى فلسطين ، بغض النظر عن

حيثيات المشكلة من أساسها ، وبغض النظر عن موقف الدول العربية المعادي لاسرائيل ، حتى ولو استدعى الامر ، قيام الاثرياء اليهود في الولايات المتحدة بجمع التبرعات لمعالجة تلك المأساة الانسانية ، اذ لن يكون هناك سلم حقيقي ودائم في منطقة الشرق الاوسط ، قبل ايجاد الحلول العادلة لاولئك التعساء ، ونحن كأميركيين مسيحيين ويهودا ، يجب أن لا نستشعر راحة الضمير قبل أن نمسح ذلك الظلم الذي ساهمنا مع الاسف في ارتكابه » !

* * *

وكتب المؤلف اليهودي الاميركي « جون بيتي » في كتابه « الستار الحديدي الذي يحيط بأميركا » :

« ان جميع رؤساء الولايات المتحدة ومعاونيهم ينحنون أمام الصهيونية كما ينحني المؤمن أمام القبر المقدس . وقد بلغ من تسلط الاقلية الصهيونية في الولايات المتحدة ، ان أميركا بدأت تحس انها مهددة — بسبب ذلك — بحرب عالمية ثالثة » .

* * *

ان قصة النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة ، وانحياز حكوماتها السافر لاسرائيل ، قصة لا تحتاج الى برهان .. لكنني أحببت في هذه الخواطر العجلة ، أن أعرف القارىء العربي ببعضها للذكرى والتاريخ ، وهمي الدلالة لا الحصر ، فأنا لو شئت أن أورد ما لدي من الشواهد والذكريات والتجارب الشخصية ، لملأت ألوف الصحائف ، بالمخزي والمحزن معا ، لكنني أجتزىء بالقليل عن الكثير ..

نشرت جريدة « الواشنطن بوست » في عددها الصادر في ٢١ — ٥ — ١٩٦٣ ان « ليدي بيرد » زوجة « ليندون جونسون » نائب الرئيس الاميركي حينذاك ، سترأس الاحتفال الراقص الكبير الذي

سيقام في التاسع من حزيران سنة ١٩٦٣ تمجيدا لذكرى استقـــــلال اسرائيل .

وصعقت السفارات العربية الثلاث عشرة ، في العاصمة الاميركية ، لهذا النبأ ، نظرا لمركز مسز جونسون الرسمي ، وان قبولها ذلك يضفي على الحفل معنى سياسيا خاصا ، هو بمثابة تكريس للانحياز الاميركي ، كما وانليس له منالناحية الذوقية والخلقية ما يبرره ويدعو اليه ! خاصة وان المعلومات التي تأدت الينا في تلك البرهة كانت تشير الى انالرئيس « كندي » بما شهر به ، منذ تولى الرئاسة من توثب الخاطر وشمـــول النظر ، الى معرفة رحبة تتحرى العدالة في معالجة المشكلات الدولية .. يحاول عن طريق الاتصالات الشخصية ببعض زعمـــاء العالم ، أن يمتص التوتر الدولي ، ويطـــامن من حدته .. وانه بدأ حـــوارا مباشرا مع الرئيس المصري ، بغية تهيئة المناخ المناسب ، واستشراف الفرصة المواتية لاثارة القضية الفلسطينية برمتها ، في المنظمة الدولية . وكان العـــرب يتوسمون الخير في تلك الجهود ، خاصة بعد أن أزيح النقاب عن قصة الاتفاق السري ، الذي كان عقد بين الـــرئيس المصري و « همرشولد » على اثر عدوان السويس ، وكانت الولايات المتحدة طرفا فيه .. حيـــن نشرت الجريدة الرسمية لمجلس الشيوخ الاميركي محاضر الجلســـــة السرية للجنة الشؤونالخارجية، متضمنة بعضا مناعترافات « مستر غرانت Grant أحد كبار موظفي وزارة الخارجية الاميركية ، بأن لدى الحكومة الاميركية ضمانات ووعودا من المسؤولين المصريين ، بتجميد القضيـــــة الفلسطينية مدة عشر سنوات ، بغية ابقاء الباب مفتوحا أمام محاولات الرئيس « كندي » الجادة . وان الرئيس الراحل ، بما تميز به من وعي وتفتح وانطلاق ، قد يكون أفضل من يتولى التمهيد لذلك الحل .

كان هذا هو الجو السياسي السائد في واشنطن في تلك البرهة .. جو التمني والترقب ، حين فوجئت السفارات العربيـــة بقبول « مســـز

جونسون » رئاسة الشرف للاحتفال الكبير بعيد اسرائيل القومي !

وتنادى السفراء العرب الى اجتماع عاجل ، حيث بحثوا الامر من كافة نواحيه ، وما قد يورثه من ذيول ومضاعفات ! ورغبوا الى السيد « نجدة صفوة » ، القائم بأعمال سفارة العراق ، الاتصال المباشر بالسيدة جونسون ، في محاولة تثنيها عن قبول الدعوة المريبة ، في مثل تلك الظروف !

ونهد السيد صفوة بالمهمة التي انتدب لها ، فوجه الرسالة التالية الى « ليدي بيرد » :

السيدة ليدون ب. جونسون

شارع ٤٠٤٠ ـ ٥٢ شمال غرب

واشنطن د. س.

لقد صعقت وأسفت ، حين قرأت في جريدة « الواشنطن بوست » ، أمس ، انك قبلت رئاسة الشرف للحفلة الراقصة الكبرى ، التي ستقام بمناسبة ذكرى انشاء دولة اسرائيل ، وقد شاركني الالم ، عدد كبير من السفراء العرب .

اننا يا سيدتي نعرف الكثير الكثير عن اهتماماتك الانسانية بالجمعيات الخيرية ، وعن جهودك الخيرة المتميزة بالايثار لتحقيق عالم أفضل ، تسوده المحبة والعدالة والوئام .

لقد ذكر في تبرير قبولك رئاسة ذلك الحفل ، اعتقادك بأن اسرائيل واحة أمن وسلام ، لكثير من الذين ظلموا واضطهدوا وشردوا في الحرب العالمية الثانية !

فهل تعلمين يا سيدتي ، ان اسرائيل قد قامت على اغتصاب بالقوة ، واجتراح أبشع الجرائم التي عرفها تاريخ الانسانية ؟!

وهل تعلمين يا سيدتي ان هناك مائة مليون عربي يعتقدون ، ويعتقد معهم الملايين من ذوي الضمائر الحية في العالم ، ان قيام اسرائيل ، عنوة

وكرها ، في قلب العالم العربي والارض العربية ، يعتبر أشأم سبة في التاريخ الحديث ، لمخالفة ذلك لكل الحقوق الاساسية وكل المبادىء الاخلاقية ، وكل الاعراف الدولية ، وفي مقدمتها حق تقرير المصير، ذلك المبدأ الذي بشر به أميركي عظيم ، وديمقراطي باذخ المجد ، هو الرئيس « ودرو ويلسون » ؟!

ولكي تتضح لك يا سيدتي أبعاد المأساة ، أرجو أن تتخيلي انفصالك عما وعمن تحبين بالقوة والعنف ، لتصبحي فجأة طريدة ، شريدة ، ذليلة مهينة ، دون أن يكون لك في ذلك خيار ! بذلك وحده ، تستطيعين ادراك عمق الصدمة التي عانيناها وعمق الالم الذي قاسيناه .

ان السفارات العربية في واشنطن تقيم حفلات سنوية بمناسبة أعيادها القومية ، وأنا أعلم ان تلك السفارات ، جميعها ، تتشرف بتوجيه الدعوة اليك والى زوجك الجليل ، ولم تتنازلا مرة واحدة بالحضور . فكيف يصح في ذوق أو منطق ، أن تقبلي رئاسة حفل ، يقيمه أعداؤنا الذين شردونا عن ديارنا وامتهنوا كرامة أهلنا ؟!

انك بوصفك السيدة الثانية ، يتجاوز تأثير مشاركتك في أي حدث ، حدود هذه البلاد .. انني أناشدك باسم الصداقة العربية — الاميركية ، أن تحفظي على نفسك السمعة الكريمة التي نعرفها عنك ، وأن ترعي مشاعر مائة مليون عربي ، يسيئهم أن يسمعوا عن هذا التحيز المفضوح !

أناشدك بكل احترام ، أن تتخلي عن المساهمة في البغي والعدوان »

انتهت الرسالة .

وغني عن الذكر ، ان السيدة « ليدي بيرد » قد حضرت الحفل وتولت رئاسته ، وتحدت عواطف الملايين . لأن النفوذ الصهيوني ، هو الاصل ، وكل ما عداه باطل وقبض ريح !!

وقصة أخرى ، تعفيني من مؤونة التعقيب والتعليق . اذ أكتفي

بايراد رسالة موجهة من الكاتب اليهودي « ألفرد ليلينتال » الى صاحب جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ١٣ — ١٢ — ١٩٦٣ :

« عزيزي السيد « سلزبيرجر « Sulzberger

مرة أخرى أكتب اليكم في موضوع شد ما استفزني وطالما كتبت فيه الى سلفكم مستر « أورفيل دريفوس « Orvil Dryfos »

هذا الموضوع الهام ، هو استغلال صفحات جريدة محترمة كالنيويورك تايمز ، للتبشير بالقومية اليهودية ، واليكم الدليل ..

في الجلسة الختامية للمجمع المسكوني الثاني ، أعلن قداسة البابا « بول » اعتزامه زيارة الاماكن المقدسة ، حيث ولد السيد المسيح ، وعاش ، ومات ، وصعد الى السماء ، بغية العمل على توحيد الطوائف المسيحية ، وتمتين روابط الاخوة بينها ، وقد حرفتم ، متعمدين ، أقوال قداسته في « الريبورتاج » الذي عقدته جريدتكم ، بتلك المناسبة التاريخية ، بأنه دعوة لاحلال السلام بين العرب واسرائيل ، وقد استعمل قداسته ، على وجه التخصيص ، اسم فلسطين ، هدف الزيارة ، فأغفل رجالكم — متعمدين — هذا الاسم المقدس ، وقالوا انه سيزور الاردن واسرائيل ، وبما ان معظم الاماكن المقدسة هي في الاردن ، فان مقتضيات الامانة والصدق ، كانت تستلزم ايراد قول قداسته ، كما ورد بحرفيته ، دون تزوير ، لا كما أوردتموه ، بحيث يحسب القارىء — تضليلا — ان المقصود الاساسي بالزيارة هي اسرائيل ، وان زيارته للاردن ، عارضة لا قيمة لها ، ولا جدوى منها !

ومن قبيل هذا التزوير ، ما ذهبت اليه صحيفتكم من ان سبب توقف صدور قرار من المجمع المسكوني ، بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح ، يعود الى تدخل رجال الدين المسيحيين من العرب ، مع ان الحقيقة ، ان التوقف يعود الى ان المجلس نفسه ، عدل عن ذلك بسبب

ان اجتماعه في الاصل كان لبحث الوسائل المؤدية الى توحيد الكنائس ، لا الى بحث مثل هذه الامور النظرية .

وشاهد جديد علـــى تزوير محرريكم ، ما ذهبت اليه جريـدة النيويورك تايمز ، بصدد اقالة « لورد مانكروفت Lord Mancrofr » من شركة التأمين البريطانية المتحدة ، وعزوها الاستقالة الى ضغوط لجان المقاطعة العربية ، مع ان السبب الحقيقي للاستقالة القسرية ، ان اللورد اليهودي الاصل ، شريك لاحد أساطين الصهيونية ، المدعو « سير اسحق ولفصون Issac Wolfson » المعروف بمساعداته المالية الضخمـة للقضية الصهيونية واسرائيل ، فوق انه يتولى ادارة أعمال اقتصاديـــة واسعـــة ، مركزها في اسرائيل نفسها ، هذا بالاضافـــة الى ان اللورد مانكروفت يرأس « وكالة السيـــاحة العالمية Global Tours Ltd. » ذات العلاقات المادية الكبيرة باسرائيل ، فالسبب في اقالته القسريـــــة والحالة هذه ، يعزى الى تحسس شركة التأمين البريطانية المتحـــدة ، وهي ذات مصالح حيوية هامة في البلاد العربية ، بالاضرار التي تنجـم عن وجوده فيها . وقضية الاستقالة هذه ، لا تفيد في الدلالة على اتهام العرب باللاسامية . اذ ان جريدتكم خير من يعلم ان كره العرب لاسرائيل هو كره سياســـي لنزعة فاشية عنصريـــة ، وليس كرها دينيا ، وان « اللاسامية » شعار غربي بعيد عن مفهوم العرب ، الذين ينتمون هـــم كذلك الى العرق السامي . وعلى هذا فان استمراركم في سرد وقـــائع مضللة في أعداد جريدتكم الصادرة بين الرابع والحادي عشر من شهـــر كانون الاول سنة ١٩٦٣ ، والصاق تهمة التعصب الــــديني والعنصري بالعرب ، هو تزوير مستمر للحقيقة مع الاسف الشديد .

واذا كان شعار جريدتكم ــ كما تقول ــ هو نشر جميع الاشيـــاء التي تصلح مادة اخبارية صادقة سليمة ، فلماذا لم تطبق هذا المبدأ فيما يتعلق باسرائيل ، بل هي على العكس من ذلك تنهج نهجا ملتزما ، وبكل

وسائل الضغط والتخويف والارهاب الفكري ، مع كل أميركي تسول له نفسه انتقاد اسرائيل وفضح نواياها وكشف أهدافها ! حتى لقد أصبح سيف الاتهام مصلتا باستمرار ، ضد أية شركة ذات مصالح حيوية في البلاد العربية ، خشية أن تلصق بها تهمة « اللاسامية » فتتعرض لهجماتكم التي لا ترحم ولا تخشى الله ! وحتى ان بعض كبار التجار من أصل لبناني وسوري ، يجدون أنفسهم مضطرين لدفع الاتاوات للجمعيات الصهيونية بدل دفعها للاجئين العرب ، خوفا من حرمانهم بنفوذ الصهيونية المتحكم في الدوائر المالية ، من ممارسة العمل الشريف البعيد عن الاضطهاد والابتزاز والارهاب !

لقد أثبتت التحقيقات العلنية التي أجرتها لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، برئاسة الشيخ « ويليام فلبرايت » ، في الصيف الماضي ، ان هناك شبكة جاسوسية سرية خطيرة منتشرة في كافة أنحاء الولايات المتحدة ، تعمل دون هوادة ، وبكل الوسائل غير المشروعة لمصلحة الصهيونية واسرائيل ، وان مقادير هائلة من الاموال التي تجمع من المواطنين الاميركيين ، معفاة من الضرائب باسم مساعدة اسرائيل ، تعود الى تلك الشبكة ، لتنفقها داخل الولايات المتحدة على شراء الذمم و « غسل الادمغة » وخيانة الشرف ! ومن ترى يستطيع أن يتحدث عن قصة الارهاب الفكري الذي تمارسه الصهيونية في هذه البلاد ، أكثر من جريدتكم ؟ انكم لم تنسوا بعد الاضبارة المكتظة بالوثائق ، المحفوظة في ملفاتكم السرية ، تروي قصة نقمة الصهيونية عليكم ، وشنها حربا لا هوادة فيها ضد « النيويورك تايمز » بالذات لانها تجرأت فعارضت مشروع تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٦ ، وقيام دويلة اسرائيل ، ولعلكم لم تنسوا بعد ، ما أعلنه صاحب الجريدة ، حينذاك ، وهو والدكم « آرثر سلزبيرجر Arthur Hays Sulzberger » : « انني أمقت مقتا شديدا وسائل الصهيونية في كتم الافواه المعارضة لاهدافها وخططها ،

تلك الوسائل التي لا تتورع عن استغلال الاسلحة الاقتصادية وحتى الاغتيال ، في سبيل أغراضها الاجرامية المشبوهة » !

وفي اعتقادي المتواضع ، ان جريدة « النيويورك تايمز » ترتكب اثما كبيرا في تقديم الاخبار المتصلة باسرائيل في تلك الصورة البعيدة عن اللياقة والمنطق ، ويسعدني أن تتذكروا دائما ما قلتموه عشية مقتل الرئيس « كندي » : « ان تلك الرصاصة الغادرة ، انما انطلقت في « دالاس » بيد تجار الكره » ، عسى أن تتبينوا ان رصاصات كثيرة مجرمة تسدد بيد تجار الكره ، الى عقل المواطن الاميركي ، الذي لا يعرف الحقائق بفعل التزوير والتضليل اللذين ترتكبهما جريدتكم صباح مساء !

واذا كان جهد مراسليكم المبثوثين في أركان الارض ، موكل بافتعال واختلاق شعار « اللاسامية » لنستعيض بالتعبد لها عن التعبد للعقيدة اليهودية ، فان جريدتكم المفروض أن تكون منبرا للصدق والحرية ، تحمل أكبر قدر من مسؤولية ذلك العبث أمام التاريخ » — انتهت الرسالة .

* * *

ولماذا أذهب بعيدا في التدليل ، وتحت يدي الهجوم العنيف الذي شنه في مطلع شهر شباط سنة ١٩٦٨ السيد « دافيد نيس » نائب السفير الاميركي السابق في القاهرة ، الذي استقال احتجاجا على سياسة حكومته ، ازاء الجمهورية العربية المتحدة ، وقال فيه :

« انه لولا الجبن السياسي في واشنطن ، لامكن الحيلولة دون نشوب أزمة الشرق الاوسط الاخيرة ... ذلك ان أحدا في واشنطن لم يكن يرغب في أن يفعل شيئا للجمهورية العربية المتحدة ، أو يتهم بأنه يؤيد الرئيس عبد الناصر على جميع المستويات سواء في وزارة الخارجية الاميركية ، أم في الكونغرس ، أو البيت الابيض .

لقد بعثت الى واشنطن أحذرها بأن الرئيس عبد الناصر يشعر

بأنهم يدفعون به الى مأزق ، وتنبأت بأنه قد يضطر للقيـــام بعمل ما ، وأوصيت بأن تتخذ واشنطن اجراء يؤكد للرئيس المصري اننا لا نعــادي بلاده ، لكن حكومتي تجاهلت ما أوصيت به ، وتضخمت أزمة فقــدان الثقة ، بسبب سلسلة من الاحداث السابقة ، منها تأخر الولايات المتحدة في الرد على طلب القاهرة شراء أغذية ، فقد دأبنا خلال سنة كاملة على ابلاغ المصريين بين حين وآخر ، ان طلبهـــم قيد البحث ، وواصلــت الحكومة الاميركية تقديم اعتذارات سخيفة رخيصة ، منها ان الــرئيس « جونسون » متغيب في « تكساس » او ان الكونغرس في اجازة .. الى غير ذلك من المعاذير الكاذبة !! » .

— ٥ —

مهما أطنبت وأسهبت في استعراض قوة النفوذ الصهيوني والسيطرة الصهيونية في الولايات المتحدة ، لا أعتقد ان بامكاني أو بامكان غيري ، التغلغل في كافة جوانب ومظاهر تلك السيطرة وذلك النفوذ !

ان لاسرائيل عشرات الالوف من العملاء ، ينشطون ليل نهار لتضليل الرأي العام ، وامتطائه الى أغراضهم وأهدافهم ، والذين أتيح لهم أن يعيشوا في الولايات المتحدة مدة تمكنهم من استقراء واستطلاع ذلك النشاط المدمر ، يحسون أبعاد المأساة بقلوبهم وعقولهم ، اكثر مما لا يحسنون التعبير عنها بألسنتهم وأقلامهم .

وقد أخذ المواطن الاميركي المثقف ، أخيرا ، يعي هول هذا الارهاب الفكري ، ويشعر بوطأته في ضميره ووجدانه . فقد تلقيت يوما رسالة من أستاذ أميركي في جامعة كاليفورنيا ، يطلعني فيها باسهاب على أساليب الصهيونية في ممارسة الضغط النفسي في البيئات الاكاديمية ، ففي احدى الندوات نوقشت القضية الفلسطينية والخلافات القائمة والمستجدة بين الدول العربية واسرائيل ، وقد اتخذ الاستاذ صاحب الرسالة لنفسه موقفا موضوعيا في استعراض المشكلة والتعريف بمأساة اللاجئين .

يقول الاستاذ : انه منذ تلك اللحظة بدأ يتعرض لالوان من الازدراء والمهانة ، ليس في البيئة المحلية فحسب ، بل في كافة الاروقة الجامعية في الولايات المتحدة ... مما أحال حياته الى جحيم وتأدى به

المطاف الى امتلاء نفسه بالشك في حريـــــة الفكر ، وقدسية الرأي ، وجدوى الدراسة الاكاديمية الموضوعية •

وقد أقنعه الضغط المسلط عليه من كل ناحية ، بأن الارهـــاب الفكري الذي تمارسه الصهيونية يعطل الضمير الاميركي •• ويلغي الفكر الاميركي ، وان كل مثقف يتصدى لذلك الارهاب ، مصيره الدمـــار المحقق ، حتى لقد بلغ به الامر كره بلاده ووطنه وأمته ، وود لو استطاع أن يفر بجلده من ذلك الكابوس المخيف ، ذلك السجن الرهيب ، ولذا فهو يكتب الي ، يعرض رغبته الملحة في الحصول على الجنسية الاردنية ، ليستنقذ انسانيته المهدورة ، قبل فوات الاوان !

* * *

وقد يتساءل المرء عن السبب في تحمل المجتمع الاميركي مغبة ذلك الارهاب • وأسارع فأقول ، ان دعاة الصهيونية وعملاءها ، يعرفون حقا كيف تؤكل الكتف ! فهم يمزجون الترهيب بالترغيب ، ويلبسون لكـــل حالة لبوسها ، وليس أقدر منهم على اكتشاف جوانب الضعف فـــي النفس الانسانية ، وشراء العقول والضمائر ، وانفاق المبالغ الطائلة التـــي تجمع من كدح المكلف الاميركي على استغلال مشاعره وعواطفه أبشـــع استغــــلال !

ولعلي لا أعدو الحقيقة حين أقرر ان المسؤولين الاميركيين يعرفون هم كذلك الكثير الكثير عن سلوك أولئك الدعاة والعملاء ، فقد ذكر لي أحد كبار المسؤولين مرة ، فـــي معرض الحديث عن الرقابة السريـــة المفروضة على نشاطات السلك السياسي فـــي واشنطن ، ان المنظمات الصهيونية قد نجحت في مناسبات كثيرة ، في زج أحد عملائها فـــي دوائر المراقبة تلك ، ليطلع على اتصالات السفارات العربية ومخابراتهـــا السريـــة •

وسبب هذا النفوذ ، وذاك الرضوخ ، يعزى في الدرجة الاولى الى

طبيعة الانتخابات الاميركية ، ودور الصهيونية الخطير فيها ..

لقد سمعنا من يقول : ان مدى تأثير الصهيونية في الانتخابات الاميركية مبالغ فيه ، ويضربون المثل على ذلك بالرئيس « ايزنهاور » .. وأنا أقول : ان « ايزنهاور » لم يتنكر قط لسياسة بلاده الثابتة ازاء اسرائيل ، وكلنا يذكر مواقف « دالاس » ، وزير خارجيته ، من أحداث الشرق الاوسط ، وكلنا يذكر الموقف الرسمي المعلن عنه في شتى المناسبات بدعم اسرائيل وحمايتها ومدها بالمساعدات الطائلة .

ونظرة مقارنة تدلنا على ان ما حصلت عليه اسرائيل مدة ولاية الرئيس « ايزنهاور » من مساعدات فنية واقتصادية ومادية ، قد تجاوز كل ما عداه .

أما موقف الرئيس ايزنهاور من حرب السويس ، فهو موقف أملته المصلحة الاميركية ، قبل كل شيء ..

يضاف الى هذا ، ان شخصية الرئيس ايزنهاور .. لا حزبيته هي التي مهدت له الوصول الى سدة الرئاسة مرتين ، ذلك ان الجمهوريين في الوزن الحزبي ، أقل من الديمقراطيين ، ووصولهم الى الرئاسة يعزى دائما الى قوة المرشح الشخصية ، لا الى قوة الحزب . وقد كان « ايزنهاور » وما يزال يشبه الاسطورة لدى الشعب الاميركي في سمته ومزاياه وماضيه العظيم ، وهو ينظر اليه نظرته الى أب حان شفيق ! وقد كانت الصهيونية تعلم ان معارضتها له ستكشفها أمام الشعب الاميركي ، وفي ذلك خرابها .

ان تأثير الصهيونية في الانتخابات الاميركية يعود الى أسباب ثلاثة :

١ ــ المال الصهيوني ، وهو في الانتخابات عصبها وعمودها الفقري !

٢ ــ وسائل الدعاية ، وكلها ملك للصهيونية !

٣ ــ ان النظام الاميركي يقوم على أساس الحزبين كما هو معروف ، وبالرغم من ان الحزب الديمقراطي يحظى بأكثرية غالبة بالنسبة للحزب

الجمهوري ، فان أصوات الحزبين ، يلغي بعضها بعضا ، وهنا يظهر دور الاقليات المرجح •

وغني عن الذكر ، ان الصهيونية تسيطر سيطرة كاملة على الاقلية السوداء ، وهي معها ــ في حدود خمسة وعشرين مليون نسمة ــ تشكل قوة مرجحة كبيرة ، ومن هنا أهميتها وقوتها ونفوذها •

وأتوقف هنا ــ مرة أخرى ــ لاشير الى جهل الدعاية العربية وتقصيرها ، بل الى سخافتها وتفاهتها ، في وجه هذا المد الهائل من أسلوب الدعاية المخطط المدروس الذي لا يترك شاردة ولا واردة •• ويعالج كل قضية مهما صغرت وضؤلت بما تستحقه من عناية وتدبير •

وقد ظننت يوما ، ان الطلاب العرب في الولايات المتحدة ، يستطيعون القيام بعمل هادف في هذا السبيل ، فهم كثرة لا بأس بها ، وهم أقدر من غيرهم ــ حتى من السفارات العربية ــ على الحركة ، والاتصال بكافة البيئات والمجتمعات ، ويستطيع كل واحد منهم أن يكون سفيرا نشطا لامته العربية ، ووطنه الكبير • والشعب الاميركي ــ كما قلت ــ شعب طيب ، متفتح ، ساذج ، وهو يرغب في أن يتعلم ويتفهم الامور ، ويدرك العلة والسبب ، وراء كل حدث ، في أي ركن من الارض • ومرد جهل المواطن الاميركي العادي ، بقضايانا ، هو جهلنا نحن ، واهمالنا وتقصيرنا وانصرافنا الى التفاهات والنفايات •

وقد خاب ظني في الطلبة العرب ، كما خاب في غيرهم ، حين رأيت ان ندواتهم السنوية ، ليست الا صورة مصغرة للمجتمعات العربية المتفسخة ، بكل خلافاتها ،وسخافاتها ، ينسون قضاياهم الاساسية ، ويهيمون في معارك الشعارات ، باستثناء شعار تحرير الوطن المسروق !

وبالرغم من هذا الظلام المتراكم بعضه فوق بعض ، كنا نستشعر أحيانا بصيص رجاء في موقف بعض الحركات اليهودية المناهضة للصهيونية ، وفي مقدمة هذه الحركات « المجلس الاميركي لليهودية

« The American Counceil For Judaism ودستوره الاساسي يقوم على الفصل بين اليهودية كدين ، وبين اسرائيل ...

ولعل القارىء يذكر معنا جرائم الصهيونية المستمرة المتكررة المفتعلة في اثارة حمى النازية ، كلما وهن الشعور العــــالمي بمآسي الحرب .. والمثل الحي لذلك قضية « ايخمان « Eichmann الذي اختطفه عملاء الصهيونية من الارجنتين ، مستهترين ببديهيات القانون الدولي ، وسيادة الارجنتين في أراضيها ، ومسؤوليتها عن مقدرات الناس الذين يعيشون فوق تلك الاراضي ! وقد حوكم « ايخمان » وأعدم ، استنادا الى قاعدة قانونية عجيبة ... بل مستهجنة ، هي ان حكومة اسرائيل تمارس القانون في أراضيها باسم جميع يهود العالم .. وانها تملك الحق في ادانة الجرائم التي ارتكبت ضد اليهود في الماضي خاصة في ألمانيا النازية !

وبهذا المفهوم ، تكون اسرائيل قد انتهكت حرمة ولاء اليهـــود المقيمين خارجها ، للدولة التي ينتمون اليها ، وأنكرت سيادة الدولة عـــلى مواطنيها ، وأحدثت شرخا خطيرا ، في القانون الدولي ، والعلاقـــات الدولية .. هو الولاء المزدوج .

وقد استثارت هذه النزوات النازية عقلاء اليهود في أميركا ، وفـــي مقدمتهم أعضاء المجلس الاميركي لليهودية ، مما حدا بالربي « ألمر بيرجر « Rabbi Elmer Berger لتوجيه رسالة الى وزير الخارجيـــة الاميركية بتاريخ ١٤ آذار ١٩٦٤ مستطلعا موقف السلطات الاميركية من هذا المبدأ القانوني الزائف ، الذي تمارسه اسرائيل ، فيتعرض المواطنون اليهود في الولايات المتحدة ، من جرائه ، لكثير من العنت والبلبلة وازدواجيـــة الـــولاء !

وبتاريخ ٢٠ نيسان سنة ١٩٦٤ ، أجاب السيد « فيليب تالبوت » ، مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط وجنوب شرق آسيـــا ، بالرسالة التالية :

« عزيزي السيد بيرجر .

لقد درسنا بعناية وامعان رسالتك المؤرخة في ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٦٤ التي لفت فيها النظر الى خطورة الاخذ بمبدأ وحدة الشعب اليهودي ، واعلان اسرائيل سيادة قانونها على كافة اليهود الغائبين خارجها ، وانها بذلك قد جنحت عن الاعتراف بحقوق وواجبات المواطنة من جهة ، والاعتراف بالشخصية القانونية لمثل أولئك اليهود من جهة أخرى ، وما ينجم عن مثل هذا المفهوم من تغيير تلك الشخصية الاعتبارية لمواطنين يعتنقون الدين اليهودي ، وينتمون الى قوميات معينة ، ودول معينة ... الى مواطنين ، انتماؤهم الى الدولة التي يعيشون فيها ويحملون جنسيتها هو انتماء انتقالي موقت ، لان ولاءهم الحقيقي هو لاسرائيل ! وانهم بهذا ملتزمون ازاءها ، لا ازاء وطنهم الاصلي !

ان وزارة الخارجية الاميركية ، تقرر انها تعترف باسرائيل دولة ذات سيادة في أراضيها ، وان مواطنيها هم الاسرائيليون المقيمون فيها ، ولا تعترف وزارة الخارجية بحق اسرائيل في التدخل في شؤون مواطنين ينتمون الى دولة أخرى ، ولو كانوا من أصل يهودي ! كما انها لا تعترف بوجود أية علاقة سياسية أو قانونية ، مرتكزة على هوية المواطن الدينية ، لان هذه الحكومة لا تفرق بين مواطنيها على أساس معتقداتهم !

وعلى هذا نرجو أن يكون واضحا ، ان وزارة الخارجية الاميركية لا تعتبر فكرة الشعب اليهودي ، مبدأ يقره القانون الدولي » .

* * *

وقد أحدثت هذه الرسالة دويا هائلا في الاوساط الاميركية ، وأثارت موجات متلاحقة من تذمرات المنظمات الصهيونية وأبواقها الكثيرة ! كما أثارت حملات مركزة مغرضة على السيد « تالبوت » حتى استطاع النفوذ الصهيوني في منتصف عام ١٩٦٥ اخراجه من المركز

الخطير الذي شغله ، بجدارة وكفاءة ، خمس سنوات ، ونقل الى مركز ثانوي ، بالقياس الى مركزه السابق ، حيث عين سفيرا لبلاده في « أثينا » .

ولو قد كان أتيح للعرب ، في ذلك الجو المشحون بالريبة في الصهيونية ونواياها ، دعاية قوية مركزة ، لطرأ تحول كبير في الرأي العام الاميركي ، ذلك ان مضمون رسالة « تالبوت » البالغة الوضوح ، تحذير للصهيونية في أميركا ، وتحذير لاسرائيل ، في آن معا فيصبح قيام المؤسسات الصهيونية الداعية لمثل تلك المفاهيم ، في الولايات المتحدة، غير قانوني ، وغير مشروع ، ويصبح نشاطها ، غير ذي موضوع ، بل خاضعا للملاحقة القانونية !

وأنت ، لو أمعنت النظر في جهد المكاتب العربية — في تلك البرهة — لهالك انها مستغرقة في سباتها ، غارقة في تفاهاتها ، تعيش في دوامة من الجهل والغفلة ، فهي لم توجد في الاساس لتخدم القضايا القومية عامة ، والقضية الفلسطينية خاصة ، بحيدة غير منحازة ، وبايمان صادق النخوة ، بل وجدت لتخدم المحاور العربية ، وتنشر غسيل الخلافات العربية القذر، في مسارح العالم الجديد ، وكانت المحاضرات المصنوعة ، التي يلقيها موظفو تلك المكاتب ، تخاطب في المواطن الاميركي كل شيء خلا عاطفته وعقله ! ويكفي أن أشير ان معظم نشاطات تلك المكاتب كانت تجري في فلك معين ... قد صنعت لها أدوارها في بعض العواصم العربية ، لترفع شعارات تزيد المواطن الاميركي نفورا منا وتحيزا لاسرائيل !

لقد كانت الحرب النفسية ، والقدرة الدعائية ، واجتذاب الرأي العام العالمي ، هي نصف معركة اسرائيل ، أما نصفها الآخر فقد عرفناه ، وذقناه ، وبلوناه ، صبيحة اليوم المشؤوم .. يوم الخامس من حزيران !!

هذا « بن غوريون » يعترف في كتابه الاخير الذي صدر سنة ١٩٦٣ بأن اسرائيل ما كانت لتقوى على القيام بعدوانها المبيت في سيناء

سنة ١٩٥٦ لو لم تمهد لذلك باعداد الرأي العام في العالم ، وكانت حجتها في الاقناع ان نشاط الفدائيين المصريين المتزايد عبر غزة وبئر السبع ، يهدد تهديدا مباشرا أمن اسرائيل وسلامتها ... بل يهدد البقاء الاسرائيلي ، فلا بد من اتخاذ تدابير رادعة ، لصيانة الكيان والدفاع عن النفس !!

واستطاعت اسرائيل بهذا المنطق الخادع المضلل ، اجتذاب الرأي العام في العالم للعطف على قضيتها ، التي صورتها الدعايات الكاذبة . جنة وارفة ظليلة من النور والحضارة والعرفان ! واحة صغيرة آمنة مستضعفة ! تحيط بها كتل بشرية همجية متوحشة يسمونها الدول العربية ، لا تني تتلمظ ، وتشحذ سلاحها ، لتشرب دماء الاسرائيليين وتأكل لحومهم !!

أما أبعاد المأساة .. أما قصة اللاجئين .. أما ضياع الوطن ، وشتات الاهل .. أما حقنا ، الواضح وضوح الشمس ، فقد قبرت كلها ، في أدراج الجامعة العربية ومكاتبها .. وضاعت مع غثاثة معظم رجال السلك السياسي العربي في كل مكان !!

* * *

كانت رسالة السيد « تالبوت » ، اذن ، ايذانا بسياسة أميركية جديدة ، ومنعطفا خطيرا للصهيونية ، اذ قررت تلك الرسالة ، بما يقطع كل شك ، ان حكومة اسرائيل تملك الحق في ممارسة سلطتها وسيادتها في الاراضي الاسرائيلية ، وعلى الاسرائيليين المقيمين فيها .. أما اليهود في البلاد الاخرى ، فهم ملتزمون نحو تلك البلاد ، لا نحو اسرائيل ! وان اليهود في أميركا ، هم مواطنون أميركيون ، يعتنقون الديانة اليهودية ، ولا علاقة لهم باسرائيل !

لقد صدرت تلك الرسالة ، بعد الحاح متواصل من المجلس الاميركي

لليهودية ، استمر أحد عشر عاما • وفي سنة ١٩٦٠ قام البروفسور « ماليسون Mallison » أستاذ الحقوق الدولية في جامعة «جورج تاون» بواشنطن ، بالتعاون مع السيد « بيرجر » المشار اليه آنفا ، باصدار دراسة علمية قانونية ، حول شرعية « وعد بلفور » ، وحول الاسس التي بنت عليها المحاكم الاسرائيلية حكمها بالاعدام على « ايخمان » ، ومؤداها انا سرائيل هي وطن اليهود في العالم •• وقد فندت دراسة « ماليسون » هذين المرتكزين ، وأثبتت بطلانهما ، وجاءت رسالة « تالبوت » لتضع حدا نهائيا للقصة ، ولتفسر بوضوح ، عدم ارتباط اليهود الاميركيين بالدولة الاسرائيلية ، وان تلك الدولة لا يمكن اعتبارها من وجهة نظر القانون الدولي ، وطنا قوميا لجميع يهود العالم •

وبتاريخ ٩ ـ ٥ ـ ١٩٦٤ اجتمع المجلس الاميركي لليهودية واتخذ ـ في ضوء رسالة السيد « تالبوت » ـ المقررت الخطيرة التالية :

١ ـ تعميم مضمون الرسالة على كافة أجهزة الدولة لتكون القاعدة الاساسية في معالجة كل وضع يخالف محتواها •

٢ ـ تعميم مضمون الرسالة على كافة الاجهزة الاعلامية لاعلانها في الشعب الاميركي •

٣ ـ مناشدة المواطنين اليهود الاميركيين أن يعيدوا النظر في برامج ونشاطات المؤسسات الصهيونية ، وأن يعلنوا موقفهم ازاءها •

٤ ـ الاتصال بالمؤتمرات القومية للحزبين الديمقراطي والجمهوري، واعلانهم بأن المواطنين اليهود الاميركيين ، لا يعترفون بنشاط الصهيونية في تلفيق تكتلات وجبهات انتخابية مستقلة ، وان أولئك المواطنين لم ولن يفوضوا المؤسسات الصهيونية لافتعال التكلم باسمهم !

٥ ـ معارضة واستنكار ما أعلنته حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية في البيان المشترك الذي صدر في القدس المحتلة بتاريخ ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٦٤ ••• والذي يتضمن حث وتشجيع

البرامج الصهيونية لتثقيف الاطفال والشباب اليهود خارج اسرائيل ، خاصة في الولايات المتحدة .. تلك البرامج التي تغرس في النفوس البريئة الغضة ، ان اسرائيل هي الوطن القومي لكافة يهود العالم ، وان اليهودي لا يكتمل دينه اذا لم يشجع الهجرة اليها ، والاستقرار فيها .

٦ ـ بما ان استمرار النشاط الصهيوني خارج اسرائيل ، يعزل اليهود عن المجتمعات التي يعيشون فيها ، ويجعلهم غرباء محرومين من نعمة المواطنة الصالحة ، وموضع شك وشبهة ، يجب محاربة ذلك النشاط الهدام بكل وعي وايمان وتصميم .

* * *

وفي المؤتمر الصهيوني العالمي ، الذي عقد في القدس المحتلة أواخر عام ١٩٦٤ ، أكد رئيس وزراء اسرائيل « ليفي اشكول » ورئيس المؤتمر « ناحوم غولدمان » مرة أخرى ، ما كان ورد في البيان المشترك السالف الذكر ، الصادر بتاريخ ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٤ ، بأن اهتمام المنظمات الصهيونية يجب أن يتجه نحو المجتمعات اليهودية خارج اسرائيل !

وكان شعار المؤتمر ، اعتبار اسرائيل الوطن القومي ليهود العالم ، وكان مضمون خطب المؤتمر كلها تحديا سافرا لسياسة الولايات المتحدة ، المعلنة في رسالة السيد « تالبوت » !

فقد قال السيد « ابا ايبان » : « لقد حقق الشعب اليهودي حلمه التاريخي في وطنه القومي ، ومنذ ولادة هذا الوطن ، أصبحت علاقة اليهود خارج اسرائيل مبتوتة بالبيئات التي يحيون فيها ، فهم يعيشون هناك حياة انتقالية موقتة حتى يتم رحيلهم الى الوطن الام ! » .

وقال الدكتور « مردخاي كبلان « Mardaci Kaplan مندوب يهود الولايات المتحدة : « يجب أن نطالب الحكومة الاميركية ،

بالاعتراف بانفصال اليهود الاميركيين عن المجتمع الاميركي » •

وقال « ناحوم غولدمان » : « ان أخطر ما سيواجه اسرائيل في السنوات القليلة القادمة ، ويهددنا بالفناء ، هو فكرة امتصاص الاقليات اليهودية في الدول الاخرى ، بحيث تذوب في المنفى • كما وان أخطر ما سيواجه الشعب اليهودي هو أن تتمتع أقلياتنا في الخارج بمساواة حقيقية مع بقية المواطنين ، بحيث يسهل اندماجها في المجتمعات التي تحيا بينها » •

وكان رد الفعل لدي المجلس الاميركي لليهودية سريعا وحاسما • وأعلن رئيسه السيد « كولمان Coleman » : « ان المجلس يرفض رفضا باتا تلك الانفعالات الضارة •• اننا نؤمن بأن اليهودية دين لا قومية ، ولن نسمح لاي كان بالتدخل في مصائرنا ، كمواطنين أميركيين ، أو كيهود ! اننا نعلم ان من أهداف الصهيونية فرض جنسية ثانية على اليهود الاميركيين ، تتعارض مع كرامة المواطنة ، وشرف الانتماء الى الشعب الاميركي والمبادىء الاميركية ، والمؤسسات الديمقراطية الاميركية ! » •

وعلى الرغم من ان مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي ، كانت موجهة الى كل يهود العالم ، الا انه كان من الواضح انها تخاطب المواطنين اليهود الاميركيين قبل سواهم • وغرضها التشكيك في سياسة الحكومة الاميركية ، التي تضمنتها رسالة مستر « تالبوت » ، وتحديها ، والتركيز على عدم أهميتها ، وقلة الاكتراث بها ، وتشجيع نشاطات المنظمات الصهيونية التي رسم لها القيام بمهمتين مزدوجتين : احياء الثقافة اليهودية القديمة التي تغذي المبررات الاسطورية لقيام دولة اسرائيل •• والعمل بهمة لا تعرف الكلل والملل لجمع المزيد من التبرعات والمساعدات !

فاذا علمنا ان ٨٠ ٪ من جميع المعونات النقدية التي تنصب في اسرائيل ، مصدرها ألفا عائلة يهودية في الولايات المتحدة وحدها !

وان ١٠ ./ من مجموع تلك المعونات يتبرع بها ثري يهودي واحد في كندا هو صموئيل برونفمان « Samuel Bronfman .. اذا علمنا ذلك أدركنا السبب في اعتبار يهود أميركا ، العنصر الاساسي والاهم في بقاء اسرائيل !

وقد ساعد موقف بعض كبار المسؤولين الاميركيين على تشجيع النشاط الصهيوني المتزايد ، بدل شجبه ، لمخالفته للسياسة الاميركية المعلنة ، وصيانة لوحدة الشعب الاميركي ، من ازدواجية الولاء .

والامثلة على ذلك كثيرة لا تحصى ، منها مثلا قبول نائب الرئيس الاميركي « هيوبرت همفري » ـ وهو أكثر من عرفت ، بعد ترومان ، تحيزا مفضوحا للصهيونية واسرائيل ، وأكثر من يفتعل المواقف افتعالا للتظاهر بذلك ـ قبوله أن يكون ضيف الشرف وخطيب الحفل الكبير الذي أقيم في « ميامي » في ٢١ شباط سنة ١٩٦٥ ، لبيع سندات لمصلحة اسرائيل . وكانت مثل هذه المشاركة والدعم ، بل هذا التحيز والتجني ، تثير الكثير من النقد والاستهجان ، داخل الولايات المتحدة نفسها .

فهذا « جان بيدو » ، السفير الاميركي السابق في مصر ، يكتب مقالا مطولا في مجلة الشؤون الخارجية عن الوضع في الشرق الاوسط ، ينعي فيه على بعض كبار الساسة سلوكهم المنحاز لاسرائيل ، بصورة علنية وقحة ، واستغلالهم التوتر في تلك المنطقة ، في صراع الحزبين لاقتناص أصوات اليهود .

الى آخر ذلك ... وهو كثير لا ينقضي ، وعجبي منه لا ينقضي !!

- ٦ -

بعد أن استعرضنا ، بتفصيل واف ، خيوط المؤامرة الصهيونية ـ الاستعمارية ، لخلق اسرائيل ، وبعد أن أوضحنا بالادلة الناطقة ، مدى النفوذ الصهيوني الهائل الذي يوجه السياسة الاميركية ، ويتحكم في شرايين الحياة في ذلك المجتمع الضخم ... نود أن نستعرض في هذا الفصل ، تطور العلاقات بين الدول العربية المشرقية والغرب بايجاز شديد ، على ضوء الاحداث التي تمخضت عنها هذه المنطقة ، منذ الحرب العالمية الاولى .

وقد وجدت ، من الاجدى ، استقراء آراء صانعي السياسة الاميركية ، على اعتبار ان أميركا اليوم ، هي زعيمة المعسكر الغربي ، وهي قلعة الصهيونية الحصينة ... حول ذلك التطور ، وتلك الاحداث ، وعلاقة ذلك كله بالمآسي المتعاقبة التي عانتها منطقتنا ، وعاشها أبناؤها.. وبالمنعطفات الخطيرة التي واجهتها في مسيرتها المتعبة نحو تحقيق أمانيها القومية .

ولقد عنيت أثناء مقامي في الولايات المتحدة ، بتتبع نشاطات واهتمامات وآراء المدعو « ايوجين روستو Eugene Rostow » رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الاميركية ، منذ تسنم الرئيس « كندي » سدة الرئاسة سنة ١٩٦٠ ، وهو أحد الاخوين « روستو » اللذين يشكلان مع مستر « بندي Bundy » اليوم ، الهيئة الاستشارية العليا للرئيس جونسون ، خاصة فيما يتعلق بقضايا الشرق الاوسط .

والاخوان المذكوران يهوديان ، معروفان بميولهما الصهيونية ، فما يقولانه يعتبر حجة في الاتجاهات السياسية للحكومة الاميركية ، وفي تقديراتها ومعالجاتها للوضع في الشرق الاوسط ، في اطار المصالح الصهيونية ــ الاميركية ، المتشابكة !

وأهمية أقوال السيد « روستو » تجيء ، من انه منذ نحو ثماني سنوات ، يطبع السياسة الاميركية الخارجية ، في هذه المنطقة ، بطابعه ، ويرسم لها معطياتها ، وحدودها وأبعادها ، واذا أضفنا الى التخطيط ، مهمة التنفيذ التي قام بها يهودي صهيوني آخر هو السيد « غولدبرغ » رئيس الوفد الاميركي في المنظمة الدولية ، الذي استقال مؤخرا ، بعد أن قام بدوره المرسوم خير قيام ، أدركنا أسباب مواقف التعنت والبهت ، والانحراف عن الحق ، والانحياز الفاضح لاسرائيل ، والتعبد المطلق للصهيونية التي اتسمت بها السياسة الاميركية ، بعد حرب الخامس من حزيران •

وآراء السيد « روستو » في أحداث الشرق الاوسط ، بقدر ما أتيح لي أن أثبته في مفكرتي •• مع حصيلة اتصالاتي الشخصية وتجربتي الخاصة ••• تتلخص فيما يلي :

يقول مستر « ايوجين روستو » :

« بدأت علاقة الولايات المتحدة بالشرق الاوسط ، تتضح وتنجلي•• ثم تنمو وتزيد ، منذ أعلن الرئيس « ترومان » في الثاني عشر من شهر اذار سنة ١٩٤٧ ، برنامج مساعدات اقتصادية وفنية وعسكرية لتركيا للوقوف في وجه أطماع روسيا القديمة بالوصول الى المضايق !!

« ثم قامت اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، فضاعف قيامها من اهتمام اميركا بالمنطقة ، ومع انه يصعب ايجاد تفسيرات واضحة للاتجاهات السياسية لاسرائيل ، بعد وقت قصير من قيامها ، الا انها فيما يبدو مضطرة لمراعاة أربعة مبادىء أساسية : الاول ، انها لا تملك الوقت والمساحة

الكافيين للمساومات والمناورات كجيرانها . والثاني ، انها معنية باستمرار بأوضاع المجتمعات اليهودية في البلاد الاخرى . والثالث ، عداء الدول العربية المتزايد ... والرابع والاخير ، الموقف غير الودي ، الذي تقفه روسيا السوفياتية منها !

« وبناء على هذه المبادىء ، فان أي خطأ طفيف ترتكبه اسرائيل ، في تقدير الموقف تقديرا سليما ، قد يكلفها وجودها كله !

« ومن ناحية أخرى يتضح ان الهدف الاساسي للسياسة الاسرائيلية هو بقاؤها .. وكل جهودها ترمي الى توفير المناخ الضروري لنمائها وتقدمها واستقرارها .. يرافق هذا الحذر ، شعور بالراحة والطمأنينة لدعم الولايات المتحدة لاستمرار الوجود الاسرائيلي في تلك المنطقة !

« اما الدول العربية فانها – كلها نسبيا – حديثة العهد بالاستقلال ، وحين تحقق لها ذلك ، وجدت الاحزاب المتطاحنة على السلطة فيها ، ان مهمة الحكم تختلف اختلافا جوهريا عن مهمة مقارعة الاستعمار ، ومعارك التحرر الوطني ، وبعد مخاض طويل وأحداث متعاقبة ، وفي مقدمتها قيام الكيان الاسرائيلي في قلب العالم العربي .. تبلورت السياسة الخارجية للدول العربية في منطلقات ثلاثة : أولها ، علاقة هذه الدول باسرائيل . وثانيها ، علاقتها بعضها ببعض ، والثالث علاقتها بالعالم الخارجي !

« أما عن المنطلق الاول ، فان جميع الدول العربية متفقة على ازالة اسرائيل ، دون أن يكون لهذا الاتجاه مدلول واضح ! أو مخطط مرسوم ، وقد تطور هذا المفهوم على مر الايام ، ومقتضى الواقع الذي يجفو أضغاث الاحلام ، حتى أصبح المطلب العربي ينحصر في انكفاء اسرائيل الى الحدود التي رسمت لها في قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، كخطوة أولى نحو القضاء عليها نهائيا ، عندما تحين الظروف !

« وبما ان اسرائيل لا يمكن أن تسلم بهذا المنطق المتداعي ، وحيث

ان الدول العربية غير قادرة عمليا على تنفيذ الوعيد والتهديد ، يغدو أفضل علاج لحسم المعضلة المستعصية ، أن تقدم الدول الكبرى مجتمعة على فرض حل سياسي ، مع ضرورة اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على ذلك . اذ ما لم تتفق الدولتان الكبريان على حل ملزم للفريقين ، فستظل هذه المنطقة وهذه القضية بالذات ، مصدر قلق دائم ، بل مصدر خطر مؤكد وشر مستطير !

« لقد كان قيام اسرائيل ، صدمة نفسية هائلة ، زلزلت أعماق الانسان العربي ، وحركت في ضميره نوازع الشك في الانظمة العربية . بل في كل قيمة ، وكل خلق ! وغامت الرؤية الواضحة أمام عينيه في ثنايا الضباب العاطفي ، فمضى يتخبط في ضياع مخيف !

« وتتابعت الانقلابات الدموية ، وتفجرت الطاقات الحبيسة ، تبحث عن أفق جديد !

« ومن ناحية أخرى ، أخذ الاستعمار البريطاني خلال السنوات العشر التي تلت الحرب العالمية الثانية ، يتقلص في المنطقة ، تحت ضغط الحركات القومية ، ومستلزمات العصر ، وبذا انحسر النفوذ الغربي تدريجيا ، وتحررت المنطقة أو كادت من الضغوط السياسية ومناطق النفوذ .

« وهذا ما حث الولايات المتحدة على الرغبة في محاولة ملء الفراغ المستجد ، لا بقصد استعمار المنطقة ، بل بقصد حمايتها من الخطر الشيوعي !

« فهب الرئيس ترومان ، يعلن مشروعه بتقديم المساعدات المالية والعسكرية لكل من تركيا وايران » .

« وتلت هذه الخطوة ، خطوات أخرى متلاحقة ، ففي شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ ، عقد اجتماع في استنبول ، حضره رؤساء البعثات السياسية الاميركية ، في منطقة الشرق الاوسط ، برئاسة مساعد وزير

الخـارجية السيـــد « جـــورج ماجي George McGhee »

« وقد أوضح مستر « ماجي » الغرض من المؤتمر في خطاب الافتتاح — ينقل مستر « روستو » هنا نص أقوال مستر « ماجي » من تقـرير سيـاسي لسفير أميركـا في اسرائيل ، حينـذاك ، مستر « جيمس ماكدونالد » — !

« قال لنا مستر ماجي : « ان ركائز سياسة الولايات المتحدة فـي الشرق الاوسط ، هي تقديم العون العاجل لتطوير اقتصاد دوله ، ورفع مستوى المعيشة لمواطنيه ، والهدف من وراء هذه السياسة ، تجنيب دول المنطقة ، التهديد الشيوعي من الداخل ، وحماية سلامة الدول الملاصقـة لروسيا من تهديد مباشر .. ان موقفنا هذا أمر حيوي لا بد منه لحماية المصالح الغربية والحضارة الغربية ، اذ اننا لا نستطيع ان نرى الشرق الاوسط يصبح منطقة نفوذ روسية بعد انحسار النفوذ البريطاني عنه . وقد توصلنا الى اتفاق تام مع بريطانيا حول معظم المبـادىء والاسس ، التي تؤمن بها الحكومتان » — انتهى كلام ماجي .

« وقد اتسع الخلاف بين الدولتين في السنوات التالية ، وأصبـح ملموسا وواضحا . ففي سني ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، انغمست بريطانيا فـي صعاب لا حد لها ، فقد اغتيل الملك عبد الله في القدس ، وانفلتت أزمة البترول في ايران ، ووصلت العلاقات المصرية — البريطانية الى مستوى القطيعة ، بعد رفض مصير اعلان الدول الاربع الكبرى ، بحماية السلم في الشرق الاوسط ، على أساس الاوضاع السائدة فيه .. وتطـورت القطيعة ، بعد رفض مصر اعلان الدول الاربع الكبرى ، بحماية السـلم في الاسماعيلية في ٢٥ كانون الاول ١٩٥٢ ، دامت خمس ساعات !

« وكانت سياسة أميركا ، خلال تلك الفترة الحرجة ، تهدف الـى التخلي عن كل ارتباط مسبق مع بريطانيا . اذ ان نظرة شعوب المنطقـة اليها ، بالرغم من اندحار نفوذها ، وتقلص امبراطوريتها ، كانت مشوبة

بالشك والريبة في نواياها الاستعمارية ، وخطتها المبيتة لاستعادة ما فقدته ..

« وكان الساسة الاميركيون ، يعتقدون حينذاك ، ان اميركا تحتل مركزا مرموقا لدى تلك الشعوب ، لكونها هي نفسها كانت يوما ضحية استعمار بريطانيا .. وكانت أول دولة هزمت ذلك الاستعمار ! وحذا الآخرون حذوها ، ومن الطبيعي أن تتسم العلاقات بين هؤلاء وبين اميركا بروح المودة والتعاطف !

« غير ان هذا الاعتقاد المتفائل ، لم يكن مقنعا ، وما لبث أن تضاءل وتوارى ، في أتون الاحداث ، وظهرت دلالات هذه السلبية في موقف الهند من الحرب الكورية .. وانعطاف مصر نحو روسيا ، وعناد اندونيسيا وغانا ، وغيرها !

« وقد يبدو للوهلة الاولى ، ان هذا العناد وتلك السلبية ، واتهام أميركا بالامبريالية ، باعتبارها وريثة الاستعمار البريطاني ، هو موقف غير عادل ، لان الولايات المتحدة لم تستول على موطىء قدم واحد في منطقة الشرق الاوسط ، ولا هي تنوي ذلك ، غير ان الظروف التاريخية تؤكد ان اميركا انما هي جزء مكمل لتاريخ العالم الغربي ... فلسفته ، وعقيدته ، ونظامه .. وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض الاخر من تاريخ العالم الشرقي ! بفلسفته، وعقيدته المتمثلة في « الدين الاسلامي » !! وليس في وسع أميركا التنكر لانتمائها للعالم الغربي ، اذ انها بذلك انما تتنكر للغتها ودينها ، وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها !

« وفي شهر حزيران سنة ١٩٥٤ ، اجتمع ايزنهاور وتشرشل في واشنطن ، وكان من الامور التي بحثاها واتفقا عليها ، انسحاب بريطانيا الناجز من المنطقة .. وقد تمت المراحل الاخيرة لهذا الانسحاب في شهر تموز من السنة نفسها ، بناء على اتفاق بريطاني ــ مصري ، يلزم الاولى باخلاء منطقة قناة السويس ، في مدة أقصاها عشرون شهرا ،

وقد تم انسحاب آخر جندي بريطاني في الثاني من نيسان سنة ١٩٥٥ ، وبذلك تجدد الامل في امكان استئناف علاقات ودية وتكريس التعاون بين الدولتين .

« غير ان تلك الآمال تبخرت ، غير بعيد ، وساءت العلاقات اكثر فاكثر ، بسبب تجدد الصدام على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية ، وما أظهرته بريطانيا من نيتها في اقامة حلف عسكري في المنطقة ، في وجه التهديد الروسي ، تكون القاهرة طرفا فيه .

« وبتحرر مصر نهائيا من ربقة الاستعمار الطويل ، انطلقت تقيم علاقاتها السياسية مع الدول الاجنبية في ضوء مصلحتها الخاصة ، متصدية بضراوة وحماس لمخططات الاستعمار الجديد ! وفي أيلول سنة ١٩٥٥ وقعت مصر اتفاقية شراء أسلحة من تشيكوسلوفاكيا . وكان هذا الحدث أول انتصار فعلي لروسيا في الشرق الاوسط ، وتسللت من ثم ، بخيلها ورجلها ، وغرست ركائزها !

« لم يكن اهتمام روسيا بمنطقة الشرق الاوسط أمرا طارئا ، فقد أكدت الوثائق الرسمية للحرب العالمية الثانية ، التي كشف عنها الغطاء فيما بعد ، انه في الاجتماع السري الذي تم بين هتلر ومولوتوف سنة ١٩٤٠ ، طلب مولوتوف موافقة ألمانيا على قاعدة روسية بحرية على ضفاف « البوسفور » ، واعترافها بأن المنطقة الواقعة الى جنوب « باطوم » و « باكو » باتجاه الخليج العربي ، هي منطقة نفوذ روسية .

« وعند انتهاء الحرب ، حاولت روسيا الحصول على هذه المكاسب، غير ان طلبها رفض ، وصفيت الجمهورية الشيوعية التي أقامتها في أذربيجان ، وباستثناء حركة الدكتور « مصدق » سنة ١٩٥٣ ، لم يبذل الروس أي نشاط ظاهري يذكر في منطقة الشرق الاوسط ! ومكثوا يتحينون الفرص ، حتى لاحت ، بفعل التناقضات الغربية التي تسببت في احداث تغييرات جذرية في البنية الاقتصادية والسياسية

لمجتمعات الشرق الاوسط •

« لم يكن تسلل النفوذ الروسي الى المنطقـــة سنة ١٩٥٨ ، اذن ، حدثا مفاجئا ، بل حصيلة أحداث متعاقبة ، وتطور حتمي ، اذ كـــانت الدول العربية منقسمة على نفسها ، ومهتاجة بسبب الحلف الجـــديد ـــ حلف بغداد ! وتولت مصر زمام معارضـــة الحلف بشراسة وعنف ، بعد أن هيأ لها مؤتمر « باندونغ » سمعة دولية ممتازة ، مهدت لهـــا القيام بدور رئيسي في كتلة الحياد الايجابي !

« ومن جهة اخرى ، تدهورت العلاقات العربية ـــ الاسرائيلية ، من سيىء الى اسوأ ، وساعد ذلك على صيرورة الانفعال الصادق في التفكير السياسي افتعالا ، وخداعا للنفس ، وتزويرا للرؤية » •

« بدأ تسلل النفوذ الروسي الى منطقة الشرق الاوسط ، في نيسان ١٩٥٥ حين نشرت « ازفستيا » بيانا رسميا صادرا عن « الكرملين » يبرز اهتمام روسيا بتدهور الاوضاع في المنطقة ، ورغبتها في اقامة علاقات مودة وصداقة مع دولها ، وخلال صيف تلك السنة ، وضع هذا الاهتمام، موضع التنفيذ العاجل ، في صورة نشاط سياسي كبير ، وتبادل زيارات وبعثات مع عدد من الدول العربية » •

وكانت الصدمة التي هزت الغرب من جراء صفقة الاسلحة ، عميقة الغور ، عنيفة الوقع ، زاد من تأريثها ، موجة الغبطة التي عمت الاقطار العربية ، حتى لقد اضطر « نوري السعيد » نفسه تحت وطأة الاجمـــاع العربي المنقطع النظير ، الى ارسال برقية تهنئة الى الزعيم المصري » •

« ولم تك تلك الغبطة في الواقع ، اعرابا عن محبة مستجدة لروسيا، او عن تشوف لتسلل الشيوعية او النفوذ الروسي الى المنطقة ، بل كانت تنفيسا عفويا عن دهشة الجماهير العربية بتوجيه تلك الصفعة الى الغرب•! وكان هياج الغرب الذي اعقب الصفقة بمثابة ذروة مشهد دراماتيكي ، التلذذ برؤية العدو التقليدي ينفعل ويثور ، وينطح برأسه الصخور ، ثم

لا يستطيع أكثر من ابتلاع الاهانة ! » •

« لقد كان هناك ، في الوقت نفسه ، سياسيون ، بل حكومات في العالم العربي ، تؤمن بمبدأ التعاون مع الغرب ، غير ان ايمانها ذاك ، كان يقتضيها المغامرة ، باستعمال كافة وسائل القمع ، لسحق مشاعر الجماهير! وبالرغم من تحفظ العرب ازاء الشيوعية ، اصبح كل اندفاع نحو روسيا، يقابل بالثناء والتقدير ، بينما كان اتخاذ اي موقف معارض لهذا الاتجاه ، بالاندفاع نحو الغرب ، يقابل بالتنديد والشكوك ! » •

« كان هذا التناقض في الموقف العربي ، يدعو الى الاسى في كثير من الاحيان ، ناهيك بما يطبعه من آثار بعيدة المدى ، في طبيعة ومصير العلاقات بين العرب والغرب في المستقبل • ففي الوقت الذي كان فيه آخر جندي بريطاني يغادر الاراضي العربية مؤذنا بانتهاء عهود الاستعمار،وفي الوقت الذي كانت فيه روسيا ترتكب ابشع المظالم في الجمهوريات الاسلامية في اطراف الاتحاد السوفياتي ، كانت الجماهير العربية المسلمة، تهتف لروسيا وتلعن الغرب • واصبح كره كل ما هو غربي ، الشعور السائد في العالم العربي ! وكل مظهر من مظاهر التقارب مع الغرب ، مظنة سوء واتهام بالخيانة ! مهما تمحلوا له من مبررات ومعاذير !! المؤمن بالاشتراكية والشيوعية ، وطني شريف • والمؤمن بالحرية والديمقراطية ، خائن وعميل ، الى آخر هذه التناقضات العجيبة ! » •

« ويتساءل « روستو » عن اسباب تدهور العلاقات بين العرب والغرب الى هذا المنحدر السحيق ، وما الذي يجب عمله لتلافي ومعالجة هذا الوضع الشاذ ، ويجيب على تساؤله بقوله : اننا عند بحث تدهور العلاقات ، يجب أن نحدد نقاط الخلاف ، ونحاول وضع الحل المناسب لكل منها » •

« بعض الاميركيين ، يعتقدون ان معالجة الوضع برمته لا تحتاج الى اكثر من مرونة سياسية تستجيب للرغبات العربية ، وتهادنها •• لكنهم

ينسون او يتناسون ان الرضوخ لتلك الرغبات ، سيكون على حساب ، بلاد او شعوب اخرى ... على حساب اسرائيل مثلا ! » .

« وترى بعض الدوائر السياسية الاميركية انه لولا سوء الحظ ، الذي ربط بيننا وبين الامبريالية من جهة ، وبيننا وبين الصهيونية من جهة اخرى ، لكانت علاقاتنا بالعالم العربي مثالية ، ولامكن اقامة تعايش سلمي بناء ، بين المصالح الاميركية وبين القومية العربية . وقد تبدو هذه الصورة جميلة وموحية ، لولا انها تقوم على الايهام والتوهم ، لا على الحقائق التاريخية » .

« ان معظم العرب يضعون الصهيونية والاستعمار في المكان الاول من اسباب خصومتهم للعالم الغربي ! والعرب في الحق مخلصون في عدائهم لهذين المفهومين ، لكن ذلك وحده لا يكفي تفسيرا مقنعا للسلوك العربي في العلاقات الدولية ... فمع ان روسيا هي احدى الدول التي ساهمت في قيام اسرائيل ، وسارعت الى الاعتراف بها ، وان احتماء اسرائيل بالاسلحة التشيكية ، هو الذي انقذها من الفناء المحقق ، في معاركها الاولى مع العرب ، بالرغم من ذلك كله ، لم يرتفع صوت جهير واحد في انتقاد روسيا ! والظاهرة الغريبة ان مثل هذا الموقف ينسحب على غير العرب ، فهناك دول كثيرة في افريقيا وآسيا، لا علاقة لها بالمشكلة الفلسطينية ومع ذلك تقف بين الشرق والغرب ، نفس ذلك الموقف الغريب! فهل المعضلة ، اذن ، هي رواسب « الامبريالية » ؟ وهل ينظر العرب الى الصهيونية باعتبارها وجها من وجوه تلك المعضلة ومظهرا من مظاهرها ؟!»

« لكن ، لو سلمنا جدلا ، بمثل هذا الاستنتاج، لماذا تدخل الولايات المتحدة ، تحت هذا المدلول ؟ وهي التي لم يسبق لها ان استعمرت او طمعت في استعمار موطىء قدم واحد في الشرق الاوسط ، وكيف تستثني روسيا ، التي ما تزال تستعبد بلادا اسلامية عريقة ، ومدنا اسلامية شهيرة ، كبخارى وسمرقند ، وغيرها ؟ » .

ويعقب السيد « روستو » على هذه التساؤلات بالاستنتاج التالي ، وهو بيت القصيد ، وارجو ان يعيه القارىء وينظر فيه بعمق !

يقول « روستو » :

« لكي يغدو بامكاننا تفهم هذا الوضع ، يجب ان ندرك ان تلك الخلافات لا تقوم بين دول او شعوب ، بل تقوم بين حضارات ! » .

« لقد كان الحوار بين المسيحية والاسلام ، محتدما على الدوام ، منذ القرون الوسطى ، بصورة او بأخرى ! ومنذ قرن ونصف خضع الاسلام لسيطرة الغرب ، أي خضعت الحضارة الاسلامية للحضارة الغربية ، والتراث الاسلامي ، للتراث المسيحي ! وتركت هذه السيطرة آثارها البعيدة ، في المجتمعات الاسلامية ، حتى بعد انتهاء اشكالها السياسية ، بحيث جعلت المواطن العربي ، يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم ، لا يدري كيف يتفاعل معها في علاقاته الداخلية والخارجية على السواء » .

« لقد تحرر حقا ، من سيطرة الغرب السياسية ، لكنه لم يستطع التحرر من سيطرة الغرب الحضارية ! ان ثروته البترولية ، تصنع وتسوق بالعقول الغربية والاساليب الغربية والآلة الغربية . ان الجيوش العربية التي هي مصدر غروره القومي ، تستعمل السلاح الغربي ، وترتدي البزة الغربية ، بل تسير على انغام الموسيقى الغربية ... حتى ان ثورته على الغرب مستمدة من المبادىء والقيم والمفاهيم التي تعلمها من الغرب !! حتى ان معرفته بتاريخه وحضارته وتراثه تعزى الى المثقفين الغربيين ! » .

« ان غلبة الحضارة الغربية في الشرق ، وهي هي العدو القديم للحضارة الاسلامية ، قد اورثت العربي المسلم ، الشعور بالضعة والمهانة ، والصغار ، امام طغيان تلك الحضارة التي يمقتها ويحترمها في نفس الوقت ! » .

« لقد استطاعت بعض الدول الشرقية ، كتركيا وايران ، تطوير

علاقاتها بالدول الغربية على اساس مصالحها القومية ، لكـن السياسات العربية ما تزال تعيش على احلام وامجاد واوهام الامبراطورية الاسلامية ! التي كانت تقسم العالم الى قسمين متعارضين متناقضين ، يعادي احدهما الآخر ، ويضمر له الشر ، هما « دار السلام » اي الامبراطورية الاسلامية، و « دار الحرب » اي اعداء تلك الامبراطورية ، على اساس الحديث : « الكفر ملة واحدة » •

« لقد تفوق الروس على الاميركان ، في تسللهم الى منطقة الشرق الاوسط ، بأنهم شيء مخالف للغرب ، وللحضارة الغربية • وان روسيا ، من تلك الحضارة على طرفي نقيض ، فـي مبادئها ، وعقائدها ونظامها ، بينما اميركا ، هي جزء من الغرب ، بل هي زعيمة ذاك المعسكر ! » •

« وشبيه بموقف العرب هذا ، موقفهم من المانيا الهتلرية ، أثنـاء الحرب العالمية الثانية ، فالذين اتجهوا نحو برلين ، فـي تلك الايـام ، يتجهون اليوم نحو موسكو ! قلعة العداء للغرب ، اما استعمار روسيـا لبعض المدائن التي كانت يوما مراكز للحضارة الاسلامية ، ومنائر للثقافة الاسلامية ، فهو استعمار ناء بعيد لا يحسه المواطن العادي ، كمـا يحس الاستعمار الغربي الذي عاناه ، واكتوى بناره السنين الطوال ، حتى ان النقد الذي اخذ يسلط على روسيا في الآونة الاخيرة ، من بعض الاصوات المرتعشة الخافتة ، يصفها بأنها كأميركا ، وان روسيا لا تعدو كونها دولة أوروبية ، فهي بالتالي استمرار وامتداد ، لحضارة الغرب وتاريخه ! » •

« ازاء امثال هـذه المفارقات والمتناقضات ، والعـداء المستأصل ، تنصح بعض الدوائر الاميركية ، باستعمال وسائل القمع والعنف ، وتزعم ان العربي لا يفهم الا منطق القوة • وردي على هؤلاء ان العربي قـد يخضع امدا ، لمنطق القوة ، ويضطر كارها للاقتناع به ، لكنه ليس المنطق الوحيد الذي يفهمه ويتجاوب معه • وقد رأينا عواقب ذلك المنطق ، في ردة الفعل لدى الجماهير العربية ، من لجوء بريطانيا وفرنسا الى استعمال

القوة في غزوة السويس ، ومن رفض « دالاس » تمويل مشروع السد العالي ، ومن موقف فرنسا تجاه ثورة التحرر الجزائرية ! » .

وبغض النظر عن المظهر اللاخلاقي لمنطق استعمال القوة ، فان مثل ذلك من شأنه ان يسيء الى سمعة الولايات المتحدة في العالم ابلغ اساءة ! واني لاتساءل هنا : افليس في مقدور السياسة الاميركية ، ان تجد مخرجا ، دون اللجوء الى احد امرين كلاهما سيء وخطير : سياسة السيطرة ، او سياسة التهدئة ! وهل يجب ان نعتبر السلوك العربي على الدوام سلوكا بدائيا طفوليا يعالج بالترهيب والترغيب ، بفرك اذنه او ملء جيوبه حلوى ! » .

« أليس بالامكان ، ان تقيم مع العالم العربي علاقات سوية مبنية على العقل والمنطق والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة !؟ » .

« لقد سبق ان اوضحت ان ازمات الشرق الاوسط لا تنبثق من صراع بين دول ، بل من صراع بين حضارات ، والحضارات لا تعترف بالمفاهيم السياسية ، لكن الدول يجب ان تعترف بذلك ! » .

« وسأحاول في الاسطر التالية ، ان اصف الملامح الجوهرية للوضع الحالي في العالم العربي (اقوال روستو هذه تعود الى سنة ١٩٦٤) وموقفنا حيال ذلك الوضع » .

« منذ سنة ١٩٥٥ ، انحسر الاستعمار عن الشرق الاوسط ، فتحرر من مناطق النفوذ ، وليس في الجو ما يشير الى امكان عودة عقارب الساعة الى الوراء ! » .

« وقد خلفت مائة وخمسون عاما من السيطرة الاستعمارية، والنفوذ الغربي ، وراءها ، عقدا نفسية تشك وترتاب في كل ما هو غربي ، بل تجابهه وتناصبه العداء ، وبالمقارنة تميز الموقف العربي من روسيا — لانعدام الصراع بين الفريقين في السابق — بالحياد ، ان لم يكن بالتحيز لها والارتماء في احضانها ، وقبول منطقها الدولي ! وقد زاد في توضيح

هذه المقارنة ، تفوق الاسلوب الروسي المباشر في التفاعل مع مشاعر المواطن العربي والتجاوب مع عواطفه القومية ، مع سرعة البت ، بالقياس على الاسلوب الاميركي الغبي المعقد البطيء ! » .

« غير اننا لا يجب ان ننسى ، ان العشرة الطويلة تورث الملل والسأم ، ثم المتاركة ، وانه نتيجة تعامل روسيا الطويل ، نسبيا ، مع العالم العربي ، فقد الاسلوب الروسي ، لمعانه ، وايحاءاته ، واخذ يتعرض بين آونة واخرى لنفس الشكوك ، ونفس الخيبة ، التي تعرض لها اسلافهم الغربيون ، خاصة وان البلاد العربية ، تمر بفترة حرجة قلقة ، اورثتها البلبلة وعدم الاستقرار ، في كافة مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ومن شأن وضع كهذا ان يسهل التغلغل الشيوعي. ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة الا على اساس ما ذكرناه من عداء مقيم بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية .. وليست المشكلة الصهيونية الا سببا جديدا من اسباب الصراع !! » .

« ويصل الكره للغرب ، والحقد عليه ــ الآن ــ مداه ، ولذا يغدو من الضروري ، الكف عن امداده بوسائل الاثارة والاستفزاز ! » .

« لقد فشلت السياسة البريطانية في الشرق الاوسط ، عندما تكشف ضعفها وظهر عجزها عن مسايرة التطور ، لكن القوة والثروة الاميركيتين، ما تزالان تستقطبان بعض الاحترام ، وتحققان بعض النجاح ، بالرغم من اساءة استعمالهما في كثير من الظروف ! » .

« وخلاصة القول ، ان القدرة على مواجهة المشاكل العربية وحلها حلا وئيدا سليما ، تكمن في العرب انفسهم ، بعيدا عن التدخل الشرقي والغربي على السواء ، اذ ان اي تدخل من اية جهة ، من شأنه ان يوجه النشاط القومي الى المغامرة والتطوح وراء الشعارات ، فيتعذر بروز القادة الايجابيين المخلصين ! » .

« ويمكن القول ان في امكان الغرب ان يساهم في مساعدة العرب

على ايجاد الحلول المناسبة لمشكلاتهم ، على ان تكون هذه المساعدة في صورة معونة اقتصادية وفنية ، مع الحرص على وضع تلك المعونة موضعها الصحيح ، وتحاشي الانتقاص من المبادهة الشخصية عند من يقدم لهم العون ، او التعرض لاستقلاله الذاتي وحرية تصرفه . وتوجيه تلك المساعدات لتحقيق الازدهار ، لا للمغامرات السياسية والعسكرية ، ولا لدعم نظام بعينه ، وسياسة بعينها » .

ويمضي « روستو » فيقول ، وهنا بيت القصيد :

« لقد مضى على قيام اسرائيل ، ثمانية عشر عاما ، وهي عضو في المنظمة الدولية ، ويعترف بها معظم دول العالم ، وقد طرأ تطور كبير ، على تفهم العرب لهذه الحقيقة وقبولها بمرارة ، وبالرغم من انه يصعب التكهن منذ الآن ، بكيفية التوصل الى حل للمشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، فان من الممكن تقريب الامل في ذلك ، بابقاء القضية بعيدة عن مجالات الحرب الباردة ، بين القوى الدولية الكبرى ! وعلى العرب اذا ارادوا حل معضلاتهم ، التزام الحياد السياسي بدقة وعدم الركون الى اللعب على « الحبلين » واستغلال موقف مائع بين القوى المتصارعة » .

« ان اهم ما يرنو اليه الغرب ، توقف الحرب الباردة في منطقة الشرق الاوسط وبذا تتلاقى المصلحة العربية مع المصلحة الغربية ، وان بدا الآن ان مثل هذا اللقاء يتعارض مع الاتجاهات السياسية لبعض الدول العربية ! » .

« وقد يأتي يوم ، يجد الاتحاد السوفياتي نفسه ، ان مصلحته كذلك تقضي بأن تخف حدة التوتر ، في المنطقة ، خشية ان تتعرض خططه، نتيجة التمادي والتسرع ، ووقوع احداث مفاجئة غير متوقعة ، للانتكاس والخيبة ! » .

« ان التوصل الى اتفاق مع القومية العربية ، امنية غالية عزيزة ، لو كان ذلك سهلا ممكنا ، ولا يستحسن العمل ، في سبيل ذلك ، على

اجتذاب بعض القادة القوميين ، الذين قـد يفقدون اتباعهم ويخسرون مراكزهم القيادية ، من جراء اقدامهم على ذلك ... كما انه يتعذر التوصل الى اتفاقات بناءة مخلصة ، مع شطط الحركات القومية المغرقة في الوهم والتخيل ، والغـرور ، دون ان يكون لهـا برامج محـددة ، وسياسات واضحة » .

« ونخرج من كل ما سقناه ، بنتيجة واحدة ، هـي ان استعمـال سياسة العنف وحدها ، او سياسة التهدئة وحدها ، غير ممكنة في العالم العربي ، ولا تخدم المصالح الغربية في المنطقة ، وطالما استمرت الحـرب الباردة ، وجب على الغرب المحافظة على اقل مستوى من « التواجد » في العالم العربي او على مقربة منه ، للدفاع عن نفسه وحماية مصالحه... كما يجب ان يمثل ذلك التواجد ، الاهداف المشتركة للتحالف الغربي! » .

« ومن جهة اخرى ، يجـب ان يتخلى الغرب عـن التدخل فـي السياسات العربية المحلية ، ورغما عن التزاماته نحو بعض الساسة الذين وضعوا ثقتهم فيه ، يجب ان تتخلى نهائيا عن المحاور والاحلاف ، واقامة الحكومات والاطاحة بها ، فان ذلك التخلي قد يساعد في قيام علاقـات تجارية واقتصادية وسياسية متناسقة ، هي بالتالي ، اكثر اهمية للعرب ، منها للغرب » .

« اما التعاون البنـاء ، والصداقة المتبادلة ، والعلاقـات الدوليـة السليمة ، فيمكن تحقيقها عندما يصبح الشعور الوطنـي المحلي معبـأ للتفاهم في سبيل مستقبل الاسرة الدولية ، والحضارة الانسانية » .

* * *

قصدت بايراد الصحائف الفائتة ، في هذا الفصل ، أن ألخص للقارىء آراء احد اساطين مخططي السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، كمـا سجلتها في مفكرتي ، كلما اتيح لي ان اسمعه محاضرا ، او اقرأه كاتبا .

وهدفي ان اكشف ، تخبط تلك السياسة في متاهات الجهـل ، ومهاوي الغفلة ، ومظان التحيز الفاضح ! واعتمادها في تصرفها وسلوكها ، حيـال منطقة حيوية هامة ، تعج بالاحداث ، اجتهادات مضللة ، لاستاذ من جهابذة الصهيونية ينظر الى الامور ، ويناقشها ويحللها ، من وجهة نظر اسرائيل، ومن خلال اضطغانه على التراث الاسلامي !

ويستطيع المنصف النزيه المجرد ، ان يقول ، دون تـوقف ، ودون تردد ، ان المقدمات التي ساقها مستر « روستو » غير كريمة، وغير سليمة، كما ان النتائج التي توصل اليها غير عفيفة ، وغير شريفة !

وسنستعرض مع القارىء ، بايجاز ، الافتراضات الملتوية ، والنتائج المنخوبة المشبوهة التي تمحلها المذكور ، وجعلها حقائق ، ومسلمات ، وبنى عليها آراءه الفجة ، المريبة •

ان حصيلة اجتهادات السيد « روستـو » الطويلة فيمـا يتعلـق بالقضية الفلسطينية ، تقوم على المرتكزين التاليين :

١ ــ ان مشاكل الشرق الاوسط ، لا تعزى الى المأساة الفلسطينية وقيام اسرائيل •• وان الوجود الاسرائيلي هو سبب ثانوي طارىء !

٢ ــ ان العداء الذي تضمره دول المنطقة للغرب ، لا يمكن تفسيره، بعد ان جلت السيطرة الاستعمارية، وانحسر النفوذ الاجنبي عن المنطقة ، ولا يمكن فهمه ، الا على أساس الخلاف المستديم بين الحضارة الغربية ، والحضارة الاسلامية •

وتلك كلها حجج داحضة ، ومماحكات بادية العوار ، وهي بالرغم من تفاهتها وصفاقتها ، تقدم الدليل الساطع ، على ان هـدف الاستعمار الغربي ، وامتداده ، اسرائيل في منطقة الشـرق الاوسط ، هـو تدمير الحضارة الاسلامية ، وتقويض التراث الاسلامي ! وان قيام اسرائيل ــ كظاهرة استعمارية عنصرية نازية غربية ــ في قلب العالم العربي والاسلامي، هو جزء من ذلك المخطط العريق وقاعدة عدوانية ، تضـرب مـن خلالها

الحضارة الاسلامية . وان ذلك المخطط هو استمرار للحروب الصليبية ـ في لبوس جديد ـ لنفس الغرض ونفس الاهداف .

غير ان السيد « روستو » بالرغم من افتضاح مكنون صدره ، ضد الاسلام ، عقيدة وتراثا ، قد اراد بالتضليل والتمويه والايهام ، ان يقرر ـ بوقاحة مدهشة ـ ان عداء العرب لاسرائيل هو مسألة ثانوية ، وسبب طارىء ، وان الاصل هو الجفوة المستمرة بين الحضارة الاسلامية التي يمثلها العرب ، والحضارة الغربية التي تمثلها اسرائيل .. وكأنه يريد ان يقول : ان سبب صراع العرب لاسرائيل ، ليس لانها اغتصبت ارضا ، وشردت شعبا ، ليس لانها تمثل حركة عنصرية فاشية ، عدوانية توسعية.. ليس لان قيامها فوق اشلاء الوطن المسروق والشعب الطريد ، هو جريمة نكراء لا سابقة لها ضد الشرائع وضد الاخلاق .. وضد الاعراف الدولية ، وهو سبة خزي ، ولطخة عار في وجه الانسانية كلها !! ليس لذلك ! بل لان اسرائيل تمثل الحضارة الغربية في مجتمع يكره تلك الحضارة ، ويناصبها العداء !

وانا آسف لانني مضطر ان اقول للسيد « روستو » ان استنتاجاته واستقراءاته ، باطل وكذب وتزييف ، وافتئات على الحق والمنطق ، والشرف والمروءة ، وتزوير مخيف لحقيقة الصراع بين قضية العرب العادلة والغزو الصهيوني المجرم !

واقول للسيد « روستو » بصراحة وسماحة وهدوء ، انه اذا كان الغربيون ، او الفرنجة ، يحقدون على الدين الاسلامي ، ويرون فيه القوة الصامدة في وجه مخططات الفساد والالحاد ، واستعمار الشعوب واستغلالها ، فان الاسلام ، اكرم واعظم من ان يبادلهم ذاك الهراء ، وذلك الحقد الاسود ، والتعصب الذميم ، اذ ان الاسلام ، دين متفتح متسامح ... دين ذو مقدرة عجيبة على التفاعل مع الحضارات وهضمها والامتلاء بها ... دين معطاء يميط عن الانسانية ادران الاثرة ، وشرور الانانية ،

وخلائق الهمجية الجاهلية .

ولست ادري ، كيف يتجاهل « روستو » ان الحضارة الاسلامية هي التي مهدت لقيام الحضارة الغربية ، اذ هضمت وجددت واضافت الى الحضارة اليونانية ، وقدمتها هدية للانسانية ، حين كانت اوروبا ، تغط في سبات الجهل والظلام ... حتى جاء عصر النهضة ، تتاج الحضارة الاسلامية .. ذلك ان هذه الحضارة تؤمن بتلاقح الحضارات وتلاحمها وتفاعلها ، وتؤمن بحرية الرأي ، وجلاء الحقيقة بالقولة الحسنة ، والكلمة المضيئة في اطار المحبة والتسامح والخير .

كيف يتجاهل السيد « روستو » نعمة الحضارة الاسلامية على الدنيا ، « كان الخليفة يتحدث في مراكش ، مع ابن رشد في فلسفة ارسطو وسقراط وافلاطون ، بينما كان النبلاء الغربيون يتباهون بعدم معرفة القراءة » .

فاذا ابتليت الحضارة الاسلامية ، بخلف كجلد الاجرب ، فليس ذلك ذنبها ، بل ذنب من ورثوها ، وهجروها حتى تراكمت عليها اتربة القرون ، ولو قد قيض لها من اهلها من يعرف قدرها ويجلو ضياءها ... لما اصبحت ، رمز ذلة في عين الاوغاد والصعاليك !

ولئن اعطت الحضارة الغربية ، الانسانية ، الكثير من الخير ، وساعدتها في تلمس طريقها الى الفضيلة ، فليس اقدر واجدر من التراث الاسلامي في الانتفاع باللباب ، واقتباس العلوم والآداب ! الاسلام الذي يرفع شعار : اطلبوا العلم ولو في الصين ، احر به ان يرفع شعار : اطلبوا العلم في لندن وواشنطن وباريس !

وانا عن جوهر الاسلام اتحدث ، لا عن الاسلام الذي آل الى طقوس وعبادات .. وخدر وأحلام ، بيد الجهلة التعساء من أبنائه ، بحيث يكاد يتجهم لاصوله الروحية !

واستطيع ان اقول للسيد « روستو » ، بحرارة وصدق واخلاص ،

ان العرب لا يضمرون للغرب أي عداء ، بعد أن جلا كابوسه عن ديارهم ، وانحسر عن اوطانهم ، بل هم يرنون بشوق لاقامة علاقات صداقة ، وتعاون مع الدول الغربية على اساس الاحترام المتبادل ، والمنافع المشتركة، لا على اساس سيد ومسود ، قائد ومقود ... ومناطق تبعية ونفوذ ... لا على اساس دعم الغرب الموصول لربيبته وصنيعته اسرائيل ، على حساب مصلحة العرب .. وكرامة العرب .. بل الوجود العربي كله !

واستطيع ان اقول للسيد « روستو » ان جميع ازمات واحداث الشرق الاوسط ناجمة عن جريمة قيام اسرائيل ! وانا مؤمن بأنه لولا هذا الكيان المسخ الدخيل في قلب وطننا، لكنا بحكم ديننا وتقاليدنا ، وتراثنا، اقرب ما نكون ومن نكون الى المفاهيم الديمقراطية والقيم الروحية ومبادىء الحرية والكرامة الانسانية ، التي حسبنا ان الغرب يعتنقها ويؤمن بها ! .. وانه لولا وجود اسرائيل ، لنعمت هذه المنطقة بالامن والسلام والاستقرار .

واستطيع ان اقول للسيد « روستو » بصراحة ، اننا سنزرع في قلوب اجيالنا القادمة ، الحقد على الصهيونية والاستعمار .. ونغرس في نفوسهم لهفة الثأر والانتقام .. وسنتعاون في سبيل غسل عارنا ، مع الابالسة والشياطين .

لقد طالما نصحنا اصدقاءنا ، من كبار المسؤولين في الدول الغربية عامة وفي اميركا خاصة ، وحذرناهم من مغبة اندفاعهم الاعمى في دعم وحماية اسرائيل ، وناشدناهم الشرف والخلق ، ان يلتزموا الحياد ، وينصروا الحق ، ويعطوا الدلالة على ايمانهم بما يرددونه من مفاهيم الحرية والديمقراطية وحق تقرير المصير !

ولكأني بمستر « روستو » يتكلف كل ذلك العناء الذي تكلف ، ليؤكد انه لا لقاء بين الشرق والغرب ، لانهما يمثلان حضارتين متناقضتين، متعارضتين ، متعاديتين ، وان لا بد ان تبتلع احداهما الاخرى ، ليستتب

الامن ، ويعم السلام ، ولذا فان قيام اسرائيل ، ودعمها لتكون واجهة الحضارة الغربية في المنطقة .. وتكون رأس جسر في قلب العالمين العربي والاسلامي ، هو امر حيوي وضروري وهام ، اذ هو حجر الزاوية في المخطط الجديد للحروب الصليبية الجديدة !

ومن المفارقات الغريبة ، والمتناقضات العجيبة ما نشر في مطلع شهر كانون الثاني ١٩٦٨ على لسان المستر « روستو » الاخ كبير مستشاري الرئيس جونسون ... قال في مراجعة للموقف في الشرق الاوسط :

« ان على القوات الاسرائيلية ان تنسحب الى حدود امينة ، تحل محل خطوط الهدنة الهشة التي وضعت في عامي ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، اذ ان خطوط الهدنة ، تلك ، كانت تحمل بوضوح ، فكرة تعديل الحدود ، عندما تحل محلها ترتيبات من أجل السلام ! » .

وكأني بمستر « روستو » يريد أن يقول : ان حدود اسرائيل قبل ٥ ـ ٦ ـ ٩٦٧ ، اصبحت غير مقبولة ، ويجب السماح لاسرائيل بالتوسع والتمدد ، والحصول على مكاسب استراتيجية جديدة ، واحتلال مناطق عربية جديدة ، كخطوة أخرى في تحقيق حلم « اسرائيل الكبرى » !

اما قرار التقسيم الصادر عن هيأة الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ ، وصراع اسرائيل لاقراره ، ثم نكولها عن التقيد به ، ثم استهتارها بمقررات المنظمة الدولية الاخرى !

واما اعلان رؤساء الولايات المتحدة المستمر منذ سنة ١٩٥٢ الى الان بأن اميركا لن توافق على اي تغيير في الحدود الدولية القائمة في المنطقة ! ..

واما احتلال دولة بالقوة لاراضي دولة اخرى والسماح لها بالحصول على مكاسب اقليمية نتيجة عدوان غادر !

اما هذه وتلك ، فليس لها عند المستر « روستو » اهمية ، لان الاصل ارضاء اسرائيل ودعم توسعها وامتدادها ، وغض النظر عن جرائمها

ومخططاتها ومؤامرتها !

اما بشأن مدينة القدس ، فقد جاء في اقوال مستر « روستو » مؤخرا : « ان مدينة القدس لها مكانة خاصة في نفوس اصحاب الاديان الثلاثة ، ومن المآسي التاريخية الدائمة ، ان تبقى هذه المدينة التي هي منارة للقيم الانسانية العليا ، موضعا للنزاع ، جيلا بعد جيل . لقد حدث تكرارا ان ادت شدة الايمان عند البعض ، الى اقصاء الغير وحرمانهم ، ومن المؤسف ان يستمر هذا الوضع ، مدة تزيد على العشرين عاما ، ولا شك ان اتباع الاديان جميعها ، متفقون على وجوب وضع تدابير جديدة لمعالجة هذا الوضع » .

وكان آخر ما قاله « روستو » في موضوع احداث الشرق الاوسط ، « ان الحاجة تدعو الى بذل الجهود لمساعدة شعوب المنطقة على تكييف مجتمعاتها واقتصادياتها ، ولن يجد السكان العرب في المنطقة شركاء لهم افضل من الاسرائيليين الذين كافحوا عدة قرون للمحافظة على ثقافتهم وتكييفها ، وتكون المأساة كبيرة ، اذا ضيعت مثل هذه الشركة المجزية في عملية تقتيل بين الاخ واخيه » !

بهذه الصفاقة .. وهذه الافتراءات ، يخطط السيدان روستو كبيرا خبراء السياسة الاميركية ..

هذا كلام له خبيء   معناه ليست لنا عقول

بل ليس لنا شرف ، اذا قبلنا بأفك هذين الصهيونيين ومؤامراتهما !

وقد اصبح معلوما ــ حتى في اميركا نفسها ــ ان السيدين « روستو » لا يتورعان عن تشويه الحقائق التاريخية لخدمة اسرائيل واهدافها .

وقد جاءني البريد ، قبل ايام ، بنص الرسالة التي وجهها « رالف بانش » الى احد الاخوين « روستو » يفند فيها اتهامه لموقف السكرتير العام « يو ثانت » بصدد سحب القوات الدولية من سيناء ، وهو يقول

فيها بالحرف الواحد :

« لقد فوجئت بما جاء في محاضرتك في جامعة « مسيسيبي » ان السكرتير العام قد وافق ، فورا على الطلب المصري ، بسحب القوات ، دون ان يلجأ الى الاستشارات التي كان من الممكن ان يقوم بها سلفه .. ان هذا تزييف للحقيقة ، اخشى ان يكون متعمدا ! اذ ان السكرتير العام، قد قام بما يمليه عليه الواجب ، على اكمل وجه ، وذلك مثبت بالتفصيل في الوثيقة التي وزعت على الجمعية العامة في الصيف الماضي » .

لا بأس على مستر « روستو » اذا شوه الحقائق وزور التاريخ وكذب على الحق والعدل في سبيل مرضاة اسرائيل !

ان هذا التحيز المفضوح ، والالتواء عن الفضيلة يدفعنا للدعوة الى اشد الحرص على الصداقة الروسية وتنميتها ، وايضاح تصورنا لها ، دون لبس او غموض ، لان روسيا قد وقفت مع حقنا ، ضد باطل عدونا ، كائنة ما تكون دوافعها لذلك.. كما اننا ندعو الى اشد الحرص على هتك تحيز المسؤولين الاميركيين غير الاخلاقي ، لاسرائيل ، ووقوفهم مع جرائمها المخزية ، وشحذ الحوافز لغطرستها العسكرية ، وغرورها القذر !

كل ذلك في اطار مصلحتنا الوطنية المجردة ، التي لا تتطوح وراء الصداقة والعداوة ، الى حد التفريط بمقومات شخصيتنا المستقلة ، ومفاهيم تراثنا الروحي ..

ذلك وحده ، ينفي عنا ، مظنة التبعية لهذا الفريق او ذاك ، وننطلق وتتحرك ، بحرية واثقة من نفسها ، ونظرة متفحصة تتعمق الامور الى ابعد مطاويها ، ولا تكتفي بالتلهي بالقشور !!

— ٧ —

كانت اسرائيل مرتاحة للاتفاق السري الذي عقد ، اثـر عـدوان السويس ، بين القاهرة وهمرشولد ، وقد كشف النقاب عن هذا الارتياح، في البيان الذي ادلى به « مستر جرانت » مساعد وكيل وزارة الخارجية الاميركية سنة ١٩٦٢ ، امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، وقال فيه ، دفاعا عن وجهة نظر حكومته في التحسن النسبي الذي طرأ على العلاقات الاميركية — المصرية ، منذئذ ، وتبرير استئناف شحن القمح الى مصر .. قال : « ان لدى الحكومة الاميركية ، ضمانات مؤكدة من المسؤولين في القاهرة ، بتجميد الصراع بين مصر واسرائيل ، وان وجود القوات الدولية ، سيحمي ذلك الوضع ! » .

وكانت اسرائيل مرتاحة — من جهة اخرى — للخلافات والتناقضات والمهاترات المستمرة بين الدول العربية ، وانشغالها بمعارك جانبية ، مفتعلة ومصنوعة ، عن معركتها المصيرية مع الصهيونية ، بحيث استغنت عـن التخطيط والاستعداد ، بصغائر ودسائس ومؤامرات ، فتتت وحدة الامة ، وشتتت شملها ، وشلت جهودها ، وشوهت كرامتها ، ومرغت سمعتها في الطـين !

وكان العالم العربي ، يجتاز — مع كل هذه المحن — مرحلة مخاض ، مريرة قاسية ، وكان العقل والمنطق والضرورة اللازبة ، تقضي كلها بـأن يمكن من اجتياز تلك المرحلة وفق مسيرة « تطورية » لا « ثورية » ، اذ ان التطور هو سنة الطبيعة — حتى في مجالاتها المادية ! وان الثـورة لا

تورث الا الخراب والدمار والحزازات الدموية في مجتمع قبلي كالمجتمع العربي • كما وان الانظمة البوليسية ، التي هي بالضرورة نتاج «الثورية» لا تستطيع تحقيق الكفاية والعدل والحرية والمساواة الا على الورق وفي الهواء ، لان منطقها هو الارهاب الفكري ، والاقناع بالضغط والاكراه ! وهذا المنطق غريب على تراث الامة وعقائدها ومقوماتها الاساسية !

كانت اسرائيل ـ اذن ـ مرتاحة للفوضى العارمة التي تشتمل دنيا العروبة من اقصاها الى اقصاها ، واي شيء هو اسعد لاسرائيل من ان تلقى دولا عربية مفككة ، ممزقة ، هزيلة ، يمعن بعضه في تحطيم وتجريح البعض الآخر ، ويضمر له من العداوة والضراوة والكره ، عشرة امثال ما يضمر لاسرائيل !

ولو قد اتيح لاسرائيل ، والله ، ان تختار ، لما كان في الامكان ، بالنسبة لها ، افضل مما هو كائن ••• وكلما فترت الفتن ونامت الاحداث، أججت اسرائيل نارها ، بين الشقيقات ودفعتها الى مزيد من المشاحنة والصراع !

كانت اسرائيل تسرح وتمرح ، وتعد وتخطط وتبني وتشيد ، وكنا نحن نمزق ونهدم وتتلهى بالانفعالات النازلة والارتجال السخيف ، والغوغائية الرهيبة •• وكان لا بد لاستمرار هذا الوضع الشائن من ان تظل المحاور المتخالفة ، وتقوم المعسكرات المتعادية ، يعلو صوت الباطل ، ويبح صوت الحق ••• تذبح المبادىء ، وتنحر الاخلاق ! وكأني انظر الى الاجيال العربية القادمة حين تقرأ تاريخ هذه الحقبة ، تبصق على تفاهاتنا •• على صغار القادة الذين اعمتهم السلطة وملأتهم الاثرة ، وغررت بهم الشهرة السخيفة والطموح الرخيص ! ولو اراد المنصف ان يؤرخ لهذه الحقبة اللعينة ، واراد ان يختار المثل ويقيم الدليل ، لاكتفى بايراد عجائب وغرائب « حيوانات » امثال « المهداوي » و « الشقيري » و « الزعيم الاوحد » و «احمد سعيد» ، اذا استغنى عن الكبائر بالصغائر، واستعاض

عن الكبار بالصغار !

اقول : لو خيرت اسرائيل ، لما اختارت الا بقاء هذا الوضع ، واستمرار تلك الانظمة المتصارعة ... وهي قد اختارت — هي ومن وراءها — ذلك بالفعل ، وحضنته وغذته وشجعت عليه !!

* * *

في اواخر سنة ١٩٦٤ ، تدهورت العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر ، في أعقاب اثارات واستفزازات من الجانبين ، منها قيام مصر بغارات جوية على بعض القرى في اطراف السعودية الجنوبية ، نتيجة للصراع في اليمن ، ومنها اسقاط طائرة خاصة ، لاحدى شركات النفط الاميركية العاملة في الاردن ، فوق الاراضي المصرية ... ومنها خطاب الرئيس المصري الذي قال فيه للاميركيين « اشربوا ماء البحر » ، ومنها اجتماع العرب للمرة الاولى في مؤتمر قمة ، واتفاق كلمتهم على التخطيط الجاد الهادف لمعركة الثأر والمصير مع اسرائيل ... المعركة التي كانت بوادرها تلوح في الجو ، بعد ان تعذر كبح جماح اسرائيل ، وردعها عن تحويل مياه نهر الاردن ، وبعد ان تقاعست الدول العربية — بسبب تفسخها وضعفها — عن تنفيذ ، التزامها الذي طالما تبجح به زعماؤها وقادتها في الميادين العامة ، بمنع التحويل بالقوة ! اذ لم يكد يجتمع القادة ويتكاشفوا ويتصارحوا في منأى عن الدجل و « التهويش » ، ويستعينوا بالخبراء العسكريين ، حتى تكشف الموقف عن هوة مخيفة تكاد تبتلع كل شيء !!

لقد عرف القادة والزعماء حينذاك ، كما لم يعرفوا قط ، ان الصدق اجدى ، وان حبل الكذب قصير ، وان ما يقال في الساحات العامة لاستجداء التصفيق ، لا يتفق مع الدراسة العلمية ، والتدبير المحكم ، والخطة السليمة ... وانهم طيلة خمسة عشر عاما او تزيد ، انما كانوا

يمارسون مهزلة « دونكيشوتية » ، ويحاربون طواحين الهواء ! فاذا جد الجد ، لم تجد شيئا ، الا عنتريات مبتذلة ، ويأس مريح !! ولذا قرر القادة والزعماء ، في جو من التسامح والتصافي ، وتغليب المصلحة القومية على مصلحة الافراد .. ان الواجب الوطني يملي عليهم ان يرتفعوا الى مستوى مسؤولياتهم ، فيصارحوا شعوبهم بالحقيقة المرة ، وهي ان الدول العربية مجتمعة ــ بالرغم من الصراخ المحموم للشعارات الزائفة ، غير قادرة على مواجهة اسرائيل عسكريا ، بل هي لو بدأت ، منذ تلك اللحظة بداية سليمة ، فانها تحتاج الى بضع سنوات لتصل الى مركز القوة الدفاعية الرادعة ، قبل التفكير في التصدي والاختراق كما يقول العسكريون !

وتوافق القادة العرب على خطة هادفة ، وجادة ، هذه المرة ، فألفت القيادة العربية الموحدة ، واعدت الدراسات الفنية ، لوضع مشاريع تحويل الروافد ، موضع التنفيذ .

لقد كان صدى الاتفاق العربي ، ومقررات القمة ، هائلا مدويا في الولايات المتحدة . وامتلأنا نحن السفراء العرب في واشنطن ، عزة وكرامة ، وانعكس الوضع الجديد في المنطقة ، على مجتمعنا الصغير هناك ! وتتالت اجتماعاتنا ، اشد ما تكون حماسا واندفاعا ، لتدارس الموقف ، ومجابهة النشاط الصهيوني ، ومواجهة تطور الاحداث بصف واحد لا ثلمة فيه ... وظهرنا للمرة الاولى في العاصمة الاميركية بمظهر الاسرة الواحدة المتماسكة ، فاذا طرأ طارىء ، واحتجنا الى من ينقل وجهة نظرنا الى المسؤولين ، قام احدنا به باسم المجموعة كلها ، فحققنا ــ ولو في ذلك النطاق الصغير ــ الوحدة الحقيقية للامة العربية ، في الآلام والآمال ، وشركة الهدف والمصير ! وكنا نحس ان احترام القوم لنا ، يزداد بمقدار ما يشد بعضنا البعض الآخر ، كالبنيان المرصوص ، فاذا تفوه أحدنا بكلمة ، فهو انما ينطق باسم مائة مليون عربي ، وباسم دولنا

المتعانقة التي أصبحت على موعد قريب من معركة الشرف والثأر !

وتوجس دعاة الصهيونية وعملاؤها ووكلاؤها خوفا ، وارتعدت مفاصلهم للحدث الكبير الذي لم يكونوا يتوقعونه ، بسبب الصراع الذي كان محتدما دون هوادة ، بين الشقيقات العربيات ، بحيث خيل للقوم ان الاتفاق أمر مستحيل ، وشيء لا يمكن أن يكون ! وأخذ أولئك الدعاة يمارسون ضغوطهم كالمعتاد على المسؤولين الاميركيين لأمداد اسرائيل بأسلحة جديدة ، والالحاح على المانيا الغربية لتزويدها بشحنات الاسلحة التي اتفق عليها من قبل ، وشن حرب أعصاب ضد بعض القادة العرب ، تحمل في مطاويها الترغيب والترهيب ! وكسب المزيد من العطف العالمي على اسرائيل الشهيدة المضطهدة (!) التي تواعد العرب وتوافقوا على ابتلاعها واقتلاعها من جذورها والقائها في البحر ، مستشهدين بالنفايات التي كان يقذفها بعض القادة العرب ، في الميادين العامة ، لتغطية قصورهم وعجزهم • وتكفي الاشارة ، في هذا المعرض ، الى « عنتريات » الشقيري ، ففيها زيادة لكل مستزيد !!

كان هذا هو جو واشنطن ، أواخر سنة ١٩٦٤ ••• جوا مشحونا بالتوتر والتوقع والتحسب ، وبسيل لا ينضب من الصراخ الصهيوني المضلل ، المغلف بالكراهية والمقت !

وزاد في تعقيد الموقف ان أسلوب الرئيس « جونسون » هو أسلوب العناد والمشاكسة والتلويح بالقوة ، اذ انه بطبعه مشاكس عنيد ، عريق في المداورات والمناورات •

ولعل القارىء يعلم ان السياسة الاميركية ، خاصة في الشرق الاوسط ، تنبع من مدارس متعددة ذات اجتهادات متخالفة متعارضة في وزارة الخارجية ، وفي « البنتاغون » ، وفي الـ « C.I.A. » وفي « البيت الابيض » ، ويكون الغلب مناوبة بين هذه المتناقضات حسب الظروف والاحوال ، وحسب شخصية الرئيس الحاكم ومقوماته

الشخصية ، و ... حسب اتجاهات مستشاري الرئيس ، وميولهم ونوازعهم وأهدافهم ... وقد رأينا في الفصل السابق مقدار ضلوع مستشاري الرئيس الحالي وتحيزهم الفاضح للصهيونية وغلبة آرائهم فيما يتعلق بالسياسة الاميركية في الشرق الاوسط ! فاذا أضفنا الى ذلك ان للصهيونية في كافة تلك الاجهزة ، ركائز سيطرة ونفوذ ، عرفنا أسباب تخبط السياسة الاميركية ، خاصة وان القوامين على سداتتها ، هم « شلة » من الشباب الذين تنقصهم المرونة والخبرة ، والتمرس بمعاناة الاحداث... التقطهم الرئيس « كندي » من الجامعات ، وحشرهم في أجهزة الدولة الحساسة ليتصرفوا — على أمزجتهم — في مقدرات الشعوب والاوطان ... ولذا تبدو السياسة الاميركية الخارجية في كثير من الاحيان مباءة لتناقضات عجيبة ، ومظهرا للغفلة وقصر النظر والغباء الشديد !

وكنا في اتصالاتنا الرسمية ، نحس ان الافراد الذين ينتمون الى تلك المؤسسات ، لا يعتنقون اتجاها معينا ، ولا يؤمنون بخطة موحدة ، ولا يتبعون خطا مرسوما ، بل يتصرفون بانفعالات ذاتية وطارئة ، فقد تسمع من أحدهم ، ما قد يخالفه بعد يوم أو أيام ، بسبب انتمائهم الى تلك المدارس المتشاحنة المتعارضة التي تنسج غزلها اليوم ثم تنقضه من الغداة ... ومن هنا مدخل الصهيونية وسيطرتها ونفوذها !

لقد كانت ارهاصات جو واشنطن المتلبد ، في تلك البرهة ، تؤذن بأحداث خطيرة ، توشك أن تقع هنا أو هناك ، وفي هذه المنطقة بالذات ... ولذا تدهورت العلاقات أواخر سنة ١٩٦٤ كما أسلفت بين الولايات المتحدة ومصر !

وكان السلاح المباشر الذي تستطيع الولايات المتحدة أن تمارس من خلاله التهديد والتخويف ضد مصر بالذات ، هو مشروع فائض الاغذية الذي تزود أميركا بموجبه بعض البلدان المتخلفة بالقمح ، مقابل

ثمن اسمي يصرف في البلد المستفيد نفسه ، لمشاريع الانماء ، أو لتقديم تلك المعونة على شكل هبات !

وكانت مصر في أمس الحاجة الى ذلك القمح ، لسبب بسيط ، هو سهولة الشروط الاميركية ، وندرة النقد الصعب الذي يمكنها من الحصول على الكميات التي تحتاج اليها من بلاد مصدرة أخرى !

وبالرغم من تدهور العلاقات ، كان مخططو السياسة الاميركية ، وفي مقدمتهم عملاء الصهيونية ، يرون ضرورة الابقاء على « شعرة معاوية » ، استدامة لاوضاع الدول العربية المتردية ، واستطاعوا اقناع البيت الابيض ان المصلحة القومية الاميركية ، تقضي بالاستمرار في شحن القمح الى مصر ، برهة أخرى على الاقل وعلى سبيل التجربة ! على أمل توقع ظروف أفضل لاستئناف علاقات طبيعية ... فتقدم الرئيس « جونسون » الى « الكونغرس » بمشروع قانون معونة أجنبية ، ومن ضمنها القمح لمصر . فأقر المجلس كل ما جاء في مذكرة الرئيس ، باستثناء البند الخاص بمصر .

والمفاجأة الغريبة في الحادث ، وهي موضع العبرة في سياق هذا الحديث ، انه على اثر احتدام الجدل بين الكونغرس ووزارة الخارجية ، بسبب رفض المجلس ادراج مصر في عداد الدول المستفيدة من فائض القمح ، وكون هذا التصرف من المجلس يحد من صلاحيات الرئيس الدستورية في اتخاذ أي اجراء يراه كفيلا بتحقيق المصلحة القومية ... أوفد الرئيس « جونسون » السيد « دين راسك » وزير الخارجية ، لاقناع لجنة الشؤون الخارجية بوجهة نظر الحكومة ، بضرورة العمل على تحسين العلاقات المتردية مع مصر ، خاصة وان القمح انما يرسل لاشباع الشعب الجائع ، وليس من العدالة والانسانية (!) في شيء ، الضن على انسان بما يمسك الرمق ، ويحفظ الحياة !

ولم يكتف الرئيس « جونسون » برسول واحد ، بل اتبعه بنائبه

« هيوبرت همفري » ، وذاك اجراء لم يسبق له مثيل في عهد الرئيس الحالي على الاقل ، وكان المعروف ضمنا ـ حينذاك ـ ان رفض مشروع الرئيس لم يكن بسبب الثورة الجامحة المحنقة على مصر ورئيسها فحسب ، بل بسبب نفوذ وضغط الاعضاء الضالعين مع اسرائيل ، الذين حسبوا ـ وهم يجهلون أبعاد ومرامي المكائد والمصائد الصهيونية ـ انهم يرضون بذلك اسرائيل ، فيكونون كمن يرمي عصفورين بحجر واحد : فينفسون عن حقدهم على الرئيس المصري ، و « يبيضون » وجوههم مع اسرائيل !!

ذهب السيد « همفري » يرافقه السيد « راسك » الى المجلس لاقناعه بسحب اعتراضه على استئناف شحن القمح الى مصر ، وكانت الحجة التي ساقاها لتبرير وساطتهما ان اسرائيل قد انتقدت بشدة اعتراض المجلس على ارسال القمح الى مصر !.. وان السفير الاسرائيلي في واشنطن ، لم يترك سبيلا لم يسلكه لاقناع المسؤولين الاميركيين بضرورة استرضاء مصر ... بل ان رئيس وزراء اسرائيل ، قد بادر حالا ، حين بلغه اعتراض المجلس ، فاتصل هاتفيا بالرئيس « جونسون » مناشدا اياه بذل كل جهد لاثناء المجلس عما يراه .. هكذا والله !!

ونشرت « الواشنطن بوست » في صدر عددها صباح اليوم التالي تفاصيل القصة بكاملها تحت عنوان : « اسرائيل تؤيد الرئيس جونسون في مساعدة مصر !! » .

وأحب أن أقرر هنا ، انني أسجل بأمانة واخلاص ما عرفته واطلعت عليه ، في حقبة معينة بالذات ، ولا أراني بحاجة للقول ان تلك القصة ، لا تنسحب بالضرورة على كافة الظروف ، لان اسرائيل تعرف من أين تؤكل الكتف ، وتستغل كل ظرف وكل حدث لمصلحتها ، أبشع استغلال !

وقصة أخرى ، سمعتها منذ أيام ، من مصدر حري بالتصديق ، وأنا أذكرها على ذمة الراوي ، فالسياق يستدعيها ، وللقارىء أن يروزها

ويقومها ، فما آفة الاخبار الا رواتها ... ذلك ان كل شيء يتصل باسرائيل هو مظنة سوء وشر ، اذ ان اسرائيل على ضعفها ووهنها ، وانهيار مجتمعها ، وتدهور اقتصادها ، ووشيك افلاسها ، قبل الخامس من حزيران ، قد استغلت تفكك العالم العربي ، وتمزقه ، فصالت وجالت ، في ميدان قد خلا من فرسانه ، ولو كان « في بني عمك رماح » لما احتاج المليونا دخيل في سواد عين العالم العربي وحبة قلب العالم الاسلامي ، الى أكثر من بصقة واحدة من كل مسلم وكل عربي ، لو صفت الاخلاق ، وصدقت النيات ، لكن تلك قصة أخرى ، فلا حول ولا قوة الا بالله !!

قال الراوي ، يعلل أسباب تلكؤ السوريين في خوض معركة الخامس من حزيران ، وانهيار تحصينات المرتفعات السورية التي لا تقهر ، ولا تقتحم ، والتي هي أعظم تحصينات عرفتها المنطقة .. قال الراوي ، يؤكد ما قاله الرئيس عبد الناصر ، من ان الجبهة السورية لم تقاتل ، ولن تقاتل ، وهي التي نفخت في نار تلك الحرب وأضرمتها واستعجلتها ، فعرضت مقاتل الامة العربية لمكائد العدو ، وأعطته مبررات معركة غير متكافئة لم يحن حينها ! والسؤال المحير ، كان وما يزال : لماذا لم يبادر السوريون ، كالاردنيين ، في خوض المعركة منذ صباح الخامس من حزيران ؟.. وأين أين كانت الثورية ، والتقدمية ، والاشتراكية ، في تلك اللحظات السود ؟! ولماذا وقفت دمشق ، قلب العروبة النابض ، موقف المتفرج الذي لا تستفزه معركة مصير ، موقف الصامت على نداءات الاستحماس ، والاستغاثة ، والثأر !

قال الراوي : ظهر الخامس من حزيران ، اتصل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير ، ودعاه الى منزله لامر عاجل هام !! وتم الاجتماع في الحال ، فنقل السفير للمسؤول السوري نص برقية عاجلة من حكومته ، تؤكد ان سلاح الجو الاسرائيلي قد قضى قضاء مبرما

على سلاح الجو المصري ، وان المعركة بين العرب واسرائيل قد اتضحت نتائجها منذ الساعة التاسعة من ذلك الصباح ، وان كل مقاومة أرضية ستورث خسائر فادحة في الارواح والممتلكات لا مبرر لها ، وان اسرائيل لا تنوي مهاجمة النظام السوري ، بعد أن يستتب لها تأديب جمال عبد الناصر ! وبانتهاء الزعيم المصري ، تتفتح الآفاق العربية أمام الثورية البعثية من المحيط الى الخليج ، وان اسرائيل ، من قبل ومن بعد ، بلد اشتراكي ، يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية .. خاصة البعثية العلوية ، ويمكنها أن تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين في البلدين .. وقد يكون ذلك منطلقا نحو تسوية نهائية على أسس الاخوة الاشتراكية ، ولذا فمصلحة سوريا ... مصلحة الحزب ومكاسب الثورة ، أن تكتفي بمناوشات بسيطة ، لتكفل لنفسها السلامة !! .

وذهب المسؤول السوري ، ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيادة القومية والقيادة القطرية ... الى آخر القيادات ! وكانت الطائرات الاسرائيلية في تلك اللحظة تدمر المطارات السورية والطائرات الجاثمة — براحة — فوقها ، مما أضفى على الموقف جو المأساة !

وعاد الرسول السوري ، غير بعيد ، ليبلغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات ، لمضمون البرقية العاجلة ! وهكذا كان !

غير ان اسرائيل ، بعد أن انتهت العمليات الحربية في الجبهتين الجنوبية والشرقية ، اتجهت بثقلها الى الجبهة الشمالية ، بعد أن مهدت لهذه الحركة المفاجئة بحرب نفسية ، فسقط خط « ماجينو » السوري دون قتال ! وسحبت القوات الامامية لحماية مكاسب الثورة.. وبطولات الحاكمين في دمشق !

وقال معلق راديو دمشق ذلك المساء : الحمد لله ! لقد استطاعت قواتنا الباسلة حماية مكاسب الثورة أمام الزحف الاسرائيلي ! الحمد لله

الذي أفسد خطة العدو وقضى على أهدافه الجهنمية ! ان اسرائيـــل لن تحقق نصرا يذكر ، طالما ان حكام دمشق بخير !!

وليت شعري ما الذي كان يعيق اسرائيل عن المضي في فسحة الى دمشق !.. لكنها لا تريد ولن تريد ! اذ ليس في الامكان أبدع ممـــا هو كائـــن !!

- ٨ -

كانت مقررات مؤتمر القمة الثاني في الاسكندرية ، تمثل الخطوة الجادة الاولى ، في سبيل موقف عربي موحد لحفظ الحقوق العربية في المياه الاقليمية . واجه العرب الحقائق المريرة بموقف واقعي مدروس ، لا موضع فيه لخداع الجماهير ، واستغفالها ، وافتعال صرعات «المرجلة» والبطولة ، وصرخات الدجل والتهويش ..

كانت الخطوة الاولى ، لان الجهــود العربية ، والانجازات العربية التي سبقت ذلك ، كانت مكرسة لبعثرة الشمل وتمزيق الصفوف!!

لقد كان بدء اسرائيل بتحويل مياه نهر الاردن لارواء النقب ، عملا عدوانيا وجزءا من قفزات مرحلية ، وتحـــديا سافرا وموجعـا لمقررات الجامعة العربية السابقة في لبنان والعراق والسعودية ، التي تؤكد تصميم العرب على وقف التحويل بالقوة ، وكأنما قصدت اسرائيل بمبادرتها أن ترمي « القفاز » في وجه الدول العربيـــة كلها ، ولسان حالها يقول : « ها أنذا قــد بدأت التحويل برغم انوفكم جميعا ، فأين قوتكم الرادعة التي طالما منيتم بها الجماهير ... بل خدعتم بها الجماهير ؟! » .

وهزت الصدمة أعماق الضمير العربي ، اذ كان ذاك التحدي وذلك التبجح ، فوق مدى الاحتمال ، وفي مطاويه من المهانة والمذلة ما لا يرضى

به شرف ، ولا تهضمه كرامة ، فامتلأت القـلوب بالشك في الزعامات والقيادات ، بل في مبررات وجودها !! فطيلة سبعة عشر عاما ، أتخمت الأمة العربية صراخا محموما بشعارات زائفـة ، وشبعت هجر قول ، وشتيمة وتبجحا وغطرسة واستعلاء ، وكذبا ودجلا ونفاقا ، هي أبشع ما رواه تاريخ الشعوب من همجية ونزول أخلاقي ، وكان هم القـادة والزعماء أن يفتعلوا المواقف في الحارات والازقة ، « ليردح » بعضهم لبعض ، ويسفه الواحد منهم أخاه ، في كـلام بذيء لا تنضح بـه الا المواخير ! والجماهير مستغرقة في هذيان الغيبوبة والهيـاج العاطفي •• تصفق ، وتصفق ، وتصرخ ، وتصيح ، في فوضى عارمة لا ضـابط لغلوائها ! وكم •• وكم من جريمـة خلقية ، وسلوكية ، وذوقيـة ، وانسانية ، وعقلية ، وعاطفية ، قد ارتكبت باسم تلك الجماهير ، التـي كانت تبحث عن الزعيم ، عن المنقذ ، عن المخلص ! ومعذورة هي ، حين ظنت ان انتفاخ الاوداج ، ونزوات الصرع ، وصرخـات البذاءة ، هـي المقومات الحقيقية للزعيم المنتظر !!

حتى اذا جد الجد ، وبلغ تحدي العدو الذروة ، وتنادى القـادة لبحث مقدرات أوطانهم ••• بل مبررات وجودهـم ! توافقوا على ان الدول العربية مجتمعة ، لا تملك قوة رادعة تكفي لحماية نفسها مـن العدوان ، بله التصدي للعدو !

ولم يرتفع صوت واحد يصرخ في وجوههم : « ويحكم ماذا صنعتم بأنفسكم وبأمتكم •• وبدينكم وتراثكم خلال سبعة عشر عاما أو تزيد ؟! ويلكم ، حين استغنيتم عن الصدق ، والاستعداد ، والجهاد ، والتخطيط والتنظيم ، بالدجل والصغار » •

ماذا أقول ؟! وفي الصدر حزازة ، وفي القلب علة ؟!

اتفقت كلمة العرب ـ اذن ـ في مؤتمر الاسكندرية على مواجهة التحدي الاسرائيلي ، بالمبادرة حالا بتحويل روافد نهر الاردن ، في سوريا ولبنان .. وهو حق من حقوق سيادة الدولة في مياهها الاقليمية ! غير ان المقررات اذا لم تصحبها قدرة ، تصبح حبرا على ورق ، ولا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وهكذا كان !

فما كاد العرب يباشرون أعمال تحويل الروافد ، حتى علا صوت نفير الصهيونيين ، في أنحاء الدنيا ، ينادون بالويل والثبور ، وعظائم الامور ، ويتهمون العرب بقطع شريان حياتهم ! واستطاعوا بدعايتهم المنظمة ، كسب الرأي العام من جديد ، ليبرروا اعتداءهم على مواقع الاعمال الاولية ، وتعطيلها ، واكتفينا نحن من الغنيمة بالاياب ، ومن رحلة التعاسة والشقاء بخفي حنين ! يذهب المرء منا الى داره في هدأة الليل مخلى من أثقال النهار ، وفي فؤاده بركان يتلظى على ما آلت اليه حالنا ، ويدير مفتاح المذياع ، لعله يتنسم بصيص أمل ، في عزمة من عزمات الرجال ، فلا والله يقتحم اذنه الا العواء ، والنباح ، والقعقعة والزئير ، أما الهمم فهي همم أشباه الرجال ! الشتائم اياها والتهم اياها.. ويطيش صوابك بين مفاخر الرجعيين ومآثر الثوريين !! وكأنما تطوح الانسان العربي بين شرق وغرب ، وكأن انتماءه للقوى الخارجية المتصارعة أمر لازب ، وقدر تاريخي . أما الامة الوسط ، التي لا تنتمي الا الى دينها وتراثها وأصولها الحضارية ، فهو عار ، وذل ، في دنيا الشعارات !!

واسرائيل ، من وراء ذلك كله ، تقفز من نصر الى نصر ، ومن كسب الى كسب ، في خطى علمية مقدورة مدروسة منظمة مخططة ، والشر يتسع ويتمطى ، وبنو قومي صم ، عمي ، بكم ، فهم لا يعقلون !

في تلك الفترة ، أوفد الرئيس « جونسون » سفيره المتجول العجوز « افريل هريمان » الى اسرائيل ، ليحذر من مغبة استعمال القوة ، وتعريض سلامة المنطقة للخطر ، فخاب سعيه وفشلت مهمته ، لان اسرائيل ، بعد أن أعلن العرب مجتمعين ضعفهم ، ركبها شيطان الغرور ، وملأتها العزة بالاثم ، وسولت لها نفسها الحاقدة ، ان تلك فرصة لا ينبغي أن تفوت ، فلتضرب قبل أن يشتد ساعدهم ، ويقوى عودهم ، خاصة بعد أن اتفقوا فيما بينهم ، والتف بعضهم حول بعض ، وعلموا ، بعد لأي ، ان وحدة الصف هي مفتاح الخير !

ونشرت جريدة « التايمز » اللندنية في عددها الصادر في ٣ ـ ٣ ـ ١٩٦٥ مقالا جاء فيه : « لقد رفضت اسرائيل الاستجابة لدعوة الحكومة الاميركية بالاقلاع عن أسلوب استعمال القوة بالرغم من تهديدها بأنها ستجد نفسها مضطرة اذا لجأت اسرائيل لذلك ، أن تعيد النظر في موضوع تزويدها بالاسلحة » .

لقد كانت أميركا تعلم علم اليقين ، بأن اسرائيل تزمع القيام بما أسمته « الحرب الوقائية » ، وآية ذلك ان اسرائيل تلح في طلب المزيد من الاسلحة ، استعدادا للمعركة المناسبة في الوقت المناسب ، وانها تستعمل كافة أساليب الضغوط على البيت الابيض لاطلاق يدها !! وبدليل سفر « ابا ايبان » نائب رئيس وزرائها ، على رأس وفد كبير يضم سياسيين وعسكريين ، الى واشنطن حينذاك ، واتصالاته المريبة بالمسؤولين الاميركيين ، وبزعماء الصهيونية ، وبدليل سفر « غولدا ماير » وزيرة الخارجية السابقة ، على رأس وفد مماثل ، للمطالبة بشحنات جديدة من الاسلحة ، للغرض اياه !

وكان السفراء العرب في واشنطن ، خلال تلك البرهة ـ كما أسلفت ـ

يملؤهم شعور غامر بالارتياح ، لاجتماع كلمة العرب ، في مؤتمرات القمة ، لكنهم يرون ببصائرهم شريط الاحداث، ويعايشونها ، ويواصلون من جهة أخرى اتصالاتهم بأصدقائهم في العاصمة الاميركية ، لتبصيرهم بالخطر الجاثم وراء تحركات الصهيونية واسرائيل !

وأذكر اني قلت لاحد كبار موظفي الخارجية الاميركية يومئذ : لقد استغلت الصهيونية العالمية الولايات المتحدة استغلالا مفضوحا في مناسبات ثلاث كبيرة ، فقد اشتروا بدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الاولى ، وعد بلفور ، واشتروا بدخول الولايات المتحدة الحرب الثانية ، دمار ألمانيا وقيام اسرائيل ، وهؤلاء هم يدفعون الولايات المتحدة اليوم الى ممالأتهم في نواياهم العدوانية ، ومخططاتهم التوسعية ، لجرها الى حرب عالمية ثالثة ، لا يدرك مداها الا الله ! اننا نرنو دائما الى قيام صداقة وطيدة بين الشعوب الغربية والشعوب العربية مبنية على العدالة والحق ، والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ، وأخشى ، ما دامت الصهيونية تملي عليكم ما تريد ، أن تخسروا الى الابد صداقة مائة مليون عربي ... فكان جواب ذلك الصديق ، موافقة على كل حرف قلته . وأشهد للانصاف ، ان للعرب في المؤسسات الرسمية الاميركية ، أصدقاء كثيرين ، لكنهم لا يجرأون على التظاهر خشية النفوذ الصهيوني ! وزاد ذلك الصديق ، وقد استحسنه قولي واستثاره ، أن أطلعني على قصاصة ورق ، فوق مكتبه ، تتضمن النص الحرفي « لوعظة دينية » ألقاها الاب المحترم « روبرت بيرس DR. ROBERT PEARCE في احدى الكنائس الكاثوليكية ، جاء فيها : « أقول لكم بصدق ، أيها الاصدقاء ، ان مساهمة الغرب في قيام اسرائيل ، هو خطيئة محزنة ومأساة فظيعة ، أنتجت الشر الذي نراه اليوم ... لقد آن أن تتعلم ،

اننا لا نستطيع أن نغش الاله ونستغفله ، ان ما يزرعه الانسان هو الذي يحصده . لا يمكن لامة أن تسرق وطنا وتشرد شعبا ، وتمضي آمنة مطمئنة ... كما ان الامم المتحدة لا تملك الحق في أن تأخذ وطن آخرين ، وتعطيه لغيرهم ! قد يقول قائل منكم : ان زعماءكم قالوا لكم ان ما وقع هو الحق ، لان شيطانهم قد زين لهم ان أصوات خمسة ملايين يهودي أهم من الشرق الاوسط كله ! ومعنى هذا أيها الاصدقاء ، انهم في سبيل أصوات الناخبين اليهود لا يتورعون عن طمس الحقيقة وسوق العالم الى الدمار ! ان سبب هذا الفساد المستشري ، ان الصهيونية تتحكم في مصائر هذه البلاد ، وفي أقدار رجالها ، لانها تملك جميع وسائل الدعاية والاعلام ، فوق امتلاكها كافة وسائل الاغراء .. انني أعرف الكثيرين ، من حملة الاقلام ، الذين يؤمنون معي بكل ما قلته ، لكنهم لا يستطيعون الجهر بحرف واحد ، خوفا من جبروت الصهيونية ، وشرها المستطير ! ان واجبنا الاخلاقي والديني ، أن نذهب الى قادتنا ونصرخ في وجوههم : اتقوا الله ويحكم ، اذا كانت القضية مصالح حزبية وناخبين ، فاننا نمنحكم أضعاف أضعاف أصوات اليهود على أن تقولوا الحق ، وتلتزموا الصدق ، وتعتنقوا مكارم الاخلاق ! » .

* * *

كانت الدعوة الى مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء جوابا على تحديات اسرائيل ، بضرب مواقع التحويل في سوريا ، واستجابة لتطلع الجماهير العربية بمرارة وأسى الى ما استجد من أسباب الخصومة والفرقة والانقسام بين الدول العربية ، عشية انصرافها من مؤتمر القمة الثاني ، بسبب مشكلة اليمن ، والصراع المفتعل بين الانظمة ، وأخيرا لا آخرا بسبب « ديماغوجية » السيد « أحمد الشقيري » ! وأنا سأعود الى « الشقيري » ، في فصل تال ، لكني أسارع فأقول هنا للحقيقة

والتاريخ ، وفي منأى عن أية نزوة شخصية ، أو ضغن ذاتي ، ان اختيار الشقيري لرئاسة منظمة التحرير ، وفرضه فرضا على قيادة القضية الفلسطينية ، كان حدثا مشؤوما • ولست أعدو الحق اذا قلت ان هذا الرجل بكل ما يمثله من سفسطة وغوغائية كان في مقدمة الاسباب التي أدت الى نكبة الخامس من حزيران !!

واجتمع الملوك والرؤساء ، في جو من التوتر والقلق ، وكنت ممن شهد ذلك اللقاء ، فلم تكد العين تلتقي بالعين ، والقلوب تتفتح للقلوب ، حتى أحسسنا ، نحن رجال الصف الثاني الذين كنا نمسك أرواحنا أن تطير شعاعا لهول الموقف ، ان القضية الفلسطينية هي السحر الذي يلم الشعث ويجمع الشمل ، وأشهد لقد كان للحكمة والمقدرة التي عالج بها الرئيس عبد الناصر ، ادارة الجلسات وتوجيهها ، أكبر الاثر فيما حققه المؤتمر من نجاح •

كانت أهم المقررات التي اتفق عليها :

١ ــ التضامن العربي ، وبكلمة أخرى ، التعايش السلمي بين الانظمة العربية المختلفة !!

٢ ــ قرار سري بتحديد وقت استكمال الخطة العربية العسكرية ، والوصول الى مركز القوة للردع ، ثم الانتقال الى مركز التصدي والتعرض • وكانت المدة المقررة في رأي العسكريين ، هي ثلاث سنين ، يستكمل العرب خلالها أهبتهم لمعركة الثأر •• معركة المصير ! واتفق على ضرورة توفير المناخ الملائم لمقتضيات تلك الخطة ، بالتزام السرية التامة من جهة ، وتحاشي اعطاء المبرر لاسرائيل ، لتضرب قبل اتمام الخطة العسكرية العربية •• أي أن يظل زمام المبادرة بيد الدول العربية ،

فتقرر هي زمان المعركة ومكانها ، بعد اتخاذ الاهبة الكاملة لها ، لا أن يترك ذلك للمقادير !

وفي الاجتماع السري الذي عقده رؤساء الوفود ، اتفق المؤتمرون على ضرورة الحد من أعمال التسلل الى أن يكمل العرب استعدادهم ، حيث تكون تضحيات الفدائيين حينذاك ، طلائع المعركة الشاملة ، على أساس تخطيط علمي مقنن مدروس ، وبعد توفر القوة الضرورية للدفاع عن الحدود العربية والقرى العربية المتاخمة لاسرائيل ، ضد الهجمات الانتقامية !

وأقر هنا ، انني أكثر الناس تقديرا وتمجيدا واعجابا بالبطولات الفدائية المتسمة بالنخوة والايثار ، وان التنظيمات السرية ، وفي مقدمتها طليعتها « فتح » وجناحها العسكري « العاصفة » ، هي منظمات شريفة ، انفعالها صادق وحماسها نبيل ، غير ان عدم ايمانها ــ ولعلها محقة في ذلك ــ بالعمل العربي المشترك ، بعد خمس عشرة سنة من الضياع ، واستغلال جهات عربية الواقع الفلسطيني الاليم ، و « استزلام » بعض هذه المنظمات ، بعض الشباب الفلسطيني لتحقيق مصالح شخصية وحزبية أو مطامح اقليمية ، وتفتت روح النضال الفلسطيني مع تراخي الزمن ، ونشأة كثرة متبلدة ضائعة جائعة جاهلة ، وقلة متعلمة استنامت للحياة السهلة واستمرأت الدخل الوفير ... كل هذه الاسباب ، عزلت تلك المنظمات السرية عن واقع الدول العربية ، وحالت بينها وبين التعاون مع الاجهزة الرسمية ، وأورثتها الشك في جدوى مقررات توضع ، لتنسى بعد حين ، فتميع القضية المقدسة ، وتصبح مباءة استغلال لهذا الزعيم أو ذاك ، وسلعة مساومات ومزايدات ، لا تمليها ذمة ، ولا يحدوها اخلاص ... ولذا « تقوقعت » تلك المنظمات على نفسها ، وانطوت

تخطط بصبر ودأب وايمان •• وفي منأى عـن غوغائية العمـل العربي الرسمي ، وعدم جديته ، وقلة جدواه ••• وعلى هذا فقد تلكأت تلـك المنظمات ، في الاستجابة لنداء القيادة العربية الموحدة ، ولرجاء رئيس منظمة التحرير ، بتخفيف نشاطها حتى يحين الوقت المناسب !.

وبالرغم من روح الجدية التي سادت مؤتمر القمة الثالث ، فقـد علقت غيوم الريبة بنفوس المخلصين ، وساورت عقولهم ، اذ ما جـدوى مقررات لا تقترن بتنفيذ ! وهل وفت معظم الدول العربية بالتزاماتهـا المادية التي ترتبت عليها في مؤتمري القمة السابقين ؟!

لقد كانت اجتماعات الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء ، تلتئم وتنفض لمعالجة قضيتين لا ثالث لهما : قضية صفاقة الشقيري وغوغائيته ، وقضية وفاء الدول العربية بالتزاماتها المادية ••• على غبر طائل ! وكانت بعض الدول العربية المتاخمـــة لاسرائيل ، قد ارتبطت بعقود لتوريـد الاسلحة التي قررتها القيادة الموحدة ، وتعذر تسديد المستحق من أثمانها، لعدم وفاء بعض الدول العربية أو معظمها بالتزاماتها المادية ••• فكأنمـا المؤتمرات العتيدة ، وتلك المقررات الخطيرة ، ما هي الا زينة يتزين بهـا القادة والزعماء العرب ، أمام شعوبهم ، وما هي الا تظاهرات سياسيـة ، في مستوى سخف الاعلام العربي وترديه في تفاهاته المخيفة !

وأحب أن أقرر هنا ، والاسى يعتصر فؤادي ، انه قد كان فـــي مستطـــاع بعض متمولي العرب التبرع بكل تلك الالتزامات المالية ، دون أن يهتز ثراؤهم العريض !

فالبترول ، مثلا ، سلاح ماض في يد العرب ، لم يحسنوا استعماله قط ، بل أساءوا استعماله الى أبعد حدود الاساءة •

ولكي نبسط الموضوع للقارىء ، نذكر ان منطقة الخليج العربي وحدها تنتج ٢٧ ٪ من بترول العالم ، وان البترول المخزون في منطقة الشرق الاوسط يساوي ٦٠ ٪ من احتياطي العالم كله .

تستورد أوروبا ٦٥ بالمئة ، واليابان ٦٠ بالمئة من احتياجها من هذه المنطقة .. استثمارات الشركات الاميركية وحدها تزيد على ألفين وخمسمائة مليون دولار !

ان ثمن برميل البترول في معظم الدول العربية المنتجة مع العائدات الحكومية ، لا يزيد على ٣٥ سنتا ، مقابل دولار وخمسة وسبعين سنتا في أوروبا ، وأربعة دولارات في تكساس ، وبذا تحقق تلك الشركات أرباحا سنوية خيالية من الاستثمار ، يبلغ أحيانا ٤٠٠ ٪ من رأس المال ، نتيجة بيع البترول الخام . أما ما تحققه تلك الشركات من عمليات التسويق والتكرير ، فهو فوق مدى الظنون ، ويتجاوز كل تقدير ، بحيث ان جميع المساعدات والمعونات الاقتصادية التي قدمتها أميركا لدول الشرق الاوسط العربية خلال خمس عشرة سنة ، لا توازي ما تحققه الشركات الاميركية من أرباح في سنة واحدة .

لكن اهمالنا وتقاعسنا وجهلنا ، جعلت أميركا تفضل على صداقتنا صداقة اسرائيل الصغيرة الفقيرة المجرمة التي تعيش على فتات الموائد الاميركية !

***

وأعود الى سياق الحديث ...

عاد الزعماء العرب الى أوطانهم ، وقد استبدلوا بالتشاؤم التفاؤل ، وبالشقاق التضامن .. وظن حسنو الظن ان الصفاء والجد هما طابع

المسيرة العربية ، بعد ذلك اليوم .
عادوا ولسان حالهم يقول :

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

غير انها لم تكن منى حقا ، مع الاسف الشديد .. كانت برقا خلبا ! وأفقنا من الحلم المجنح ، على نباح مسعور ، يتهادى الينا عبر الاثير ، فيلغي قرار التضامن وجهد المتضامنين !

لم يكد كل ينصرف الى بلاده ، حتى خال السيد أحمد الشقيري ان الاجتماع ونتائجه ، قد خيبا ظنه ، فلم يستطع أن يحك كتفه بأكتاف الملوك والرؤساء .. وان الجدية التي سادت المؤتمر فوتت عليه أن يهذي هذيانه المحموم ، وهو اذا لم يخل بينه وبين اجترار الكلام الفضفاض المترهل ، فالكل باطل الاباطيل !

افتعل الشقيري معركة ظالمة مع بعض الدول العربية ، وهي منصرفة من مؤتمر القمة الثالث ، فكانت سوءته ايذانا بانطلاق شرارة الخلاف ، بضراوة وشراسة ، عودا على بدء وكأننا يا شقيري لا رحنا ولا جينا ! وكأنما مؤتمر الدار البيضاء لم يكن الا فترة استجمام واسترخاء وهدنة ، يستأنف العرب بعدها سابق سيرتهم في المهاترات والشتائم ، والمعارك الجانبية ، والتلهي عن العدو ونوايا العدو ، بهوان النفوس ، وذل العقول .. وامرحي يا اسرائيل كما تشائين !

ومضى الزعماء والقادة العرب يتحللون من التزاماتهم للقمة ومقرراتها ومخططاتها ، حتى نسفت القمة وتعطلت المقررات ، وتجاوبت

المنطقة بأصداء اللعنات والشتائم الفاجرة الداعرة ، تنصب على كل جهة الا على اسرائيل !

ومضى العدو لطيته ، يستفرد بالدول العربيــة واحدة تلو اخرى ، فيشن هجوما هنا ، ويقوم باعتداء هناك ، ويزمع خطة ، لا تخفى بوادرها على عاقل ، والعرب ، أقصد دولهـــم ، قد انقسموا عربين وباتـــوا معسكرين ، فنزف الجهد والدم العربيان في سوق المطامع والشهوات ، واكتفوا من الجهاد بتعهير كل قيمة ، يمضغون سبابا ويقتاتون شعارات ! قد احتلت « السوق » الاقلام المأجورة ، والابواق المسعورة ، فعــلا صوت الرذيلة وبح صوت الفضيلة . دوامة شر يخبو فيها كل رجاء !

هكذا .. هكذا .. حتى وقعت الواقعة ، ومسنا الضر ، وذقنـا عار الهزيمة !

فهل تسألونني بعد ، كيف خذلنا .. وكيف انتصرت اسرائيل ؟!
ما أصدق الشاعر نزار قباني :

أنعي لكم كلامنـــا المثقوب ، كالاحذية القديمة
ومفــردات العهر والهجـــاء والشتيمـــة !
أنعي لكم نهاية الفكر الذي قاد الى الهزيمة !
اذا خسرنا الحرب لا غرابة
لاننا ندخلها بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة !
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابة .
يوجعني أن أسمع الانباء في الصباح
يوجعني أن أسمع النباح .
نركض في الشوارع

نحمل تحت أبطنا الحبالا
نمارس السحل بلا تبصر
نحطم الزجاج والاقفالا
نشتم كالضفادع
نمدح كالضفادع
نجعل من أقزامنا أبطالا
نجعل من أشرافنا أنذالا
نرتجل البطولة ارتجالا
الخ ... الخ ...

ـ ٩ ـ

استعرضنا في الصحائف الماضيـــة ، ركائز الترابط العضوي بين الصهيونية والاستعمار ، القائمـــة على أساس عداء مشترك للحضـــارة الاسلامية ، والتراث الاسلامي ، كما يقول السيـــد « روستو » مخطط السياسة الاميركية ••• واقامة مجتمـــع معاد في قلب العالمين العربـــي والاسلامي ، لحماية المصالح الاستعمارية ، وخلق قوة رادعة تمزق وحدة شعوب المنطقة ، وتعطل استئنـــاف مسيرتهم الحضارية ، وتعفي قـــوى الاستعمار الكبرى من التدخل المباشر !

فما هو موقف المعسكر الآخر •• المعسكر الشرقي ، مـــن هـــذه القضيـــة ؟

يقـــول « كلوب باشا » في كتـــابه الاخير « أزمـــة الشرق الاوسط » :

« كانت الاستخبارات الروسية هي المصدر الذي اعتمده الـــرئيس المصري في اتخاذ الاجراءات العسكرية الدفاعية لحماية حليفته سوريا ، وعندما هزمت القوات المصرية في سيناء ، وقفت الصحافة الغربية موقفا طفوليا ، باعلانها الفرحة والتشفي للهزيمة المعنوية التي منيت بها روسيا حين راهنت على الحصان الخاسر !••

« أما روسيـــا ، فقد كانت تعلم من تقـــديراتها الدقيقة للموقف ، ودراستها العميقة لميزان القـــوى في المنطقة ، ان مصر ستمنى بالهزيمة.. ولعلها كانت تتمنى ذلك لاسبـــاب كثيرة ، في مقدمتها فشل التجربـة الروسية في الشرق الاوسط ، وتمنع الدول العربية ، المحصنة بتراثهـــا الاسلامي ، على التغلغل الشيوعي . فهي قد تقبل المساعدات والمعونات وشحنات الاسلحة ، لكنها تقف عند حدود لا تتجاوزها ، لانها ليســت مستعدة للمساومة على حريتها ، واستقلالها ، وتراثها الروحي ..

« وكان تقدير روسيا للموقف ، ان مصر لو انتصرت بالصدفة على اسرائيل ، فانها ستحقق بذلك زعامة عربية مطلقة ، ستدفعها الى التحلل تدريجيا من النفوذ الروسي ، لكنها اذا هزمت ــ وهو المتوقع ــ فلـن تجد أمامها الا الالتجاء الى روسيا ! ولذا كان هدف المخطط الروســي أن يذل العرب ليرتموا في أحضانها !

« كان موقف الصحافـــة الغربية ، اثر المعركة ، متسما بالغفـــلة والسذاجة ، لانها قاست الامور بمظـــاهرها الخارجية ، دون تعمـــق ، فافترضت ان روسيا ستغضب لهزيمـــة حلفائها ، مع ان الواقع كـــان عكس ذلك تماما !

« كانت خطة روسيا ترمي الى هدفين :

« ١ ــ دفع الولايات المتحدة وبريطانيا للوقوف علانية الى جانب اسرائيل . وقد تحقق لروسيا ما سعت اليه بسهولة وباندفاع ، وتهـور فاق تصورها !

« ٢ ــ استنفار العرب لمعركة غير متكافئة ، واذلالهم ، بهزيمـــة

حتمية منكرة ، في الوقت الذي تنحاز فيه أميركا وبريطانيا صراحة الى جانب اسرائيل !

« والنتيجة الطبيعية لهذه الخطة ، ارتماء الدول العربية نهائيـا في أحضان روسيا .

« وبالرغم من ان مصر ، قد تكون استشعرت المرارة لعدم مبـادرة روسيا لنجدتها ، لكن تلك المرارة ، مهما عظمت ، فليس أمـام مصر الا اللجوء الى الاتحاد السوفياتي ، لتعويض خسائرها الفادحة .

« وقد اتضح ان المخطط الروسي كان في منتهى الدقـة ، غير ان أدهى ما في الامر ان أميركا وبريطانيا قد وقعتا ، لا شعوريا ، في الفخ المنصوب !

« ولو فرضنا جدلا ان روسيا كانت تتوقع أن تربح مصر الحرب.. ففي مثل هذه الحالة ستتدخل بريطانيا وأميركا لحماية ربيبتهما اسرائيل ، والنتيجة الحتمية لذلك ضياع كل أمل في أية صداقة تربطهما بالعالميـن العربي والاسلامي .

« وفي الحالين تظل روسيا سيدة الموقف ، وتبقـى وحدهـا فـي الميـــدان ! » .

ويستطرد « كلوب » فيقول :

« لقد كانت المعركة بالنسبة لاسرائيل ، أمنية الدهر وفرصة العمر ! ولم يكن الصدف الاول سيناء ، اذ ما قيمة مائتي ميل طولا ، من الصخور والرمال ، خالية من الماء ؟! بل كانت أنظار اسرائيل متجهة في الواقـــع

ناحية الشرق •• حتى قبل الممرات المائية ! فمنذ سنة ١٩٤٨ كانت المراكز الاستراتيجية الاردنية ، على مسافة اثنتي عشر ميلا من البحر ، تسبب قلقا دائما لاسرائيل ، وكان الاردن يحتل جزءا من القدس يشتمل على كافة الاماكن المقدسة ، فالضفة الغربية كانت هي الهدف الاول والاهم ، لا سيناء • واسرائيل انما كانت تنتظر المبرر على أحر من الجمر ، ولذا قذفت بكل ثقلها في معركتها الشرقية ، فتحطمت المقاومة الاردنية الباسلة بقنابل « نابالم » وقصف جوي مركز !•• سيل من النار ينهمر من السماء ليحرق كل شيء على وجه الارض • وقد ذكر معظم الجنود الذين أصيبوا بذلك البلاء النازل ، انهم لم يلتقوا بجندي اسرائيلي واحد ، وجها لوجه ، بل انهمرت النيران عليهم من السماء ، وانتهى كل شيء !!

* * *

« ان سياسة روسيا لا تتجه الى المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة ، والمخاطرة بحرب ذرية ، بل تتجه الى استنفاد قوة أميركا في حروب محلية ، والمثل الحاضر على ذلك ما هو جار اليوم في « فيتنام » • فروسيا تمد « فيتنام الشمالية » بالاسلحة والذخائر والمعدات والدعم المادي والمعنوي ، لابقاء شعلة الحرب ، ثم تعرقل كل مسعى جدي لمباحثات السلام ، وهي قد كانت في منتهى اليقظة والحكمة حين لم تزج بنفسها في أتون تلك الحرب الضروس •

« وروسيا بسياستها هذه ، لا تحقق اضعاف العالم الغربي فحسب ، بل هي تمرغ سمعته في الرغام ، في نظر شعوب العالم الثالث ، فلا تجد تلك الشعوب ، التي تعاني من بقايا جيوب الاستعمار ، متنفسا لاشواقها القومية الا الارتماء في أحضان روسيا ••

« خطة روسيا ، اذن ، هي افساد العلاقات بين الولايات المتحدة وبريطانيا من جهة ، وبين شعوب العالم الثالث في آسيا وافريقيا من جهة أخرى ، حتى اذا وقع التصادم ، وبدأ الصراع ، تقدمت روسيا لمساعدة الدول المستضعفة في قراعها الامبريالية الغربية !

« وقد حققت روسيا الكثير من أهداف سياستها هذه مؤخرا في الشرق الاوسط !

« ان العالم العربي يمتد مسافة أربعة آلاف ميل ، من المحيط الى الخليج ، ويحتل جانبين من جوانب البحر الابيض المتوسط الاربعة ، ويشغل جميع منطقة الشرق الادنى الهامة التي كانت عبر التاريخ ممرا لبضائع الشرق الاقصى والهند وشرق افريقيا الى أوروبا .. والدول العربية ضعيفة عسكريا ، لكنها تحتل مناطق استراتيجية بالغة الاهمية ، والخطر على الغرب لا يتأتى من قدرة الدول العربية العسكرية ، بل من وصول روسيا الى تلك المواقع الاستراتيجية .

« ان لهذه الدول من التراث الروحي ما يجعلها تصمد في وجه التسلل الشيوعي ، ولكن خوفها من اسرائيل والدول الضالعة معها ، أخطر عندها ، وأولى بالاهتمام من كل ما عداه ، وسيكون خوفها هذا هو الحافز الاساسي الدائم لوقوعها تحت رحمة موسكو !

« واذا قام تحالف بين العالمين العربي والاسلامي من جهة وبين موسكو من جهة أخرى ، فان ذلك يطوق أوروبا ، باستثناء الشاطىء الغربي المواجه للولايات المتحدة ، وفي تلك الحالة لا تجد أوروبا مناصا من الرضوخ لروسيا ، وهذا هو ما يسعى اليه الاتحاد السوفياتي ، وما

يحرك سياسته ويوجهها في تلك المنطقة ، ويجب أن لا نخطىء في تقدير أبعاده وأعماقه ودلالاته الخطيرة !

« لقد اتسع النزاع بين الصهيونية والعرب ، وامتد ، وترامى ، حتى تجاوز العالم العربي الى أطراف العالم الاسلامي ! وليس من المستبعد أن يشمل قارتي افريقيا وآسيا ، وينتقل من صعيده المحلي الى صدام مباشر بين الشرق والغرب •

« ان الدين الاسلامي يتنكر للشيوعية ، ولا يمكن أن يتعايش مع الالحاد ! ولقد كان العالم الاسلامي صديقا لنا مدى قرون ، لكن من الصعب أن نتجاهل ان كل مسلم في العالم يقف ضدنا بسبب أزمة الشرق الاوسط الاخيرة ! ولو كان الحق الى جانب اسرائيل ، لبرر ذلك كل ما ارتكبناه من أخطاء ، غير ان مما يزيد الوضع خطورة ، ان قضية العرب في فلسطين هي قضية انسانية عادلة ، لا تقبل انكارا ولا جدلا !

« ان العربي يعي الظلم الذي تعرض له ، ويعرف اللاأخلاقية التي عومل بها ، وهو برغم وقوعه فريسة حركة عنصرية ظالمة ، فانه لم يجد أذنا انسانية صاغية ، وضميرا انسانيا حيا يستمع الى شكواه !

« ان معالجة عقدة الاضطهاد اللاسامية المزمنة ، لا تعالج بكارثة جديدة وتشريد جديد ، ولن تستطيع اسرائيل مهما حققت من كسب عسكري ، أن تعيش طويلا في مناخ يعج بالرعب والدنس والاحقاد ، ومن ترى يستطيع في هذا القرن العشرين أن يبرر طرد الناس بالقوة من بيوتهم ليهيموا على وجوههم كقطعان الماشية دون موجب شرعي واخلاقي؟ من ترى يملك في هذا القرن العشرين ، القبول بشرف وأمانة ، بأن يعيش امرؤ على بعد أمتار من مرابع صباه ، ويرى بيته ومزرعته ،

وجهد عرقه ، وبناء عمره ، ومثوى أجداده ، يحتله أجنبي واغل دخيل ، دون أن يستطيع الوصول اليه ، ودون أن يمكن من الدفاع عنه ؟ » !

انتهى كلام الجنرال كلوب .

* * *

كانت روسيا منذ سنة ١٩٤٧ طرفا في المؤامرة الصهيونية الاستعمارية ! ومنذ البداية كان مندوبو الاتحاد السوفياتي في المنظمة الدولية يحرفون المنطق ، ويشوهون الحق ، ليفسروا قيام اسرائيل تفسيرا ماركسيا ، ولم يتورعوا عن تسمية الجرائم الصهيونية المتعاقبة ، ضد العرب ، حركة تحرير وطنية يهودية . وهم الذين رفضوا الموافقة على اعادة النقب والجليل التي احتلتها اسرائيل بالقوة بعد هدنة ١٩٤٨ الاولى ، خلافا لقرار التقسيم .. رفضوا اعادتها الى العرب لان ذلك يعني عندهم انتقالها من أيدي الجماهير اليهودية التقدمية ، الى أيدي الاقطاع العربي والرجعية ! وهم الذين كانوا ، وما يزالون ، يدعون الى التآخي بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية ، واقامة تعايش سلمي بينهما ، لانهما ـ كما يقولون ـ تمثلان حركة تقدمية واحدة في وجه الحكام الرجعيين ، ولانه في الوضع الاشتراكي تزول التناقضات ، وعلى هذا لا يمكن اقامة سلام نهائي في المنطقة الا اذا سقطت الانظمة الرجعية ، وقامت الاشتراكية الصحيحة التي تؤاخي بين الجماهير الكادحة ، وتتنكر للعداء العنصري ، وبذا تحل قضية فلسطين !!

وليت اسرائيل تعترف بمثل هذه المبادىء .. اسرائيل لا تؤمن بغير مخططاتها .. بغير المبادىء التي أقرها المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ .. بغير الاهداف التوسعية العنصرية النازية ، وتترك لليسار العربي التلهي بتلك المبادىء ، والتعلق بتلك الاوهام ، حتى اذا وقعت

الواقعة ، لم يجد مفكرو اليسار العربي في يدهم الا قبض الريح !

يرى مفكرو اليسار العربي ان اسرائيل في وضعها الحالي هـي ، ككل دولة رأسمالية أخرى ، مؤلفة من طبقات .. طبقة الرأسماليين وكبار البورجوازيين ، وطبقة الكادحين ... وان الحزب الشيوعي الاسرائيلي هو طليعة النضال الطبقي ، ضد خيانات الطبقة الحاكمة ، ولذا فاعتبار اسرائيل وحدة ، هو نظرة قومية لا نظرة طبقية بروليتارية !

مفكرو اليسار العربي يعادون اسرائيل لانها تدور في فلك أميركا ، فاذا انتهى ذلك ، انتفى عداؤهم لاسرائيل ، بل استحالت العداوة الى صداقة حميمة في ركاب الشيوعية العالمية ...

لقد تضمن القرار التاريخي الذي أصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان في ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٥٣ ما يلي بالحرف الواحد :

« في القضية الفلسطينية تبين ان الحوادث والتطورات أكدت وبرهنت صحة موقف الاتحاد السوفياتي ، وبالتالي صحة الموقف الذي اتخذه الحزب بتأييد قيام دولتين مستقلتين عربية ويهودية في فلسطين ، والنضال ضد الحرب الفلسطينية ، رغم المقاومات التي لقيتها هذه الخطة من بعض العناصر المسؤولة في الحزب . ومن المهمات الرئيسية الموضوعة أمام الحزب ، ايضاح مسألة فلسطين من الوجهة المبدئية أيضا ، فاذا كان اليهود في العالم لا يؤلفون قومية ، فان اليهود الذين تركزوا في فلسطين أخذوا يؤلفون أمة في طريق التكوين ، فلهم مثل جميع الامم والقوميات حق تقرير مصيرهم ، بصرف النظر عن الاتجاهات الرجعية الممالئة للاستعمار الاميركي التي تتميز بها البورجوازية اليهودية الصهيونية .

« ان المستعمرين الانكليز والاميركان والرجعيين العرب ، يريدون بقاء العداء بين جماهير العرب واليهود ، لالهاء هذه الجماهير عن النضال ضد الاستثمار والاضطهاد ، وضد الاستعمار الانكليزي والاميركي ، وضد الرجعية الحاكمة نفسها ! فمسألة العمل لسيادة السلام ، والتقريب بين الجماهير العربية واليهودية ، وفضح مآرب الصهيونية والرجعيين العرب بمنع سيادة السلام والصداقة بين الشعبين ، هي مسألة هامة جدا لتطوير النضال الوطني الديمقراطي في الاقطار العربية ، في الحاضر والمستقبل ، ويجب القيام بنضال لا هوادة فيه ، ضد دعايات الرجعيين القائلة بأن الخطر الصهيوني أعظم من الخطر الاستعماري ، أو ان الخطر الاستعماري يمكن زواله ، لكن الخطر الصهيوني ، اذا تمركز ، فلا يمكن استئصاله ، ويشبه ذلك قول البعض ان الدولة اليهودية في فلسطين ، تشكل خطرا على الشعوب العربية ... فالحقيقية هي :

« ١ ــ ان الصهيونية هي خطر لانها عميلة الاستعمار الانكلو ــ اميركي !

« ٢ ــ ان الدولة اليهودية ، هي مثل كل الدول البورجوازية ليست كلا موحدا متجانسا ، فالنظرة اليها بهذا الشكل هي نظرة قومية بورجوازية « شوفينية » ، ويجب أن نذكر دائما قول ماركس : بأن في الامة أمتين ، وذلك يصح على الدولة اليهودية التي تناضل فيها الجماهير الشعبية اليهودية ، وفي مقدمتها العمال اليهود ، وطليعتهم الحزب الشيوعي في اسرائيل ، لاجل التحرر الوطني الديمقراطي ، ولاجل الاشتراكية ، مثلهم مثل الجماهير الشعبية والعمال العرب ، فكما ان الخطر على الجماهير العربية هو من فئات الاقطاعية والبورجوازية الحاكمة الرجعية عميلة الاستعمار ، فكذلك الخطر في دولة اسرائيل ناشىء عن

البورجوازية الصهيونية الرجعية ، عميلة الاستعمار • ولا ريب ان أحسن وسيلة لاجل التعجيل في تعميق التفريق الطبقي ، وتعميق الهوة بين العمال والجماهير اليهودية من جهة ، والبورجوازية الصهيونية من جهة أخرى ، هي استتباب السلام في فلسطين ، وقيام دولتين عربية ويهودية ، فان ذلك ينزع ، سواء من الحكام الرجعيين اليهود والحكام الرجعيين العرب وطبعا من سادتهم المستعمرين ، سلاحا هاما ، اذ يمكن اذ ذاك النضال بصورة أنجع ، للتقريب وقيام أواصر صداقة وتفاهم ، بين الجماهير الشعبية العربية واليهودية » !

* * *

وعندما أوصى « الكونت برنادوت » باعادة صحراء النقب الى الجزء العربي من فلسطين ، عندما احتلته اسرائيل بالقوة ، بعد الهدنة الاولى المشؤومة سنة ١٩٤٨ خلافا لقرار التقسيم ، تولت الدول الشرقية معارضة ذلك بشراسة ، وسجلات هيئة الامم المتحدة حافلة بدفاع دول المعسكر الشيوعي عن حق اسرائيل في التوسع على حساب العرب •

فهذا مندوب « أوكرانيا » يقول ردا على توصية « برنادوت » : « ان الوسيط الدولي يتخطى صلاحياته ، ويحاول أن يفرض على دولة مستقلة ــ اسرائيل ــ التزامات ضارة بالحق اليهودي • ان تراجع الولايات المتحدة ، في هذا الامر ، اجحاف واهمال لمأساة اليهود الذين حاربنا معا من أجلهم ضد النازية » •

وقال المندوب السوفياتي « يعقوب مالك » في الجلسة نفسها : « ان ما يعرضه علينا الوسيط الدولي من ضرورة كبح جماح الذين يخلون بشروط الهدنة في حاجة الى شرح وتفصيل •• ان الموقف الحالي في فلسطين سببه عدوان الدول العربية على دولة مسالمة ــ اسرائيل ــ ،

فاذا قبلنا ما يوصي به « برنادوت » وهو ما تحتضنه أميركا ، وفرنسا ، وكندا ، وبريطانيا ، في مشروع القرار الذي قدموه لمجلس الامن ، فان ذلك يعني ان الوسيط الدولي ومؤيديه يطلبون منا التدخل في الشؤون المحلية لدولة مستقلة هي اسرائيل • ان على مجلس الامن أن يوافق على وقف القتال فقط ، وأن يرفض طلب العرب انسحاب اليهود من المناطق التي احتلوها في النقب » •

وقد أثنى مندوب اسرائيل ـ ابا ايبان ـ حينذاك على موقف مندوبي الدول الاشتراكية الذين يؤمنون بالحلول الواقعية النابعة من مبادئهم الانسانية وحرصهم على اقرار السلام في المنطقة !

وعندما بحثت اللجنة الاجتماعية التابعة للامم المتحدة قضية اللاجئين العرب قال المندوب السوفياتي الرفيق « بافلوف » : « ليس المسؤول عن مشكلة اللاجئين العرب هو مشروع التقسيم وقيام دولة اسرائيل ، بل المسؤول عن ذلك هو تحدي كل من بريطانيا وأميركا ، بالتعاون مع الرجعية العربية والاقطاع العربي ، فهم الذين يتحدون الحق اليهودي ، ويجلبون التشرد على عرب فلسطين ! ان قضية اللاجئين لا يحلها الا التعايش السلمي بين العرب واليهود ، في نظام ديمقراطي تقدمي ، يخدم الجماهير العربية والجماهير اليهودية ! » • ومنذئذ تخلفت الدول الاشتراكية كلها عن الاسهام في غوث اللاجئين العرب •

وقال مندوب « بولندا » الدكتور لانك : « اننا نريد السلام لنصون مكاسب ثورة التحرر الوطني التي قام بها اليهود ضد الرجعية العربية والاستعمار البريطاني •• وهذه الثورة هي لمصلحة الجماهير العربية ، اذ ان الرجعية والاستعمار لا يريدان نجاح ثورة التحرر الوطني

اليهودي ، لئلا يساعد ذلك على تحرير الجماهير العربية كلها من الرجعية والاستعمار ، فيجب أن تزول الرجعية والاستعمار من العالم العربي ، حتى يتم قيام دولة عربية تحررية تقدمية الى جوار اسرائيل !!» •

وعندما تقدمت اسرائيل لقبولها عضوا في المنظمة الدولية ، تبنى مندوب الاتحاد السوفياتي طلبها ، ودعا مجلس الامن فورا لاقرار هذا الطلب ، واستهل الجلسة بقوله : « لقد وجدت اسرائيل لتبقى في موطن أجدادها • ان وجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط هو بشير خير وسلام ، ومثل تقتدي به الجماهير العربية للتخلص من الرجعية والاستعمار ، اللذين يرفضان التعايش السلمي بين العرب واسرائيل ، غير ان اسرائيل ستساعد العرب على التخلص منهما ، ولن يتوانى الاتحاد السوفياتي عن مساعدة اسرائيل وحركات التحرر القومية العربية ، على تنظيف الوسط العربي من الاستعمار والرجعية العربية ! » •

لقد كان التسلل الشيوعي الى منطقة الشرق الاوسط منذ نكبة ١٩٤٨ الى الان ، منذ الهدنة الاولى ، حين هبت الدول الاشتراكية لامداد اليهود بالسلاح والعتاد ، ونقل قوافل المهاجرين اليهود من أوروبا بالطائرات السوفياتية والبواخر الرومانية واليوغوسلافية ، الى ميناء حيفا ، بعد تدريبهم في معسكرات أوروبا الشرقية على حرب العصابات • فاختل بذلك ميزان القوى بين العرب واليهود ، بعد نقض الهدنة من قبل اليهود ، باحتلالهم مساحات شاسعة من الارض الفلسطينية المخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم !

أجل ، لقد كان التسلل الشيوعي الى منطقة الشرق الاوسط ، والدول العربية بخاصة ، منذئذ الى الان ، يحمل معه بذور تلك الاتجاهات

والمخططات ، ويعمل دون هوادة على انشاء قواعد ومرتكزات عقائدية له في بعض الدول العربية المتاخمة لاسرائيل ، لتكون المنطلق لتحقيق التعايش السلمي بين الجماهير العربية والجماهير الاسرائيلية ، وتآخيها ضد الرجعية العربية !!

واذا كان التسلل الشيوعي لم ينجح للان كما قدر ودبر ، في مصر مركز الثقل الحقيقي في العالم العربي ، فان مصر قد ساعدت من حيث لا تدري ولا يدري زعماؤها ، على نجاح التجربة الشيوعية في بعض الدول العربية الاخرى ••• ونظرة مخلصة الى واقع العرب اليوم ، خاصة في دول « الطوق » ، تؤكد استمرار المؤامرة بضراوة ، وتنفيذها تدريجيا ، بصبر وأناة ، وعزم وتصميم ••• وهذه هي تتحفز اليوم ، مدعومة بطفولة اليسار العربي ، للانقضاض على الجبهات الصلبة التي استعصت عليها في حماية تراثها الروحي •• واذا تحقق لها ما تريد ، فلن يلقى العرب الا المزيد من الضياع والتشرد ، تحت شعار التآخي والتعايش السلمي بين الجماهير العربية واليهودية ! ذلك ان صلابة التعصب العنصري الصهيوني ، والتحام اسرائيل التحاما عضويا بعقيدتها وخط سيرها ، منذ « هرتزل » الى الان ، قد وقاها من التسلل الشيوعي ، بل لقد سقط الفكر الماركسي نفسه تحت تأثير الدعاية الصهيونية ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك ، ان المصيبة قد حاقت بالامة العربية وحدها ، من جراء الاستخذاء للتبعية الفكرية والشعارات المستوردة ، والتنكر لتراثها الروحي ، وقيمها الاخلاقية التي يسمونها الرجعية العربية ، وبذا انشغلت عن مخططات الالحاد ، وأهداف التوسع الصهيوني ، بالنزوات الثورية ، وطفولة اليسار العربي !!

* * *

وبعد ••• هل ترى تغير موقف الاتحاد السوفاتي والدول

الاشتراكية ازاء مشاكل الشرق الاوسط ••• ازاء اسرائيل بالذات ؟!

لعلي لا أعدو الحقيقة اذا قلت ان سبب العداء الذي تعلنه روسيا لاسرائيل ، خاصة بعد حرب الخامس من حزيران ، مرده ، بالاضافة الى ما سبق ايراده من النصوص والوثائق الرسمية ، الى ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي كانت روسيا تحتضنه وتنميه ، وتعده ليمهد لها التسلل الى اسرائيل ، قد فشل في مهمته ، وتضاءل وانكمش ، حتى لم يعد له صوت يسمع في تخطيط السياسة الاسرائيلية ، وتحديد اتجاهاتها وأهدافها ••• وبالرغم من ان المجتمع الاسرائيلي ، والنظام الاسرائيلي ، يستشرفان مفاهيم اشتراكية ، وان الدولة تملك وسائل الانتاج ، وتؤاخي بين القطاع العام والقطاع الخاص في تنسيق متكامل ، الا ان اشتراكية اسرائيل تنبع من ذاتها ومن شخصيتها ومقوماتها وواقعها ، وآمالها ، لا مستوردة ، خبط عشواء ، ومنقولة نقلا أمينا (!) عن اشتراكية موسكو وبلغراد !! ذلك ان حكماء صهيون هم آباء الشيوعية الدولية ولهم من استقلالية الفكر والثراء العقلي ما يعفيهم من الارتماء مبهورين عند أعتاب لينين وستالين !! والتقيد بحرفيات « الاعلان الشيوعي » و « رأس المال » !!

لقد كانت روسيا هي الدولة الوحيدة التي حققت مكاسب هائلة بعد حرب حزيران ، فالدول العربية ، حتى من كانت منها تعتنق الحياد الايجابي ، أخذت تعيد النظر في الانحياز الكامل ••• والجماهير العربية مضت تفتش عن المتنفس العاطفي بعد الهزيمة في الالتجاء الى قوة كبرى ، تجد عندها الرفد ، حتى لقد بلغ الشطط بل السخف ، بجريدة يومية في بيروت أن تنشر صورة كاريكاتورية ، على اثر وصول الطائرات الروسية النفاثة الى مصر ، فتجعل « كوهن » يفر أمام العملاق العربي •• لكن في حماية الطائرات الروسية !!!

وقد كشف النقـــاب مؤخرا عن المخابرة الهاتفية التي تمت بيـن « البيت الابيض » و « الكرملين » ظهر الخامس من حزيران المشؤوم ، وأكدت اتفاق الدولتين الكبريين على التعاون فيما بينهما لوضع حــد للنزاع المسلح في المنطقة ، واقرار سلام نهائي بين العرب واسرائيل ...

لكن كيف ؟.. وعلى أي أساس ؟!

طبعا على أساس اذلال العرب وتشريدهم واغتصاب أوطانهم !

ولقد كان موقف روسيا منذ البداية ، هو موقف الناصح المشفق ، لا على كرامة العرب بل على مناطق النفوذ .. وان سخاءها في تعويض الاسلحة هو ترسيخ لاقدامها ، فوق انه مشروط بالاستعمال في الدفاع عن الاشلاء المتبقية ، لا في استرداد الاشلاء المبتورة ، أو الوطن السليب ! ولم تخف روسيا سياستها التي تتبعها بأن اسرائيل قد وجدت لتبقـى ، بل لتتمدد وتتوسع كحركة تقدمية في قلب الرجعية العربية والاسلامية ، حتى يتحقق حلم « اسرائيل الكبرى » ويساق العرب كالماشية الى مجاهل الصحراء ، لان العرب هم وحدهم المنهـــارو الشخصية ، المبهـورون بالتبعية ، المسوقون بذلة وراء الاراجيف والاضاليل ، لانسلاخهم عـن تراثهم الحضاري ! أما اليهودي فلا يمكن أن تعلو على عقيدته اليهودية عقيدة أخرى ، ولست أشك في ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي كـاذب في ماركسيته ، منتحل دجال ! وما هو الا جزء مـن المخطط الصهيوني الكبير ، وان الغرض من قيامه ليس « الحزب الطليعي » أو حزب الجماهير الكادحة ، بل الغرض تشويش الرؤية لدى الجماهير العربية ، وجعـل ذلك الحزب ركيزة للنشاطات الهدامة في المنطقة كلها ، وقد ثبت بما يقطع كل شبهة قيام تنظيم موحد ، وترابط عقائدي ، وتكامل فـي التخطيط والهدف ، بين الحزب الشيوعي الاسرائيلي والاحزاب الشيوعية العربية ،

ومن عانى متاعب الحكم في الاردن يعرف ان الكثير من المنشورات الشيوعية السرية كانت تأتينا عبر الحدود من اسرائيل ، وان رهطا كبيرا من قادة الحزب الشيوعي الاردني قذفوا علينا من اسرائيل ، بعد أن تتلمذوا وتدربوا على يد دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين ... ذلك ان اسرائيل تخطط وتعمل بعقل هادف ، ومنطق جاد ، أما الشعوب العربية فتتخبط في دوامة من الجهل والغفلة والضياع ، هي في أحسن أحوالها نزوات عاطفية مقهورة ، أو مغمورة ، أو فاشلة ، تجد المتنفس في الهياج الغوغائي ، والتحطيم والتدمير ، لمصلحة اسرائيل من جهة ، ولمصلحة روسيا من جهة أخرى !!

قيل ان أحدهم سمع مجودا للقرآن يرتل : « الم .. غلبت الفرس في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » فقال له : لقد حرفت كلام الله تعالى يا هذا ! ان صحيح الآية : « غلبت الروم لا الفرس » فأجاب المقرىء : وما الفرق يا أخي ، كلهم أعداؤنا قاتلهم الله !

الاستعمار الغربي كالاستعمار الشرقي .. والرأسمالية كالشيوعية.. كلهم أعداؤنا قاتلهم الله ، وقتلهم .. لان هدفهما واحد ، وخطتهما واحدة ، هو القضاء على التراث الاسلامي .. تسميه احداهما : الحضارة الخطيرة ، وتسميه الاخرى : الرجعية الخطيرة ..

واذا لم تكن حوافزنا من أنفسنا .. من عقيدتنا .. من تراثنا .. من مقوماتنا ، فلن ينفعنا يمين أو يسار ! كلهم أعداؤنا قاتلهم الله !

فهل يعي العرب ، وهل يتفهم المسلمون هذه البدائه ، قبل فوات الاوان ؟!

- ١٠ -

تقوم فلسفة الحركة الصهيونية على مبدأ « التجمع والاقتحـــام » ، أي العمل على تهجير أكبر عدد ممكن مـــن اليهود وبكل وسائل القسر والاغراء ، فإذا تكاثروا وضاقت بهم رقعة الارض التي يحتلونها ، اقتحموا البلاد المجاورة لهم بالقوة ، وتوسعوا في كل اتجاه ، حتى يحققوا حـلم « أرض اسرائيل » أو « اسرائيل الكبرى » !

وقد ساعدهم في تنفيذ مخططهم الجهنمي هذا ، ان العالم الغربي كان ولا يزال يقـــاسي من عقدة الذنب .. عقدة اللاسامية ، تلك العقـــدة النفسية التي غذتها الصهيونية لبلـــوغ مآربها ، وشجعت على تأريث نارها كلما خبا أوارها ، حتى ان الكتاب الموضوعيين لم يجرأوا عـــلى انتقاد أعمال اسرائيل الاجرامية ، خشية أن تلصق بهم تلك التهمة ..

وقد استطاع الارهاب الفكري الصهيوني ابقاء تلك العقدة حية ، وظلت محاكم مجرمي الحرب من النازيين قائمة حتى الان ، لكتم كـل صوت حر ، وكبت كل قلم شريف ... وهكذا استطاعت الصهيونية أن تخلق وضعا شاذا غريبا ، اذ غدا بامكان دويلة العصابات ، أن تجترح من الجرائم ما تشاء ، وتظل في منأى عن النقد والتجريح !

ولو عدنا الى النصوص الصهيونية ، حول موضوع « اللاسامية » واستغلاله لمصلحة الحركة منذ البداية ، لوجدنا العجب العجاب .. كلها

تشير بصورة قاطعة الى ان أقوال قادة الصهيونية ، وأقلام كتابها ، هي التي غذت « اللاسامية » على مر السنين !

فقد كتب « بن غوريون » في جريدة « دافار » الصحيفة الرسمية لحزب « ماباي » الحاكم في ١١ تموز ١٩٥٢ ، حول الهجرة الى اسرائيل ، يقول : « أنا أعترف بأنني لو ملكت من السلطة ، مثلما أملك من الارادة ، لقمت حالا باتتقاء عدد من الشبان اليهود الاكفاء المتحمسين لقضيتنا .. ولنثرتهم في الاقطار التي توشك الاقليات اليهودية الخاطئة أن تذوب فيها ، لينشروا بين الناس ، باصرار وعناد ، مأساة اللاسامية ، عسى أن ينبهوهم الى ما أرادوه لانفسهم من خزي ، وأنا قمين بأن الهجرة ، نتيجة لذلك ، ستتسع وتزداد عشرة آلاف مرة ! » .

وفي العيد الخمسيني لاصدار « هرتزل » منشوره الاول عن الدولة اليهودية ، كتب الدكتور « حنا أهرنت Hanna Ahrendt » يقول : « ان على اليهود أن يتفهموا هذا الشعار ، وأن يعتنقوه في الوقت المناسب ، ذلك ان « هرتزل » يرى في الدول المعادية للسامية ، أفضل حليف للصهيونية ، لانها تساعد على تهجير اليهود الى الوطن الام ! » .

ويعتقد الدكتور « ناحوم غولدمان » ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « ان الخطر الوحيد الذي يهدد الصهيونية ، هو انطفاء شعلة اللاسامية ، فان ذلك من شأنه أن يبتر الصلة بين اليهود ووطنهم القومي » .

ويقول « ايان جيلمور Ian Gilmour » : « ان عقيدة الصهيونية ومبدأها الاول ، يقوم على افتراض استحالة « تذويب » الاقليات اليهودية في الخارج ، وافتراض ان شعار « اللاسامية » واضطهاد اليهود سيظل سائدا ، ولذا فان على الصهيونية أن تغذي وتشجع على الدوام فكرة الاضطهاد العنصري » !

ان هذه الاتجاهات الصريحة التي يؤكدها زعماء الصهيونية في كل مناسبة ، تكون حجر الزاوية لحلم المستقبل ، في انشاء دولة اسرائيل الكبرى التي ستضم عشرة ملايين يهودي .

ان تخويف الاقليات اليهودية ، خارج اسرائيل ، بمثل هذه الاراء التي لم يبق لها وجود .. وحثهم بكل وسيلة على الهجرة ، خشية أن يلقوا الذل والاضطهاد في الوطن الذي ولدوا فيه يبدو عملا صاعقا مشينا !

ومن واجب العرب أن يستشعروا الرعب ، من أماني التوسع الاسرائيلي ، اذ ان المزيد من اللاجئين يتطلب المزيد من الارض لاستيعابهم، ولن تكتفي اسرائيل ، اذا ترك لها الحبل على الغارب ، بالضفة الغربية ، أو حتى بالضفة الشرقية ، لان حلمها يمتد من النيل الى الفرات ... هكذا قال حكماء صهيون الاقدمون ، وهذا ما يؤمن به حكماؤها المحدثون ، حتى انهم قد سموا غزوتهم وحربهم العدوانية الاخيرة ، تحريرا لاجزاء من وطنهم الكبير !

وبالرغم من ان مجلس الامن يجدد ويؤكد ، كل سنة ، قراره المرسوم سنة ١٩٤٩ ، بحق اللاجئين العرب في العودة او التعويض العادل ، ويعتبره العالم كله حقا مشروعا لا يقبل النقاش ، فان اسرائيل تتجاهل ذلك كليا ، وبدلا من أن تسمح للمشردين التعساء بالعودة الى دورهم وممتلكاتهم ، ترتكب كل اثم ، وتجترح كل منكر ، لاقتلاع المواطن اليهودي في أميركا وأوروبا من حياة الدعة والسعادة والاستقرار التي يحياها ، والزج به في جحيم اسرائيل ، وتمليكه الدور والاراضي التي تنعي أصحابها الاصليين !

وعندما قررت اسرائيل مصادرة أملاك العرب الغائبين ، وشرعت

قانونا لذلك سنة ١٩٥٣ ، كتب « موشى سميلانسكي Moshe Smilansky » وهو يهودي اسرائيلي يقول : « كيف ترانا نشعر نحن الذين عدنا الى وطننا بعد تشرد ألفي عام ، حين نلقى بالرصاص ، اللاجىء العربي الذي يهزه الحنين للرجوع الى بيته ، ونسميه متسللا ! أين أنتم أيها اليهود ؟ لماذا ــ على الاقل ــ لا تمـــدون يدا كريمة لتدفع التعويض لاولئـــك التعساء ؟.. قد تقولون من أين نأتي بالمال ؟.. ذلك عذر أقبح من ذنب ! فعوضا عن أن نقيم القصور الفارهة يجب أن ندفع دينا ثقيلا في أعناقنا ، ترتفع شكواه الى عنان السماء .. ونحن لا نقترف هذا الشر وحده ، بل ننظر الى العرب الذين فضلوا البقاء بيننا نظرتنا الى مواطنين من الدرجة الثانية .. وهل ارتفع صوت واحد في « الكنيست » لمعارضة القانـــون الجائر الذي يختلس أملاك اللاجئين ؟ ليت شعري كيف يقر الضميـــر الانساني ، مع لعنات هذه المظالم ؟!

* * *

قصة المأساة الفلسطينية قصة بسيطة كالحق الذي تمثله .

تصور ان حفنة من الناس في اليونان أو في ايطاليا ، مثلا ، ادعت انها صاحبة الحق في تملك « عمان » و « جرش » ، لان الاجـــداد الاقدمين لتينك الدولتين ، سبق لهم في الماضي السحيق ان غزوا الشرق الاوسط واحتلوه ، وبنوا فيه وعمـــروا ، برهة من الزمن ، طـــالت أو قصرت !

وافرض ان تلك الحفنة من الناس ، استطاعت بالغش والخـــداع والتآمر ، وكون البلدين عضوين في الحلف الاطلسي ، أن تؤلب الدول الغربية لتأييد مزاعمها وشد ازرها ، وتزويدها بوسائل القوة ، فغـــزت أردني الحبيب ، واحتلت أجزاء غالية منه ، بأحط ما عرفه تاريخ الانسانية

من بطش وفتك ، وسلب ونهب ، وطردتني وربعي من ديرتنا الحلوة الجميلة ، التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ، ودفنا فيها أحبابنا منذ آلاف السنين !

وافرض ان الظلم قد سول لهذه الفئة المجرمة ولمن وراءها ، أن تزعم ان ما احتلته هو ملك أزلي لها ، تسندها وتدعمها قوى كبرى متآمرة معها ، حتى اذا هزتنا يوما غريزة التملك ، وشدتنا الذكريات العزيزة الى مطارح صبانا ومجالي لهونا وهوانا ••• اتهمنا بأننا معتدون ، واننا نزعج أمن وراحة من احتلوا أرضنا بالقوة ، وشردونا تحت كل سماء ••• واننا نعكر السلم في هذه المنطقة ، بل في العالم كله ! ثم لا يستحي زعماء تلك العصابة المجرمة ، أن يطلبوا منك ومني أن نعيش في خيامنا الممزقة ، وأسمالنا البالية ، ومنفانا القسري ، وهجرتنا التعيسة ، تتمرغ في حمأة الذل والهوان ، ومهاوي الجهل والفقر والامراض ، وتتركهم يتنعمون في بيتك وبيتي ، وأرضك وأرضي ، التي أجلينا عنها بالتآمر والارهاب !

تلك هي صورة مصغرة لقصة المأساة بأعماقها وأبعادها • فهل في عرف البشر ، وقانون الدول ، ومبادىء الاخلاق والفضيلة ، والشرف والضمير ، ما يستطيع أن يبرر ذلك الافك الذي قامت به العصابة المجرمة في حضانة الحضارات المهترئة ؟!

ولست أراني في حاجة لتوكيد حق العرب الفلسطينيين ، مسلمين ومسيحيين ، في بلادهم ، بالحجة والدليل ، فهم قد كانوا هناك منذ فجر التاريخ ، وقبل الفتح الاسلامي بقرون وقرون ، اذ انهم ورثة السكان الاصليين من كنعانيين وحثيين وغيرهم •• وهم كانوا أصحاب البلاد

عندما اجتاحتها الموجات الاولى من العبرانيين في نحو سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد بقوا في بلادهم بالرغم من الاحتلال ، حتى تاريخ اجلاء أولئك الغزاة وما أصابهم من سبي وشتات ٠٠ هم سكان البلاد الأصليين، أما اليهود الذين احتلوا أجزاء من فلسطين لفترات قصيرة في الازمنة الغابرة ، فهم الطارئون والدخلاء !

وكائنا ما يكون الزعم الصهيوني ، فهو متهافت منهار ، لان المبدأ الاساسي للتنظيم العالمي الذي اعترفت به كافة الدول ، وأقره ميثاق الامم المتحدة ، هو حق تقرير المصير ، وكل خروج على هذا المبدأ يعتبر عدوانا فاضحا يجب دفعه ورده ، مهما كانت الظروف !

لقد كان عدد سكان فلسطين عند قيام الانتداب سنة ١٩٢٠ لا يتجاوز السبعمائة ألف ، منهم نحو ستمائة وخمسين ألفا ، مسلمين ومسيحيين ونحو خمسين الف يهودي ٠٠ وفي سنة ١٩٤٧ ، بلغ مجموع السكان نحو مليون وتسعمائة وخمسة وثلاثين ألفا ، منهم نحو مليون ومائتين وخمسة وتسعين الفا ، مسلمين ومسيحيين ، ونحو ستمائة وخمسة الاف يهودي !

اما الملكية العقارية ، فقد كان اليهود سنة ١٩١٨ يملكون اثنين بالمائة فقط من مجموع مساحة البلاد ٠٠٠ وعند انتهاء الانتداب سنة ١٩٤٨ كانوا يملكون نحو ستة بالمائة فقط ، بالرغم من كل الجهود والمغريات ، وبالرغم من قيام سلطة الانتداب ، باقطاعهم جزءا كبيرا من الاراضي الاميرية الموروثة عن الاتراك !

وكان اعجب فصول القصة ، اعلان بريطانيا مطلع سنة ١٩٤٧ ان الانتداب على فلسطين قد اثبت عدم جدواه ، لعدم قدرته على التوفيق

بين الأطراف المتنازعة، ولذا فان بريطانيا تودع القضية لدى الأمم المتحدة، لعلها تجد مخرجا ، لانها ـ اي بريطانيا ـ يثقل على شرفها وضميرها ان تفرض الحل المجدي بالقوة ! وتبلغ القصة ذروتها ، في الزج بضمير بريطانيا وشرفها في هذه الملهاة ولا اقول المأساة !

واذا اخذنا بعين الاعتبار ، الدور الغادر الذي مثلته بريطانيا على مسرح الاحداث ، منذ اصدار وعد بلفور ، كما اوضحناه في الصحائف الاولى من هذه الخواطر ••• وبعد كل المظالم التي ارتكبتها بريطانيا في تمكين الصهيونية ، بحراسة الحراب البريطانية ، من تنفيذ مخططاتها ومؤامراتها ، تنفض بريطانيا يدها من القضية ، كأن مقدرات الشعوب والاوطان ، ملهاة ، يتسلى بها الضمير البريطاني ، يقذفها حين يشاء ، ويدوسها كيف يشاء !!

في سنة ١٩٢٢ قام « رامزي ماكدونالد » زعيم حزب العمال البريطاني ، بزيارة فلسطين ، ولدى اطلاعه على الاوضاع المتردية ، كتب مقالا جاء فيه : « لقد شجعنا العرب على الثورة ضد الاتراك ، ببذل الوعود لهم بتحقيق حلمهم في انشاء مملكة عربية ، تضم فلسطين ، وفي الوقت نفسه ، شجعنا الصهيونية على تقديم المساعدة لنا ، مقابل اقطاعها فلسطين ••• وفي الوقت نفسه ايضا ، وقعنا اتفاق « سايكس ـ بيكو » القاضي بتقسيم وتجزئة التركة التركية في الشرق الاوسط » •

« ان من يشاهد منا تطور الاحداث في المنطقة ، لا يستطيع ان يقنع نفسه بأن العرب سينسون ذلك اللؤم او سيسامحون ذلك الغدر ••• او ان الجريمة الخلقية التي اقترفناها ، يمكن ان تذوي نتائجها مع الايام ، لقد كان سلوكنا مع المسلمين سلوكا جنونيا » •

وتطور القضية الفلسطينية في المنظمة الدولية معروف مشهـور ، فقد نجح قرار التقسيم في ٢٩ ــ ١١ ــ ١٩٤٧ بأكثرية ٣٣ صوتا ضـد ثلاثة عشر صوتا ، وامتناع عشرة عن التصويت •

وقد خصص قرار التقسيم لليهود المنطقة الساحلية والاجزاء الخصبة من البلاد ، كسهول طبريا والحولة ، بينما خصص للعرب المناطق الجبلية الجرداء ، والاجزاء غير القابلة للري التي يصعب استصلاحها واستغلالها الزراعي •

نجح القرار تحت ضغوط ومغريات رهيبة ، خالية من أبسط مفاهيم الشرف ، مارستها الصهيونية العالمية والولايات المتحدة •• والقصة مدونة في المحاضر الرسمية للمنظمة الدولية ، وهي فـي مجملها مهزلة لم يعرف التاريخ لها مثيلا !

كتب وزير الدفاع الاميركي حينذاك « جيمس فورستال » يقول : « كانت الوسائل والطرق والاساليب التي استعملت للضغط على الدول للموافقة على قرار التقسيم ، فضيحة مخجلة ، ملطخة بالوحل » •

حتى « ترومان » ••• ترومان نفسه كتب في مذكراته التي نشرتها مجلة « لايف » في عـــددها بتاريخ ٣٠ ــ ١ ــ ١٩٥٦ يقول : « فـي الحقيقة ، ان الضغط لم يمارس مع الدول الاخرى بشكل لم يسبق لـه مثيل فحسب ، بل ان البيت الابيض نفسه كان عرضة لمثل ذلك الضغط الرهيب ••• ولا أعتقد انني تعرضت طيلة مدة رئاستي لمثل ذلك الضغط والالحاح ! ولقد أزعجني السلوك المشيـن لقادة الصهيونية المتطرفين ، بل أثارني وأغضبني ، فقد كانت تلك الابواق المسعورة ، تلح بكـل ثقلهـا على البيت الابيض ليستغل نفـوذه في الضغط على الدول الاخـرى ! » •

وبعيد قرار مشروع التقسيـــم ، بدأت القوات البريطانية فـــي الانسحاب من الاجزاء المخصّصة لليهود ، وتسليم السلطة فيها الى الوكالة اليهودية ، المعدة اعدادا كاملا لتحمـــل المسؤولية في الوقت المناسب ، ووفقا للمخطط الصهيوني المدروس المعـــد من قبل ، قامت عصـــابات « شترن » و « الآرغون » و و « الهاغانا » ، المنظمة ، المزودة بأحـــدث الاسلحة ، تشن هجمات ارهابية اجرامية ضد بعض القرى العربيـــة الآمنة المجردة من السلاح ، فتوسعها تقتيلا وتنكيلا وتشريدا •• وكان الهدف ، وراء ملاحم الدم هذه ، بث الذعر والرعب في نفوس المواطنين العرب ، وحثهم ، بل دفعهم دفعا لمغادرة قراهم وأراضيهم ••• وأبشـــع مثل على موجة الاجرام تلك ، الهجوم الغـــادر على قرية « دير ياسين » في التاسع من نيسان سنة ١٩٤٨ ، وتقتيل جميع أهلها العرب البالغ عددهم مائتين وخمسين شهيدا ، أكثرهم من النساء والاطفال ! دون أن تحـــرك سلطات الانتداب ساكنا ••• دون أن تفي بالتزاماتها الدولية القانونيـــة الشرعية الاخلاقية الانسانية ، الى آخر لحظة من بقاء الانتداب ، الـــذي وقّت لانتهائه يوم ١٥ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ •

وفي ٢ أيار (مايس) ١٩٤٨ أعلنت الصهيونية قيام دولة اسرائيل ، ويداها مصبغتان بالدماء • وأعلن « ترومان » بعد دقائق من ميلاد دولة الاجرام في الارض العربية ، اعتراف حكومته بها ، على وجه غير مسبق في تاريخ الدنيا كلها •••

ثم كان •• ما كان !

- ١١ -

لن تكتمل لنا معرفة أهداف الصهيونية واستقراء مخططاتها ، دون اشارة عابرة عجلة الى « بروتوكولات حكماء صهيون » ، وهي مخطط صهيوني جهنمي لنسف الحضارات والاعتقادات لتقيم على أطلالها نظاما أوتوقراطيا ، مذهبيا ، عنصريا ، يحكم العالم الى الابد !

وقد لخصت معظم ما في هذا الفصل ، بتصرف ، عن كتاب الاستاذ عجاج نويهض : « بروتوكولات حكماء صهيون » الذي اعتمد في اخراجه على كتاب « الحكومة الخفية » للكاتب الانكليزي « سكوت » في طبعته الثالثة التي صدرت عام ١٩٦٠ ٠

يتفق معظم المؤرخين ان البروتوكولات قد وضعت في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في « بازل » بسويسرا برئاسة « هرتزل » وبدعوة منه سنة ١٨٩٧ ، وان ذلك المؤتمر قدر لتنفيذ المؤامرة الصهيونية كما أوردتها « البروتوكولات » مائة سنة (١٨٩٧ — ١٩٩٧) ٠

ويتفق معظم المؤرخين والنقاد كذلك على ان أول من عثر على البروتوكولات هو الكاتب البريطاني « مارسدن » ، وكان مراسلا لجريدة « المورننغ بوست » اللندنية في روسيا خلال الحرب العالمية الاولى ، حيث أتقن اللغة الروسية ، وعندما عاد الى بريطانيا بعد الثورة البلشفية ، نقل معه كتابا باللغة الروسية لعالم ارثوذكسي بحاثة هو

الاستاذ « سرجي نيلوس » وضعه في مطلع القرن نقـــلا عن العبرية • وفي لندن عكف « مارسدن » على ترجمة الكتاب ونشره سنة ١٩١٩ •

ولقد حاولت الصهيونية العالمية منذئذ ، بكل الوسائل والاساليب ، اخفاء هذا الكتاب ومنع تداوله ، وبصورة خاصة منع تسربه الى الشرق الاوسط ، وكتمت أصوات الصحف البريطانية التي شرعت بالخوض في الموضوع ، « كالمورننغ بوست » ، حتى ان « ونستون تشرشل » قبـل أن تستغـــله الصهيونية وتستهويه ، نشر مقـــالا في مجـــلة « Illustrated Sundy Herald » في ٨ شباط سنة ١٩٢٠ ، يستفظع فيـه مؤامرة اليهود لنسف الحضارة الاوروبية ، لكنه سكت بعد ذلك ، بل انحـاز الى الحركة نفسها ، وأصبح في عداد المبشرين بها • وكـانت حكومة الانتداب في فلسطين ، بسيطرة النفوذ الصهيوني ، يقظة فـي منع تسرب أي شيء عن البروتوكولات الى المنطقة ، فلم يتنبه العـرب الى ذلك المخطط الرهيب ، ولم يعرفوا عنه الكثير ، الا بعـــد قيـام اسرائيـــل !

والى القارىء ، فيما يلي ، نبذا من البروتوكولات ، التي تقع في أربعة وعشرين بابا •• وقد اقتصرت على ايراد ما يعلق منها بالجـــانب الاخلاقي ، والجانب السياسي ، وهناك فضلا عــن ذلك ، بروتوكولات بعينها قد خصصت لبحث الامور المالية ، أهملتها لان معرفة اليهـــود بتدبير المـــال وتثميره بالسرقة والابتزاز والربا الفـــاحش والاستهواء والاستغلال ، أمر شائع لا يحتاج الى نصوص وبروتوكولات !

تقول البروتوكولات ، وتعنى المقررات أو المخططات :

« الحرية السياسية هي فكرة مجردة لا واقع حقيقي لها ، هـــي

كالطعم في الشرك ، ويجب أن نتعلم كيف نطبقها حين تدعو الضرورة ، لاستهواء الجماهير ، وبذا يتم لنا القفز الى السلطة ويصبح الحكم في قبضة يدنا .

« وليس من الضروري أن يتلاءم ذلك مع شرعة الاخلاق ، فكما ان السلطة يجوز لها استعمال كل وسيلة في سبيل التغلب على عدوها كأخذه بالمباغتة ليلا ، والانقضاض عليه بعدد ضخم من الجند ، لا قبل له به ، أفلا يكون من باب أولى مكافحة العدو الداخلي الذي هو شر من ذلك ؟ وهو العدو المخرب لكيان المجتمع ، ومصالح الجمهور . فتناسي الاخلاق سائغ مطلق في الحالين ، وزمام الجماهير لا يؤخذ بالمنطق والنقاش الحر ، لان الجماهير لا تذهب في تحليل الامور الى ما هو أبعد من الظاهر السطحي ، والكثرة لجهلها أسرار السياسة وبواطنها ، فان القرار الذي يخرج من بين يديها لا يكون الا سخرية ومهزلة ، وفيه تكمن بذرة الفساد ، فتفسد الحكومة بالنتيجة ، وتدركها الفوضى . فالسياسة مدارها غير مدار الاخلاق ، ويجب على الحاكم اللبيب أن يتوسل بالدهاء النافذ ، والمكر الخادع ، أما الصراحة والامانة والشرف ، فهي تعد من النقائض لا من الفضائل ! »

« حقنا منبعه القوة ، وكلمة الحق كلمة وجدانية معنوية مجردة ، ومؤداها : آخذ منك ما أريد ، فأبرهن بذلك انني أقوى منك ! فالنتائج تبرر الاسباب والوسائل ، والغاية تبرر الواسطة ، وعلينا أن نراعي ما هو أفيد وضروري أكثر مما نراعي ما هو شرعي وأخلاقي ! »

« ويجب أن يكون واضحا ان قوة الدهماء هي قوة عمياء تخدر منها الشعور ، فلا تجري في نطاق معقول ، وأعمى لا يقود أعمى الا الى هاوية ، وفي النهاية يخرج أفراد من الدهماء ، من سواد الشعب ، ممن

لا خبرة لهم ولا تجربة ، وقد يكون لهم من الـذكاء مظهر براق ، لكنهم لقصورهم عن النفاذ الى بواطن الامور ، فانهم لا يلبثون اذا بلغوا مراتب الزعامة والقيادة ، أن يهووا فتهوي معهم الامة ، فينتقض الحبل كله » .

« والشعب الذي يترك وشأنه ، ليستسلم الى أمثال هؤلاء الذين يظهرون على المسرح فجأة ، يجني على نفسه ، أو تقتله منازعات الاحزاب، للوصول الى السلطان . والحضارة لا تقوم على الدهماء ، بل على من يحسن قيادة الدهماء ، لان الدهماء قوة همجية ، وهي في اللحظة التي تتسلم فيها القيادة تقع الفوضى لا محالة ، وهو أسوأ ضروب التـردي الاعمى . الغوغاء قطيع من الغنم نحن ذئابه ، وتعرفون ما يحل بالغنـم اذا أتتها الذئاب ! » .

« وبالعنف وحده يتم لنا الغلب في الامور السياسية ، لا سيما اذا كانت أساليب العنف مخفية ، كالمواهب الذهنية ، فالعنف هو القاعدة ، وكذلك المكر والخداع ، وهذا قد يعتبر شرا ، لكنه الوسيلة الوحيـدة لبلوغ الخير ، ولذا يجب أن لا نتردد في استعمال الرشوة والخديعـة والخيانة ، متى لاح لنا اننا بذلك قد نحقق الغاية المرجوة » !

« لقد كنا أول من نادى بشعارات الحرية والعدالة والمسـاواة ، الى آخر هذه الالفاظ الفارغة الجوفاء ! واستطعنا أن نجذب بها الـى صفوفنا ، على يد دعاتنا وعمـلائنا المسخرين ، من لا يحصيهـم عد ، فاستطعنا بذلك أن نقتلع الامن والراحـة من ربوع الآخرين ، وننسف جميع الاسس التي تقوم عليها أنظمتهم ، وعلى أنقاض تلك الامتيازات التي سحقناها ، والارستقراطية العريقة التي هدمناها ، نبني أرستقراطية جديدة من طبقتنا المهذبة الراقية ، تتوجها أرستقراطية المال ، وجعلنـا

ركائز أرستقراطيتنا الذهب ، وأمره معروف ، والمعرفـــة ، وهي صفة حكمائنا الشيوخ » .

« لقد كنا في تعاملنا مع الناس ، الذين احتجنا اليهم ، نضرب دائما على أدق الاوتار حساسية في نفسية الانسان ، استغلال نهمه للمـادة ، وبذا استطعنا أن نشلّ نشاطات الافراد ، ونرغمهم على الطاعـة العمياء ، وكان من شأن المعنى المجرد لكلمة « الحرية » ، أن عملنا على اقنـــاع الغوغاء ان حكوماتهم ما هي الا حارس الشعب ، وان الشعب هو صاحب القضية ، فالحارس يمكن تغييره وتبديله حسب الظروف ، وبذا استطعنا التأثير في تبديل ممثلي الشعب ، وجعلهم خولا لنا وخداما » .

« ويجب أن نعتمد على قدرتنا في الصعيد الاقتصادي ، لتصبح لنا اليد العليا بواسطة عملائنا ، فنقتنص الاشخاص النافـذين في بيئاتهم ، ونوقعهم في قبضة يدنا ، ونتخـــذهم مخالب صيد ، ويتولاهم منـــا أشخاص ذوو علم مكين وعبقرية فذة ، يكونون لهم مستشارين من وراء الستار ، فبمثل هذا الاسلوب نستطيع أن نؤثر تأثيرا عميقا في توجيه النظريات « الدروينية » و « الماركسية » وغيرها » .

« ولا يخفى ان في يد دول العالم اليوم ، أداة عظيمة تستخدم في خلق الحركات الفكرية ، والتيارات الذهنية ، ألا وهي الصحف ، ولذا يتوجب علينا أن نسعى لتملك تلك الاداة ، لنعمل على المطالبة بالحاجات التي يفترض انها ضرورية للشعب ، وأن نبسط الشكاوى ونثير النقمـة ونخلق أسبابها ، وقد تحقق لنا من ذلك الكثير ، فنلنا بواسطة الصحف القوة والنفوذ ، مع بقائنا وراء الستار ، وكفنا مليء بالذهب ! واستطعنا أن نحرض على التصادم بين الدول ، ولن يمضـــي وقت طويل ، حتـــى

يتخبط العالم كله في الفوضى والافلاس ، ويكون النصر لنا وحدنا » .

« لقد تدانى هدفنا واقترب ، فلم يبق بيننا وبين الوصول اليه الا بضع خطوات حين تمسي الدول الاوروبية جميعها محصورة ضمن دائرتها ، والافعى قد تكورت من حولها كالكلابة ، بعد أن شاعت منابر الخطابة الرخيصة ، وكثر الصحفيون المحترفون ، الذين يعيشون على التحرش والوقيعة ، ودأبهم أن يطرقوا أبواب السلطة التنفيذية ، للاجر والمكافأة ، واتسع شيوع المخازي من سوء استعمال الصلاحيات ، بحيث ان مؤسسات الدول ، بأصولها وفروعها ، قد تهيأت ونضجت لتعصف بها الرياح القادمة ، وتجعل عالي الامور سافلها » !

« لقد استطعنا أن نضمن الدساتير المختلفة نصوصا صريحة لحفظ حقوق الشعب ، دون أن تكون في الحقيقة الا خيالا وسرابا ، ولا يجد الفقير الا ما يتساقط عليه من فتات الموائد في مواسم الانتخابات العامة ، لينتخب المرشح الذي يريده عملاؤنا ، ونظهر نحن على المسرح لانقاذه من ذله ، بدعوته للانضواء تحت ألوية الاشتراكية والفوضوية والشيوعية ! » .

« وبالفاقة ، وما تولده من حسد وبغضاء ، نستطيع أن نهيج الدهماء ، ليدمروا ما يكون في طريقنا من عقبات ! وبذا نهيىء ونمهد ، لقيام حكم سلالة صهيون ... ولقد جاء على لسان الانبياء ان الله قد اختارنا لنحكم الارض كلها ، والله منحنا العبقرية لنضطلع بهذا العبء ، وكل دواليب الاجهزة في الحكومات تحتاج الى محرك ، وهذا المحرك في أيدينا وهو الذهب .. وبالمال نستطيع اقامة أجهزة احتكارية ضخمة ، ونحصر ذلك فينا ، ليغدو قوة رهيبة مسيطرة ، على أن يبقى مظهرنا الخارجي كلاما معسولا ، مقنعا بقناع الامانة وشرف المعاملة ، وحسن

المسايرة ، حتى يسود الاعتقاد بأننا ما جئنـــا الا لخير الجنس البشري وخلاصـــه » .

« وعلينا دائما أن نكون في وضع يمكننا من ابقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها ، وفي حال قيامها جميعا في وجهنا لا سبيل الا أن نوقد نار حرب عالمية مدمرة ! » .

« والعامل الرئيسي في نجاح خططنا السياسية ، هو كتمان المساعي والمشروعات ، والقاعدة أن ليس شرطـــا أن تتفق أعمال السيـــاسي مع أقوالــه » !

« قد يقال ان الغوغاء تهب في وجهنا وبيدها السلاح ، اذا ما اشتمت رائحة ما يجري في الخفاء ، ونجيب على ذلك بأننا قد أعددنا في أوروبا مناورة مذهلة ، تتزلزل منها أقوى الافئـــدة ، هي الحركات السريـة المخربة ، والاوكار والاعشاش الخفية ، والدهاليز السوداء ، وكل هــذا سيكون مهيأ لينفجر في العواصم والحواضر حينما نريد ، فتذرو الرياح كل ما هنالك من مؤسسات ومفاهيم ! »

« أما مشروع انشاء الحكومة فينبغي أن ينفرد بوضعه دماغ واحد منا ، لان هذا الامر اذا تولاه عدة نفر ، اختلف الرأي ، ووقع التنابذ ، وجاءت الحكومة ، ولا نصيب لها من التماسك . وحين نقطف ثمـرات خططنا ، يجب أن نحسن اختيار رؤساء الدول من بين أولئك النفـر ، الذين سبق لهم وتلطخ ماضيهم بما يشين ويعيب ، ولم يكتشف أمرهـم بعد ، ليكون عميلا لنا موثوقا ، وبذا نتمكن من القبض على السلطـة ، التي ندمر بها شيئا فشيئا ، وخطوة بعد خطوة ، ما نريد ازالته مـــن دساتير العالم ، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة ، وجعلها مقطورة الـى سلطتنا ، تابعة طيعة ! » .

« ان الله قد أنعم علينا ، نحـــن الشعب المختار ، بنعمـة السبي والشتات في الارض ، وهذا الامر كان فيما مضى مجلى ضعفنا ، فأصبح فيما بعد سبب قوتنا ، اذ استطعنا أن نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله ! » .

« ان جميع الصحف التي تشرب من مائنا ، ستحمل شتى الوجوه ، والسحنات ، والنزعات ، والدعوات ، من أرستقراطية ، الى جمهورية ، الى ثورية ، وحتى فوضوية ، وستكون هذه الصحف ، كصنم له مـــائة ذراع ، ومائة عين ، لنهيمن على كل رأي ، وكل اتجاه ، ولكي نصرف أذهان الجمهور المزعج المشاكس عن مناقشة الامور السياسية ، ونبقيـه في ضلال . ننشىء له وسائل اللهو واللذة الرخيصة ، ونقدم له ضروبـا من الفن والادب ، هي في غاية التفاهة والقذارة والغثاثة ، فيغرق فيها ، ونمضي نحن في التدبير والتخطيط والتآمر ! » .

« ومتى ولجنا أبواب مملكتنا ، لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا ، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا ، من حيث كوننـا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا . فيجب علينا أن ندمر جميع الاديان الاخرى على اختلاف صورها ، ومتى ما وضـع ملك اسرائيل على رأسه التاج المقدس ، الذي تقدمه له أوروبا ، فانـه يصبح سيد العالم ! » .

« ولكي يتم لنا تخريب جميـــع القوى التي تعمل على تحقيـق الانسجام الفكري ، والتضامن الاجتماعي ، ما عدا قوانا نحن ، علينا أن نبدأ في تفكيك حلقات المرحلة الاولى من هذا ، وهو الجامعـــات ! فننقض أساليب التعليم من أساسها ، ونفرغها في أساليب جديدة ، ونهيىء

الاساتذة تهيئة خاصة ، وفق برامج سرية ، وبهذا تقف الجامعات عن أن تقذف العالم كل سنة ، بألوف من المخنثين الذين ينطلقون برعونة لتلفيق المخططات الدستورية ، ورسم المشروعات الهوائية » !

« ومتى حان الوقت لهدم البلاط « البابوي » ، فستظهر أيد خفية تشير : « هيا نحو ذلك البلاط » ! فاذا ما انقضت الامم عليه ، فسنخف ونسارع نحن اليه ، تحت ستار الدفاع عنه ، رغبة في حقن الدماء ، وبهذه اللعبة سنوغل أيدينا في أحشائه ، ولن نخرجها حتى تتبدد قواه ويبقى بلا حراك ، ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقي للمسكونة كلها .. وبطريرك كنيسة دولية عالمية » !!

الى آخره ... الى آخره !!..

- ١٢ -

وبعد... كيف ولماذا وقعت مأساة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ؟

لقد صدرت كتب كثيرة بأقلام أجنبية عن تلك الحرب ، ودواعيها ، وأسبابها ... مقدماتها ونتائجها ... غير ان الطابع الغالب على تلك الكتب تحيز مخجل لاسرائيل ، ونشوة وقحة لانتصارها ، خاصة وان الكتاب قد استندوا فيما كتبوه الى مصادر الاعلام الاسرائيلية وحدها ، « وزاد الطين بلة » سخف الاعلام العربي ، الذي شوه من جلال المأساة ، بتغطية الحقائق وتزوير الوقائع وافتعال البطولات ! وكأنما هو كان يرمي عن قصد وتصميم الى الاستمرار في استغفال الجماهير العربية ، واستغلال فورة العواطف في لحظات حاسمة لا ينفع فيها الا صدق الرؤية ، ومواجهة النفس بالحقائق المرة ، بشجاعة واخلاص .

وبالرغم من « تقييمات » الكتاب الغربيين لنتائج المعركة ، فان انتصار اسرائيل السريع ، لم يكن لبطولة خارقة ، أو تنظيم معجز ، أو مزايا ذاتية فريدة ، بل كان نتيجة تفكك الصف العربي ، في تلك اللحظات المصيرية ، وخيانة قيادات بعض قطاعات الجيوش العربية . أقول هذا والاسى يعصر فؤادي ، ويمزق قلبي ، فليس من الهين احتمال غطرسة اسرائيل ، وغرورها الذي نشعر له في أرواحنا وقع السهام المميتة !

ما كان لاسرائيل ، وهي من هي ، في قلتها ورعبها ، وانهيار

اقتصادها ، وتفكك مجتمعها ، بسبب الخلافات الفكرية والنفسية بين اليهود الشرقيين ويهود أوروبا من المهاجرين الجدد ، ومعظمهم لا ينتمي الى العرق السامي ، فضلا عما بين العرقين والسلالتين من فروق حضارية وتقنية وعلمية ... ما كان لاسرائيل أن تحقق مثل ذلك النصر الحاسم السريع ، لولا اننا دخلنا المعركة ونحن غير مهيأين لها عسكريا ونفسيا ، بل متجاهلين أبعادها وأعماقها ، فقد غامرنا بمصيرنا وفي ظننا انها «لعبة» سياسية ، سيحسمها التدخل الدولي ، حرصا على السلم في المنطقة ، فيغنم القادة الهتاف والتصفيق ، وكأن الامر تسلية حمقاء ، هي جزء من ملهاة الزعامات الفاشلة ، والانظمة المنهارة ، والجماهير « المهووسة » المستغرقة في تشنجاتها العصبية ، المغطى على بصرها وبصيرتها بالتمويه والدجل والتضليل !

دخلت اسرائيل المعركة ، بعد طول ترقب وانتظار ، وتعبئة واستعداد، وتجمع للتوسع والاقتحام .. ودخلناها نحن مشتتين ممزقين ، نركب القضية المقدسة مطية لاغراضنا الشخصية ، ومطامعنا الاقليمية ، نلهث في خزينا وعارنا ، من معاناة الدس والتآمر ، لم يزد ما صنعناه خلال عشرين عاما على الصراخ بعقائد منخوبة ، وشعارات مفلسة ، لا تمت الى أصولنا الحضارية بصلة ، وليست من معركة التحرير والمصير في كثير وقليل !

وأنا هنا ، لست في معرض الدخول في جزئيات ما وقع ، وكيف وقع ؟ ولماذا وقع ؟ هدفي في هذه الخواطر استصفاء الدلالة ... دلالة الاحداث التي لا تكذب ، ومنطق الحقيقة الذي لا يخون !

في العاشر من مايس ١٩٦٧ هدد الجنرال « رابين » ، رئيس هيئة أركان الجيش الاسرائيلي ، بأن قواته — اذا استمر نشاط الفدائيين — مستعدة لدخول دمشق ، وهدم النظام القائم فيها ..

في الرابع عشر منـــه قال « ليفي اشكول » : « ان اسرائيل لـن تستطيع أن تتسامح في حوادث التسلل ، وانها تدرس اتخاذ اجـراءات رادعـة » ...

في ١٦ منه ، أبرق رئيس الاركـــان المصري ، الى قائد القـوات الدولية ، يطلب انسحاب تلك القوات من مراكز المراقبة على الحدود . وقد قال الجنرال « ريكي » قائد تلك القوات فيما بعد : « انه فهم ان الطلب المصري كان في حدود اجلاء القوات الـــدولية الى منطقة غزة ، لابعادها عن مسرح العمليات العسكرية » .

وفي اليوم نفسه استدعى « يوثانت » المندوب المصري الدائم في هيئة الامم المتحدة ، وأعلمه ان الانسحاب الجزئي للقوات غير مقبـول ، فهي لا تستطيع اخلاء بعض نقاط المراقبة تحـوطا من وقوع التصادم ، اذ ان مهمتها الاساسية الحيلولة دون ذلك ، وان أمام مصر اذا شاءت أن تطلب سحب القوات برمتها ، ومن كافة المواقع ، واخلاء المنطقة نهائيـا ، أو بقاء تلك القوات حيث هي !

لم تنتظر مصر جواب « يوثانت » الرسمي ، بل قامت قوات مصرية في ١٧ ــ ٥ ــ ١٩٦٧ باحتلال بعض مواقع القوات « اليوغسلافية » ، واستدعى وزير الخارجية المصرية سفراء الدول السبع المسهمة في القوات الدولية ، وطلب موافقة حكوماتهم على سحب قواتها ، وحصل عـــلى جواب فوري من الهند ويوغسلافيا ، بالموافقة على ذلك . وفي نيويورك أعلم مندوبا الدولتين « يوثانت » ان حكومتيهما ستأمران قواتهمـــا بالانسحاب في الحال وفق الطلب المصري .

وقد احتدم نقاش فيما بعد حول صلاحية السكرتير العام في اتخاذ

موقف منفرد في موضوع هام كهذا ، فكانت حجته ان هناك اتفاقا سريا بين همرشولد وناصر ، ينظم وجود تلك القوات وعملها والتزاماتها . وذكر الوزير المصري عبد القادر حاتم بتاريخ ١٢ – ١١ – ١٩٥٦ ، انه سبق أن تم الاتفاق على ان للحكومة المصرية الحق بطلب انسحاب تلك القوات في أي وقت تشاء ! وشاع بعد الحرب ان هناك مذكرة سرية تركها « همرشولد » توضح ان ناصر قد وافق على بقاء تلك القوات الى أن تنجز مهمتها ، وانه في حالة طلب مصر انسحابها ، بسبب وجودها في أراض مصرية ، فان على السكرتير العام أن يعرض الامر على مجلس الامن ، لبحث ما اذا كانت تلك القوات قد حققت الغرض من وجودها ، وان مهمتها قد انتهت ، والا فان مصر تتحمل نتائج الغاء الاتفاق !

وقد جاء على لسان « يوثانت » دفاعا عن موقفه ، ان مذكرة « همرشولد » السرية المشار اليها ، لا يمكن اعتبارها وثيقة رسمية !

وفي صباح يوم ١٨ – ٥ – ١٩٦٧ طلبت مصر من القوة الدولية الصغيرة المرابطة في شرم الشيخ اخلاء الموقع خلال ١٥ دقيقة ، وفي الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم ، وصل الطلب المصري الى «يوثانت» ونصه كالتالي : « تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تعلم سعادتكم انها قررت المطالبة بسحب قوات الطوارىء الدولية من أراضيها ومن قطاع غزة ، ولذا ترجو اتخاذ الخطوات الكفيلة بتنفيذ ذلك في أقرب وقت ممكن » .

لم يجد « يوثانت » بدا من تلبية الطلب ، وحذر في رده من مغبة الاجراء المصري ، عطفا على ما جاء في تقريره الى هيئة الامم المتحدة ، بأن وجود تلك القوات كان عاملا مهما في حفظ السلام في المنطقة .

وفي ١٩ ـــ ٥ ـــ ١٩٦٧ أعلن « يوثانت » في الهيئة العامة مضمون الطلب المصري واصداره الاوامــــر الى القوات الدولية بالانسحــاب الفـــوري .

وقد أظهرت « كندا » التي كانت تسهم بنسبــــة كبيرة في تلك القوات ، استياءها من تصرف « يوثانت » المنفرد . ومن الجدير بالذكـر ان الولايات المتحــــدة وبريطانيا ، احداهما أو كلتاهما ، لم تطلبا عقد جلسة طارئة لمجلس الامن لبحث المضاعفات المستجدة ، بل تركتا ذلـك لكندا والدانمرك ، وبالرغم من تبرير « يوثانت » اجراءاته ، فقد تعرض لنقد لاذع ، مما دعاه لافتعال حجة جديدة مؤداها ان السلطات المصرية قد أمرت تلك القوات بالانسحاب قبل تلقيه الطلب بصورة رسمية !

وفي مساء اليوم نفسه أعلن متحدث اسرائيلي رسمي في « تل ابيب » ان اسرائيل ستعرض القضية على المنظمة الدولية ، على أساس ان القوات الدولية قد وجدت بناء على قرار منها ولا يجوز أن تسحب بطلب مـن جانب واحد .

وفي ٢٠ ـــ ٥ أعلنت اسرائيل تعبئة جزئية للاحتياطي ، وأصـــدر المشير عامر أمرا بالتعبئة العامة .

وفي ٢٢ ـــ ٥ أعلنت السلطـات المصريــــة اقفـــال مضائـــق « تيران » في وجه الملاحة الاسرائيلية والسفن الاخرى المحملة مـواد استراتيجية لاسرائيل ، وقال الرئيس ناصر ان سيادة مصر على المضـائق لا تقبل النقاش ، فاذا أرادت اسرائيل لحرب « فلتتفضل » !

وفي ٢٣ ـــ ٥ قال « ليفي اشكول » في « الكنيست » ان منـــع الملاحة الاسرائيلية فـــي المضائق يعتبر عملا عسكريا عدوانيا .

وفي مساء اليوم نفسه أعلن الرئيس الاميركي ان اقفال المضائق يعتبر عملا غير قانوني ، وان الولايات المتحدة ملتزمة بحماية سيادة واستقلال كافة دول المنطقة • ومضى يقول : « لقد دهشنا لانسحاب القوات الدولية المفاجىء ، قبل احالة القضية الى مجلس الامن او الجمعية العمومية » • وقام الرئيس الاميركي بتوجيه رسالة عاجلة الى المستر « كوسيغين » يحض فيها على ضرورة تنسيق الجهود بين الدولتين الكبريين للضغط على العرب واسرائيل لكبح الجماح ، وضبط الاعصاب، وبذل المساعي المشتركة لتحاشي الدخول في صدام مباشر بين الدولتين • وكان موقف الحكومة البريطانية مماثلا لموقف أميركا ، وهو يتلخص في ضرورة تأمين حرية الملاحة الدولية عبر المضائق • واستطاعت الدعاية الصهيونية أن تستقطب عطف وحماس الشعبين الاميركي والبريطاني وراء قضيتها الباطلة ، برعونة لم يسبق لها مثيل !

لقد كانت حجة الجانب المصري تنطلق من موقف شرعي قانوني لا لبس فيه ، فوق كونه حقا من حقوق السيادة الكاملة للدولة على أراضيها ، ذلك ان الوجود الاسرائيلي في « ايلات » كان نتيجة مباشرة لعمل عدواني ، اذ ان اسرائيل احتلتها خلافا لقرار الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ، بعد صدور ذلك القرار • وان اتساع المضيق لا يزيد على تسعة أميال ، ويقع ضمن حدود المياه الاقليمية الدولية الذي هو اثنا عشر ميلا • وقد كان اغلاق « تيران » هو الوضع السائد من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٦ باعتراف ضمني بحق مصر في ذلك ، وان طلب اسرائيل حرية الملاحة في تلك المضائق ناتج عن عمل عدواني ، فالاستناد في ذلك الى القانون الدولي حجة داحضة ، بل مضحكة ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على سيادة قانون الغاب في العلاقات الدولية ، بسبب انحياز بعض الدول الكبرى لاسرائيل •

وفي ٢٤ ـ ٥ أعلنت كل من أميركا وبريطانيا ان مضائق العقبة يجب أن يعاد فتحها للملاحة الدولية ، ولو أدى الامر الى استعمال القوة ، ورافق هذا الاعلان تحرك الاسطول السادس في المتوسط !

وفي اليوم نفسه اجتمع مجلس الامن بطلب من كندا والدانمرك ، وفض دون أن يتمكن من اتخاذ أي قرار بسبب معارضة روسيا !

وفي ٢٥ ـ ٥ قال « اشكول » : ان على اسرائيل أن تعمل بمفردها لتأمين مصالحها .

وفي اليوم نفسه وصل وزير الحربية المصري « شمس الدين بدران » الى موسكو مع وفد كبير يضم عسكريين ، للحصول على الدعم والتأييد والعون المادي .

وفي ٢٦ ـ ٥ اجتمع وزير خارجية اسرائيل « ابا ايبان » بالرئيس « جونسون » في واشنطن حيث عرض موقف حكومته من الاحداث الجارية ، واعلن بعد المقابلة ان انسحاب اسرائيل من « شرم الشيخ » بعد حرب السويس ١٩٥٦ كان مشروطا بتأمين حرية الملاحة الدائمة عبر المضائق ، دون أن يؤيد هذا اللغو بأية وثيقة دولية .

يقول هنا بعض المراقبين السياسيين ان الرئيس الاميركي دعا مجلس الامن القومي ، في ذلك اليوم ، الى جلسة طارئة بحث فيها موضوع التوتر في الشرق الاوسط من كافة نواحيه ، خاصة الجانب العسكري ، وان الرئيس اطمأن لدى استماعه الى تقارير المسؤولين بأن اسرائيل قادرة على مواجهة الموقف بمفردها ، اذا أتيحت لها فرصة الضربة الاولى المفاجئة ... واقتنع الرئيس من جهة أخرى بأن روسيالن تشتط

في موقفها ، لو وقع الصدام ، الى حد الدخول في مواجهة مبـــاشرة مع الولايات المتحدة •

وفي ٢٦ ــ ٥ قال الرئيس عبد الناصر : اذا قامت اسرائيل بعمــل عدواني ضد أية دولة عربية ، فان حربنا معها ستكون حربا شاملة هدفها تطهير الوطن المحتل • وأتهم الولايات المتحدة بأنها العدو الاكبر للقضايا العربية ، وان بريطانيا تبع ذليل لها !

فساد الذعر عواصم الدول المعنيـــة بالشرق الاوسط ، ووجـــه جونسون على الفور رسالة عاجلة الى « ناصر » بواسطة السفير المصري في واشنطن ، حث فيها على ضرورة ضبط النفس والتزام الهدوء ، وعدم المبادرة بالعدوان !

وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي حمل السفيــر السوفياتي في القاهرة رسالة مماثلة مـــن « كوسيغين » الى الرئيس المصري ، ولست أشك في ان هذه الخطوة قد اتخذت بتنسيق مسبــق بين الدولتين •

وقد ذكرت جريدة « الواشنطن بوست » فيما بعد ، وبالضبط في ١٥ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ ، ان سبب قلق الروس على الاوضاع المتردية والجو المشحون بالتوتر في منطقة الشرق الاوسط ، مرده الى شكهم في قدرة مصر العسكرية على مجابهة اسرائيل ، بسبب اهمال تدريب الطيــارين ، وان حالة المطارات المصرية ، وعدم جدوى الاحتياطات المتخذة لاخفــاء الطائرات المقاتلة بطائرات صورية شبيهة ، وان تجميع الطائرات النفاثة في بعض المطارات ، يجعلها هدفا سهلا للغارات الاسرائيلية • فاذا كـــان ذلك كذلك ، أفليس من حق المواطن العربي أن يتساءل : ماذا ترى كان

يصنع الخبراء العسكريون الروس الذين يبلغ عددهم الآلاف ؟!

وفي ٢٨ ـ ٥ أعلن ناطق اسرائيلي رسمي : ان اسرائيل لن تقف مكتوفة الايدي أمام غلق المضائق ، وانها ستحمي حقها الشرعي بالقوة اذا فشلت المنظمة الدولية أو مجموعة الدول البحرية في الوصول الى حل ايجابي .

وكان « يوثانت » ، نتيجة لزيارته مصر بتاريخ ٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ ، قد أوضح في تقريره لمجلس الامن ، ان مصر لن تكون البادئة بالعدوان ، وانها راغبة في اعادة الوضع الى ما كان عليه قبل حرب السويس ، واستئناف لجنة الهدنة المشتركة أعمالها !

وفي ٢٨ ـ ٥ نفسه هدد الرئيس المصري ، في مؤتمر صحفي ، بغلق قناة السويس فيما اذا تدخلت قوى خارجية في الصراع ، وأضاف يقول : أما مضائق « تيران » فهي مياه اقليمية خاضعة للسيادة المصرية ، ولن تكون موضوع مساومة أو نقاش !

وقد اتضح فيما بعد ان المخابرات المصرية قد غررت في تلك اللحظات السود بالرئيس المصري ، الذي كان مخلصا في انطلاقته القومية ، وان البطانة التي أولاها ثقته قد خانته وخانت قضية مصر وقضية العرب أجمعين ، فهي لم تزوده بمعلومات دقيقة عن قدرة العدو الضاربة ، وعن هدف العدو الحقيقي من استفزازاته المتعاقبة ، وانها قد أوهمته من جهة أخرى بأنه قد كسب الجولة السياسية ضد الولايات المتحدة وبريطانيا ، وضد ربيبتهما اسرائيل ، وان مسارعة اميركا بتوجيه الدعوة لزكريا محيي الدين لزيارة واشنطن ، ومقابلة الرئيس الاميركي بغية ايجاد حل سلمي للازمة ، يعتبر تراجعا بل هزيمة لسياسة اميركا

في المنطقة ، وان قيام اسرائيل بمغامرة عسكرية أمر مستبعد ، بل مستحيل !

وأذكر هنا للحقيقة والتاريخ ، اننا عندما ذهبنا في معية جلالة الملك الحسين الى القاهرة في ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ ، لتوقيع اتفاق الدفاع المشترك ، أخذ الرئيس المصري يناقش العسكريين المصريين والاردنيين الموجودين في قدرة العدو وقوة استعداداته ، وقد خيل لي حينذاك ، مما قاله المشير عامر ، ان القوات المصرية ، تشد أزرها القوات الاردنية ، ستحقق أهدافها العسكرية ـ لو وقع الصدام ـ داخل اسرائيل ، في مدى ايام ، وان المعركة لن تكون أكثر من نزهة سهلة لتلك القوات الجبارة الضاربة وينتهي كل شيء ! وأشهد انني قد امتلأت زهوا بما سمعت ، وان تلك مهابة الموقف لم تمنعني من أن أعرب عن مخاوفي بأن الاسطول السادس في البحر المتوسط لن يسمح للعرب باحتلال شبر واحد من اسرائيل ، وان اقفال مضيق تيران لا يستأهل تعريض المصير العربي للخطر ••• غير ان صوتي الضعيف ضاع في هدير الحماس العاطفي ••• وقلت لنفسي : لعل وعسى ، واذا لم يكن من الموت بد فما أحلى الموت هنا ، وليت من استطاع أن يصفع الغرور الاسرائيلي ، ويبصق على الغطرسة الصهيونية ، أن يأخذ دمي وبقية أيامي !!

وفي ٢٩ مايس عقد مجلس الامن جلسة طارئة ، فقدمت الولايات المتحدة اقتراحا يقضي بمطالبة مصر السماح بحرية الملاحة ، ريثما ينتهي المجلس من مناقشة القضية والوصول الى قرار حاسم • لكن هذا الاقتراح هزم بسبب تصلب روسيا •

وفي اليوم نفسه قال « اشكول » ، لتغطية الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية للضربة الغادرة المفاجئة : ان الولايات المتحدة وبريطانيا ،

وعيرهما من الدول البحرية ، ملتزمة بتأمين حرية الملاحة في المضائق الدولية ، وان اسرائيل ستتريث لترى ما اذا كان بامكان هذه الدول الوفاء بالتزاماتها .

وفي ٣٠ مايس أعلن « ابا ايبان » ، للتضليل والتغطية والتعمية والخداع ، ان اسرائيل مستعدة لقبول أي حل سياسي يؤمن حرية الملاحة ، لكن يجب أن يتم ذلك في أقرب وقت مستطاع .

غير ان ذروة الاحداث في تلك البرهة وفي ذلك اليوم بالذات ، كان وصول الملك حسين المفاجىء الى القاهرة ، وتوقيعه معاهدة دفاع مشترك مع الرئيس المصري ، على غرار معاهدة الدفاع المشترك المعقودة بين مصر وسوريا .

لقد كانت زيارة الحسين للقاهرة ، نقطة تحول هام في الموقف كله ، اذ ان التنسيق العسكري بين القوات العربية في الجنوب والشرق ، من شأنه أن يشتت ويفتت قوة العدو الضاربة ، خاصة وان المراكز الاردنية الستراتيجية تشكل خطرا مباشرا على اسرائيل ، وتجعل مدنها الساحلية تحت رحمة النار الاردنية التي لا تبعد عن البحر أكثر من عشرة أميال .

وفي ١ — ٦ أعلنت اسرائيل التعبئة العامة ، وبذا أصبح كل أربعة مدنيين من خمسة ، في عداد القوات المسلحة ، فتعطلت المتاجر والمصانع والمرافق العامة ، وتوقفت حركة الحصاد ، وما كانت اسرائيل لتحتمل مثل ذاك الشلل العام مدة طويلة .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان اسرائيل كانت توجه عناية فائقة لسلاحها الجوي ، بعد أن درست وخططت واستعدت للمعركة القادمة ،

السنين الطوال ، بصبر ودأب وكتمان ، مع تقدير كل الاحتمالات ، حتى لقد بلغ من غرور أحد قادتها العسكريين قوله : لقد أعددنا خطة لمواجهة كل احتمال ، حتى لاحتلال القطب الشمالي !

وقد حقق الطيارون الاسرائيليون تقدما ممتازا في الدربة والمران ، مع السرعة الفائقة في العمليات العسكرية ، جعلهم في مقدمة الطيارين العالميين ، فلقد كان بامكان الطيار ، بشهادة الملحقين العسكريين الاجانب ، تجهيز طائرته والتحليق بها في برهة لا تتجاوز السبع دقائق ، وهو رقم عالمي قياسي ، ذلك ان اسرائيل لم تكن لتحتمل نتائج اندحارها ، لان هزيمة واحدة معناها ضياع اسرائيل ، بينما الهزيمة للعرب تعتبر جولة واحدة ، في معركة طويلة كثيرة الجولات !

كانت اسرائيل مصممة على الحرب ، كائنة ما تكون الاسباب ، وكان اقفال المضائق هدية السماء التي طالما تمنتها لايجاد المبرر الذي تستطيع من خلاله اعداد الرأي العام العالمي لتقبل عدوانها الجديد ، فتضرب ضربتها قبل أن يلتئم الشمل العربي الممزق ، ويستكمل العرب استعداداتهم العسكرية .

وأنا بهذا أخالف وأعارض الكتاب الغربيين الذين يعزون الحرب الاخيرة الى أسباب أخرى كثيرة ، منها ان اسرائيل قد وجدت نفسها في مأزق حين لم تستطع دفع الولايات المتحدة وبريطانيا الى اتخاذ اجراءات عسكرية ضد مصر . ومنها ان اسرائيل لم تكن تستطيع تحمل الشلل الذي اعترى اقتصادها من جراء التعبئة العامة . ومنها دخول الاردن المفاجيء في الصورة ، ووصول طلائع القوات العراقية اليه مساء يوم ٤ ــ ٥ ــ ١٩٦٧ ... ان ذلك كله غير صحيح ، بل مناف لطبيعة اسرائيل

وأهدافها ومخططاتها • وقد تكون تلك الاسباب ومثيلاتها حوافز ثانوية دفعت اسرائيل الى التعجيل بالمعركة ، وتحديد يوم ٥ ـ ٦ بالذات لشن عدوانها الغادر اللئيم ••• أما نية العدوان المبيتة ، والمخططات التوسعية المعدة المدروسة ، فهي ما تؤمن به اسرائيل وتعيش له ، فالحرب عندها أمر محتوم كلما وجد مبرر تخدع به الرأي العام في العالم ••• وقد وجدت اسرائيل المبرر المفتعل في غلق المضائق فاستطاعت ـ مع تقصيرنا وغفلتنا ـ أن تستهوي سذاجة الشعوب الغربية ، وتحيز قادتها ••• تلك الشعوب البسيطة التي تنظر الى المشكلة على الارض ، من طائرة سريعة محلقة تحليقا عاليا ، يطمس الحق العربي ، ويبرز باطل اسرائيل !

وفي الاول من حزيران ١٩٦٧ ، انضم الجنرال « موشى دايان » الى الوزارة الاسرائيلية كوزير للدفاع ، فكان ذلك ايذانا بتصميم اسرائيل على القيام بالعدوان •

وزيادة في التضليل والتعمية ، استطاع « موشى دايان » اخفاء حقيقة التخطيط للمفاجأة الغادرة ، الى اللحظة الاخيرة ، فقد قال في مؤتمره الصحفي في تل أبيب يوم ٣ ـ ٦ ـ ٦٧ انه يعتقد ان الوقت قد فات للقيام باجراء عسكري ، وان المجتمع الدولي لن يهضم ذلك بسهولة ، وانه لا بد من الانتظار فترة كافية لاستنفاذ جميع المساعي السياسية ، قبل ركوب أي مركب آخر •

وفي اليوم الرابع من الشهر ، نشرت بعض الصحف الغربية صورا لمجموعات عسكرية اسرائيلية ، زعمت انها تستحم في عطلة آخر الاسبوع على ضفاف البحر الابيض ••• وفي مساء ذلك اليوم أذاع راديو اسرائيل بيانا رسميا عن اجتماع الوزارة السري الذي تقرر فيه بدء العمليات

العسكرية صباح اليوم التالي ، جاء فيه ان الوزارة قد استمعت في جلستها العادية تلك الى تقرير من رئيس الوزراء ووزير الدفاع ... وتقرير آخر من وزير الخارجية حول التطورات السياسية الاخيرة ، ثم أورد البيان عددا من المسائل الروتينية العادية !

غير انه بالرغم من كل هذا التضليل ، فقد كان الجانب العربي يعرف التوقيت التقريبي لبدء العدوان ، وقد سمعت الملك حسين يقول للرئيس عبد الناصر ان المعلومات التي تسربت الى الاردن من مصادر كثيرة ، بعضها أجنبي ، تشير كلها الى ان اسرائيل ستفاجيء المطارات المصرية بغارات غادرة يوم ٥ أو ٦ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ .

وفي يوم ٤ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ ، جاءني السفير العراقي في عمان وذكر لي ان معلومات جديدة قد وصلت الى الاستخبارات العسكرية العراقية ، تؤكد ان اسرائيل ستشن هجومها المفاجيء صباح يوم ٥ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ . فاصطحبت السفير ، وذهبنا معا لمقابلة جلالة الملك ، حيث نقل اليه السفير تلك المعلومات الجديدة ، فذهب جلالته من توه الى القيادة العربية الموحدة في عمان ، وأطلع القائد العربي الفريق عبد المنعم رياض على ما ذكره السفير العراقي ، وعلى الفور انتقلت المعلومات الى القيادة العليا في القاهرة .

أما لماذا لم تتخذ الاحتياطات الضرورية لمواجهة احتمالات الموقف ، فتلك قصة أخرى ، جوابها في المحاكمات التي جرت وتجري في مصر ، واذا كان الرئيس عبد الناصر كبيرا في تحميل نفسه مسؤولية الكارثة ، فقد خدع ــ في الحق ــ وغرر به ، وهو بعد ، ليس نبيا ليطلع من وراء الغيب على نوايا كبار قادته وما تخفيه الصدور ، بل لعله لم يدر لساعات طويلة بعد بدء المعركة ، بالدمار الذي حاق بسلاح الجو

العربي ... السلاح الذي تجمعت عنده وتركزت حوله الآمال الكبار ، لحماية الاجواء العربية ، خاصة في الجبهة الشرقية الاردنية المسكينة ، التي عرّاها بخل وتقتير واهمال الشقيقات العربيات المليئة ، من توفير غطاء جوي لها ، باعتبارها خط الدفاع الاول والاهم ، عنها وعنهم ، وعن أماني العروبة ومقدسات الاسلام !

وقد طالما حفي لسان الملك حسين ، وبح صوته ، وهو يهيب ببني قومه أن يسمعوا ويعوا بأن مقتل الامة ، هنا ، في الاردن ... وان منطلق الثأر ، هنا ، من الاردن ... « وفروا لي الغطاء الجوي ، وأنا كفيل بالباقي » . وقد كان الاردن قادرا على أن يكفل الباقي حقا ، لو أتيحت له حماية جوية لا غير ، لكن جواب بعض القادة العرب ، على ابتهالات الاردن ونداءاته ، كان اتهام الاردن بالخيانة والعمالة ، حتى لقد غدا شعار بعض الجهات العربية الذي تتردد أصداؤه في الاجواء العربية : تحرير الاردن قبل تحرير فلسطين !

مالي أنكأ الجراح ... تلك قصة أخرى ، تستدر من الدموع بقدر ما تستمطر من اللعنات !!

- ١٣ -

في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٦٧ ، رغب الي جلالة الملك حسين ، بعد ظهور نتائج الانتخابات النيابية الاخيرة ، تأليف الوزارة الاردنية الجديدة ، فقبلت المسؤولية معتزا بالثقة ، والجو محمل بالنذر ، فاسرائيل تفتعل المبرر تلو المبرر لتغير على أطراف الدول العربية وتستفرد بها واحدة اثر أخرى ، وعدوان « السموع » لم تجف دماؤه الزكية ، والاعتداء الجوي على سوريا ، منتصف نيسان ، ذو دلالة ماثلة في الاذهان .. وتهديدات اسرائيل تهدر بالكثير من الاحتمالات ، والامة العربية ازاء ذلك تتلهى في ضياعها بالنفايات .. مهاترات ، نزيف دم ، تشويه حقائق ، تعهير قيم ، مؤامرات ، دسائس ، الى ما لا نهاية له من الفوضى والذل ، والتراشق بالتهم ، والتنابذ بالالقاب ، والنزول بأساليب الحكم الى أحط ما عرفته العلاقات الدولية في القديم والحديث !

صورة بشعة ، لكنها صورة حقيقية للواقع العربي ، لا بد من الاعتراف بها ، اذا أردنا اقتباس العبرة ، وتطهير النفوس ، والارتفاع الى مستوى المسؤولية الضخمة التي اختص الله بها جيلنا التعيس !

وكانت الاوضاع الداخلية الخاصة في الدول العربية انعكاسا صحيحا للاوضاع العامة ، فقد استشرى الفساد ، حتى شمل الداخل والخارج على السواء ..

وكان بعض أقطاب العمل السياسي في الاردن ، كزملائهم في بقية البلاد العربة ، فيهم المغامر الصلف غير المؤتمن ، وفيهم أدعياء معرفة ومروءة ووطنية لا يساوون ثمن هذا الورق الذي أكتب فيه ... خير ما فيهم ، ولا خير فيهم ، اتقانهم نهش الاعراض ، وتجريح الحرائر ، والتشدق بهجر القول ، والتمدح بوقاحة السمت .. يغشون المجالس بالنكت السمجة ، والظل الثقيل ، ويغطون الصفاقة بالتدليس والنفاق .. وفيهم ذوو نفوس رخيصة في سوق النخاسة ، بدراهم معدودة تستطيع أن تصطفي من تشاء منهم عملاء وأذنابا .. وقد جهلوا ـ لتعاستهم ـ ان الاصالة تنبع من الذات ولا تشترى بالعمالة ، ولو ارتدوا ألف ثوب من الوطنية الزائفة ، وجاؤوا من الخارج بمليون شهادة حسن سلوك ؛ يوارون بها خزيهم وصغارهم ، وعورات أنفسهم ، ويسترون بها ما يقترفونه في الداخل من جرائم خلقية ، وفساد وسرقة ، وتشجيع على التآمر ، والمتاجرة بمصلحة البلد كلها . ذلك ان الشرف لا يتجزأ ، والخلق لا يتجزأ ، والوطنية لا تتجزأ ، وهي صفة نفس لا بضاعة تشرى وتباع ، فمن كان متهما في ذمته ، صغيرا في مروءته ، خائنا في انتمائه الداخلي وعمله المسلكي ، لا يكون كبيرا في انتمائه الخارجي وعمله القومي !!

غير انه بالرغم من عثرات الطريق وقلة الزاد ونقص المروءات وضعف الامكانات ، فقد حقق الاردن استقرارا وازدهارا نسبيين ، بفضل قيادة مليكه الواعية المخلصة ، حتى أصبح ، بالقياس على جاراته ، واحة أمن ، ومنارة حضارة في المنطقة كلها ، وارتفع بتجربته الذاتية الى مكان القدوة الحسنة والمثل الطيب ، وغدا عند المقارنة طليعة الدول العربية في نسبة التعليم وزيادة الدخل القومي ... وكان ذلك ، مع الاسف ، سببا لسهام الافتراء والتجني ، وحملات الطعن والتجريح التي تعرض لها ،

وكل ذنبه استقراره وازدهاره ، ونجاح تجربته الاقتصادية ، واستعصاؤه على مكائد المرجفين ودسائس المتآمرين !

قبلت تكليف المليك شاكرا ، وقلت لنفسي : عسى أن أستطيع ارساء قواعد أخلاقية للحكم في هذا البلد ، فأنا من أعرف الناس باتجاهات الحسين الخيرة ، وانشغال وجدانه بتقدم بلده ورفاه شعبه . والاردن بالرغم من انعدام المجتمع الطبقي فيه ، فان طبقة من البورجوازية الجشعة قد أخذت في النمو والتكوين ، بسبب تطور البلد واتساع القطاع الصناعي وتهاون المسؤولين ، وهناك مساوىء لا تخفى في توزيع الثروة .. وبعض رجال الحكومات المتعاقبة قد سايروا وهادنوا.. بل شجعوا المحتكرين والمهربين والمستغلين ، على حساب مصلحة الدولة ومصلحة الجمهور ، وبعض القوانين قد شرعت لمصلحة شخص بعينه أو اشخاص ، وبعض الشرعات عرفت كيف تستهوي ذوي السلطة ، لمساعدتها على الاحتكار والغنى الفاحش ، وتكديس الثروات الطائلة.. وفي قوانين الشركات ذوات الامتياز ، نقائص وثغرات وسقطات مخيفة ، نظر المشرع فيها الى مصلحة الافراد على حساب الجماهير من ذوي الدخل الصغير !

ومن الانصاف أن أعترف هنا ان الاردن برغم هذه الشوائب ، كان أعرق جاراته في الادارة والنظام والانضباط وهيبة الحكم ، واذا كانت هناك بقايا جيوب عفنة فهي من مخلفات الفاسدين ، والواجب يقضي بازالتها ، ذلك ان تيار التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لا يتوقف ، فالاجدى والاجدر أن تسير مع التيار خشية أن يجرفك التيار . والبند الاول في معاناة الحكم ، العمل الجاد لتوفير الكفاية وعدالة التوزيع ، ووضع الثقة المتبادلة في نفوس المواطنين ، موضع التحاسد ، والتباغض ، والحقد ، والنزوات الهدامة !

ولا بد ، قبل أن أمضي ، أن أعلـــن انني امرؤ أومن بالتطــور لا بالثـــورة ، وأمقت العنف والقسر والاكراه والارهـــاب الفكري والنفسي ، وأعتقد ان حركة التاريخ لا يمكن دفعها بالقوة ، لتكسر طوق التطور الطبيعي ، فلا تورث الا الدماء والدمار !

وأومن بالحرية والكرامة الانسانية ، في اطار القانون، وبالديمقراطية الانتخابية الصحيحة ، وبالتخصص في آلـة الحكم ، فللمدنييـن وظيفة وللعسكريين وظيفة ، فاذا تداخلتا اختل النظام ، واختلط الحابل بالنابل ، وساد الهرج والمرج ، وعم الظلم والفساد !

وأومن بالمبادىء الخلقية المستندة الى العقيدة ، لان المرء بلا دين ، هو حيوان مفترس بالسليقة ، فكل شيء عنده مستساغ حتى الجريمة ، وقضية الوازع الذاتي ، أعدها ذريعة هشة لا تصمد للتجربة والاغراء .. حتى انني في دراساتي الفلسفية انجذبت بكليتي الى الفلسفة الجماليـــة والاخلاقية ، ونأيت عن الميتافيزيقيا وما وراء المنظور ... وأنا من ثـم أقيس الناس بسلوكهم الخلقي ، وبالمادة السلوكية والذوقية والفكريـــة والنفسية التي صنعوا منها ، كما أقيس أنظمة الحكم بمقومات وخصائص الشخصية الحاكمة ، وما يتميز به من فضائل انسانية .

وأشهد وأنا قرير العين ، مرتاح الضمير ، بعد أن قضيت في نفسي على كل انفعال ينشأ عن رغبة أو خوف ، ان الملك حسين مثل صالح للحاكم الصالح ، ولو قيض الله له دائما بطانة مخلصة نظيفة قادرة على أن تتفاعل وتتجاذب وتتجاوب مع خصائص نفسه ، لحقق الاردن الكثير الغالي ..

وأشهد وأنا قرير العين ، مرتاح الضمير ، ان الملك حسين مظلوم مفترى عليه ، فهو أشد من عرفت تمسكا بعروبته ودينه ، في عفـــة

مترفعة عما يهدر كرامة الرجال ، فلم أسمعه عمري يتفوه بكلمة نابية ، أو يلقى أحدا بغير السماحة والبشر ، وقد طالما اقتحمت عيني دمعة يمنعها الحياء أن تتدحرج على صفحة وجهه ، كلما ألمت بأمته مصيبة ، وكأنه موكل بقضاء الله ، بآية ما يحمله فوق كتفيه من تراث تاريخي ضخم عريض ، وقد والله عشت معه أيام الحرب المشؤومة لم نفترق لحظة ، ثلاثة أيام بلياليها ، لم يدخل جوفه طعام أو شراب ولم تغمض له عين ، ومع ذلك ... مع كل الهموم والآلام والاحزان والهواجس النفسية التي تهد الجبال ، لم يتقاعس ، أو يتوار ، أو يستخذ ، بل بقي هو هو ، الرجل الذي يشع انسانية ، ويعيش مصائب قومه ، وعلى ثغره بسمة وفي قلبه دموع !!

وقد قيل وكتب كثيرا في الآونة الاخيرة ، انه زج ببلاده في الحرب « مكرها أخاك لا بطل ! » ، وقد كذبوا فيما قالوا وما كتبوا . لقد كان ـ والله ـ في أحرج الظروف ، أوعى الزعماء والقادة العرب ، وأعرفهم بنوايا اسرائيل ومخططات اسرائيل ! وكان حلمه الدائم ، اعداد جيش قوي يكون له دور رئيسي ولو انتحاري ، في معركة الثأر والتحرير .. وأقسم بعزة الحق ان توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع القاهرة لم تغير من موقف الاردن كثيرا أو قليلا ، اذ ان الحسين كان ينوي خوض المعركة ، كائنة ما تكون النتائج ، في اللحظة التي تعتدي فيها اسرائيل ، لانه أكثر من عرفت ايمانا بوحدة المصير العربي. ولذا كان أشد القادة العرب تحمسا لوحدة العمل العربي المشترك ، ولقد رافقته في السنوات الثلاث الاخيرة ، فكان فيما وجهه الى اخوانه القادة العرب من رسائل ، وفيما ألقاه من خطب في مناسبات قومية ، الرائد الذي لا يكذب أهله ، وكأنه يقرأ المسطور في عالم الغيب ، ويتنبأ بالكارثة قبل وقوعها ، ولو قد لبى الزعماء العرب دعواته وابتهالاته

المستجيرة طيلة السنوات العشر الفائتة ، ومناشدتهم دعم الاردن بكل الطاقات العربية ، لانه منطلق معركة الثأر ، لو قد فعلوا لتغير وجه المعركة ، بل وجه المنطقة كلها ، فالقادرون منهم كانوا يبخلون بالمال على خط الدفاع الاول عن كياناتهم الكرتونية الهزيلة ... بل عن مبررات وجودهم ، بقدر ما كانوا يجودون به في مواطن الشبهات ، أو يدفعونه « خوة » واتاوات ، لتسكت عنهم الابواق الجهيرة ، القديرة على « الردح » والنباح ... العريقة في كيل التهم العفنة ، والشتائم القذرة ، وترديد « اسطوانات » العمالة والخيانة ، المعدة المهيأة لكل من تسول له نفسه،الخروج عن القطيع .. عن موكب الدجل والنفاق ! فأنت اما أن تنضم الى رهط الهتافة الهادر ، فيسلم شرفك وعرضك ، وخلاك ذم ، وتذوب في القطيع فتستريح ، واما أن تكون الخائن العميل ... حتى لقد تقمص أمثال الشقيري وأحمد سعيد ، حكم القضاء ، يوزعون في الناس قرارات الحرمان وصكوك الغفران ... يعزون من يشاؤون ، ويذلون من يشاؤون ، ويعطون القيم والاقدار للرجال وأشباه الرجال !

ولست أشك لحظة في ان الرئيس المصري ، في جلال قدره وعظمة نفسه ، لم يكن يدري بما يرتكب باسمه من جرائم وموبقات ، لكنها البطانة ، عميلة الشعارات المستوردة ، المريضة بجنون العظمة وعبادة المال ... البطانة أو البطانات التي تكشفت خياناتها بعد الحرب المشؤومة، فعرف الرئيس المصري من أمرها ما كان يجهل ، حين ولوا أمرا لا يحسنونه، واختلسوا ثقة لا يستحقونها ، ثم كانت ارادة الله ، فدالت دولة المخابرات والمؤامرات !!

ومن ذكرياتي المحزنة في هذا السياق ، انني حين عينت سفيرا في

دمشق بعد الانفصال ، تسنى لي أن أطلع على حقائق ووثائق تقشعر لهولها الابدان ، أقلها ان الارهاب البوليسي الذي مارسه « السراج » في دمشق ، سني الوحدة ، باسم مصر ورئيس مصر ، ليغطي به تفاهته ، يعدو كل حدود المروءة والنخوة والدم العربي ، حتى ان جيش « المكتب الثاني » في دمشق وحدها بلغ ستة آلاف وخمسمائة عميل وجاسوس ، من أعرق الاسر وأكرم البيوتات ! فلا عجب اذا انهار المجتمع ، وتفككت أواصره ، ونشأ جيل فاسد لا يؤمن بنخوة أو قومية أو دين ، حتى آلت المعركة السياسية في المنطقة كلها الى معركة شرسة بين شرف ولا شرف ، بين خلق ولا خلق ، بين دين ولا دين ! ونسي الناس معركة الوطن المغتصب والاهل المشردين . وحين يكون شرف المرء وعرضه وكرامته عرضة للثلم والثاب ، وأمواله عرضة للفتك والسلب ، تحت سيف المخابرات المصلت في كل لحظة ، فهناك الطامة الكبرى والضياع المحقق.. ولا غرو اذا تلفتت دمشق اليوم ، في غربتها وفجيعتها ، تبكي فتيانها الذين أنكرتهم وأنكروها ... فهجرتهم وهجروها ، بعد أن غبرت وجهها المحن ، وأثخنت صدرها المآسي ، وحنى ظهرها الظلم ، فلا الاهل أهل ، ولا الخلان خلان !!

* * *

منذ اللحظات الاولى لتسلمي زمام الحكم ، مع رفاق اخترتهم من ذوي الاختصاص والقدرة والنزاهة ، بدأنا نعمل لتنقية الجو العربي من غيوم الشك وأدران المهاترات ، فمنعت وسائل الاعلام الاردنية من الرد على الشتائم والتهم المنهالة علينا كزخ المطر ، من اخوة لنا في القومية والعقيدة والمصير .. وانصرفنا بجهدنا الى البناء الداخلي ، والتعبئة النفسية والمادية لكافة طاقات شعبنا المرابط ، ولم نكد نمضي خطوات ،

بعزيمة المؤمن بربه وقومه وبلده ، حتى جاءت الاحداث بنذر الانفجار الوشيك !

اسرائيل تهدد وتتوعد ، وشعارها الدائم الذي لم تتخل عنه لحظة : « التجمع والاقتحام » ، والعرب ازاء ذلك جهد مبعثر ، وأزمة أخلاق ، لا تنظيم ولا تنسيق ولا خطة ولا اعداد ... الجامعة العربية تغط في متاهات الخدر والنعاس ! والقيادة العربية الموحدة معطلة ، مهملة ، مشلولة ، ومؤتمرات القمة ومقرراتها قد نسفت نسفا وأصبحت اثرا بعد عين ، وضاعت نبراتها المخلصة ، وايماءاتها الصادقة ، في ضجيج الملل والنحل والشيع والفرق ... والمحاور والاحزاب ، وخفت صوت المنطق بين أبواق مأجورة وأخلاق مهدورة ..

ومع ذلك فالاحداث تتطور بسرعة ، والخطر المحدق قد لاحت بوادره على الافق القريب ، ولا بد من عمل شيء .. أي شيء !

أوفد الملك حسين رئيس أركان جيشه الى القاهرة ، ليرى ويسمع ما يجري من اخوانه في السلاح ، بنية تنسيق الجهد العسكري ، اذا وقعت الواقعة ! فعاد محملا بشكوى القيادة العربية الموحدة المنسية ، وانها لا تدري من الامر شيئا الا ما تقرؤه في الصحف وتسمعه في الاذاعات !

وجاء الملك يزورني في مقر رئاسة الوزراء صبيحة الخامس والعشرين من مايس ١٩٦٧ ، وبعد التشاور مع القادة العسكريين استدعينا سفراء مصر والعراق وسوريا لمقابلة الملك الذي طلب منهم أن ينقلوا الى حكوماتهم استعداد الاردن المطلق للتعاون والتنسيق ، وتوحيد القيادة العسكرية اذا اقتضى الحال ، ومناشدتها باسم القومية والشرف والدين

أن توحد صفها وتلقى العدو ـ اذا حم القضاء ـ بخطة واحدة وقيـادة واحدة وشمل جميع !

ومضت أيام ثلاثة أطول من سنين ، لم نسمع نأمة ولم نتلق جوابا ، الا حديثا صحفيا مبتورا لوزير الدفاع العراقي ، يعتذر فيـه عن ارسال قوات عراقية برية لدعم الاردن !

وفي مساء يوم ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ ، تفضل جلالة الملك فزارني على غرة فـي منزلي ••• واستدعينا القادة العسكريين لبحث الموقف ، فـي جو من التخوف على الضفة الغربيـة ، وتعرض أمتنا لكارثة جـديدة وتشريد جديد ••• وفي الساعة العاشرة بالضبط مـن ذلك المساء ، استأذنت جلالته واستدعيت السفير المصري ، فجاءنا على الفور ، فأطلعناه على ما يخالجنا من هواجس ومخاوف ، وزودناه بما لدينا من معلومات ، وناشدناه كرة أخرى أن يتصل بالرئيس المصري مباشرة ، هذه المـرة ، تحوطا من التلكؤ والتأخر ، وتجاوزا « للروتين » ، ويعلمه برغبة جلالته في زيارة القاهرة من الغداة ، ليبحث مع اخوانه الوضع الخطيـر ، واضعا كل ما نملك من طاقات وامكانات في سبيل المعركة المشتركة ، قيد أوامر الرئيس ، والقيادة المصرية •

وجاء الرد العاجل بالايجاب ، خلال بضع ساعات كما قدرنا وتوقعنا ، وأحيطت رحلة المليك صباح يوم ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ الى القاهرة بالسرية التامة • وكان للزيارة ونتائجها هزة ذعر بين الاعداء ، ورنة فرح فـي الاردن وفي العالم العربي من أدناه الى أقصاه ••• ومسح عناق الزعيمين شوائب النفوس ، وأكدا بلقائهما المؤثر وتفاهمهما المطلق ، معاني المروءة العربية في أجلى مظاهرها •• وقلت للرئيس عبد الناصر وهما يوقعـان

ميثاق الدفاع المشترك : الحمد لله الذي أحياني حتى أشهد هذا اللقاء العظيم ، وأقسم انني ما زلت أعيش روعة ذلك اللقاء !

ولقد ضرب الملك حسين المثل الاعلى في التضحية والتسامح والتسامي ، بموافقته على اصطحاب الشقيري معنا في العودة الى عمان ، ببزته العسكرية المشهورة ، دليلا على تناسي الاحقاد ، وليته ما عاد !

وأذكر هنا للحقيقة والتاريخ ان الرئيس عبد الناصر قال مخاطبا الشقيري : « اسمع يا أستاذ أحمد ، أنت تذهب مع الملك حسين جنديا في المعركة لا غير ، فالوقت ليس وقت خطب واثارات واستفزازات ... ووعدي لكم هنا ، في هذه اللحظة ، انني بعد انتهاء المعارك بظفرنا ان شاء الله ، سأدعم الملك حسين بكل ما أملك من قوة ، لايماني بوطنيته واخلاصه ، وسأقدم قطاع غزة ليكون جزءا من المملكة الاردنية » .

عدنا .. تضيق بفرحتنا الدنيا على رحبها ، ولم أر الملك حسين منشرح الصدر ، طلق المحيا ، كما رأيته تلك الساعات . وفي الغداة زارني السيد الشقيري في مكتبي ، وجاء الملك مصادفة أثناء زيارته . وبدأ الشقيري يسح ويهضب كعادته ، ومؤدى كلامه الطويل العريض ، المعاد المكرر المترهل ، ان لديه جيشا عرمرما مجهزا بأحدث الاسلحة ، وحبذا لو دخل الاردن من سوريا ليقوده هو بنفسه في معركة التحرير . فقلت له مازحا : أنت جبهتنا الكلامية في الملمات ، والخير كل الخير أن تترك المعركة والحرب للعسكريين ، وأجدى لنا ولجندك أن يبقوا مع اخوانهم في الجبهة السورية ، فالبذل والتضحية والفداء غير منوط بموقع بعينه أو جبهة بذاتها .. والحرب ان وقعت ستكون عامة شاملة لا تفرق بين فلسطيني وأردني ، وشامي ومصري !! ثم استأذن من جلالة الملك ،

ليذهب الى القدس فيخطب في الناس خطبة الجمعة ، فقلت له بالحرف الواحد ، وأنا أتقل من مفكرتي : « يا أستاذ شقيري ، أرجوك وأناشدك الله أن تعفينا من خطبك هذه الايام ، ان الوقت وقت تعبئة ، وأخشى أن تستفز عواطف الجماهير المتوترة فتسبب لرجال الامن متاعب نحن في غنى عنها ، بينما الكل مشغول بالتحركات العسكرية الى الضفة الغربية وبالتجمع والاعداد للمعركة ! »

فابتسم غير راض ، ووعد أن لا يذهب ، لانه اذا ذهب فهو سيخطب لا محالة ! لكنه خان وعده ، فذهب وخطب ، وكادت المظاهرات التي خرجت من المسجد ، يومذاك ، أن تدمر القنصليات الاجنبية في القدس ، لولا تعاون عقلاء القوم مع رجال الامن في تفريق المتظاهرين بالحسنى . ولم يكتف الشقيري بذلك ، بل عقد مؤتمرا صحفيا ، منصرفه من المسجد ، في ٢ - ٥ - ١٩٦٧ قال فيه قولته المشهورة التي استغلتها اسرائيل أبشع استغلال بأننا « سندمر اسرائيل على رأس أهلها ، أما من بقي منهم ، اذا بقي أحد ، فالبواخر معدة لاقصائهم » . وقد ذكر لي الدكتور « عبده عزام » الاستاذ في الجامعة الاردنية ، انه شاهد على شاشات التلفزة في لندن ، الشقيري وهو يهذي بكلامه ذاك ، وقد تأكد عندنا بعد الحرب ان ذلك الهذيان قد استفز الشعوب الاوروبية والشعب الاميركي ، فانحازت كلها الى اسرائيل الضعيفة المسكينة التي ينوي الشقيري أن يدمرها ويفتك بنسائها وأطفالها !!

وعندما بدأت المعارك صباح يوم ٥ - ٦ - ٦٧ ، فر الشقيري من القدس الى عمان ... ثم الى ما لا أدري !

والشقيري يعشق الخطابة ، ويعشق نفسه من خلالها ، وفي ظني انه لو خير بين تحرير وطن ، أو تدبيج خطبة ، لاختار الاخيرة ! وكلامه

لطول ما لاكه وعجنه ، مجموعة من المتناقضات المترهلة . الفكرة المعروقة يقدمها لك في سيل هادر من المترادفات التي تتفرقع في فمه كما يتفرقع البارود ... والبديهيات تستحيل على لسانه الى أحجيات ، والمغالطات تنقلب الى مسلمات .. ومنطقه من أعجب العجائب وأغرب الغرائب .. أذكر انه ألقى مرة بيانا استغرق أربع ساعات في اجتماع الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء ، يتهجم فيه على الاردن ومليكه ، ويتهم الحسين بأنه عميل استعمار ، وكانت حجته التي ساقها لتوكيد اتهامه : ان الملك يدعو المؤمنين بالله ليقفوا في وجه الالحاد ، وبما ان أميركا وانكلترا تؤمنان بالله ، فالملك اذن عميل لهما ... هكذا والله !

ورأيي في الشقيري ، بعيدا عن الانفعال الشخصي ، انه سبب مباشر من أسباب النكبة ، وقد أضفي عليه لقب وشارة ليمثل دورا مصنوعا له في مأساة العالم العربي والخلافات العربية ، وقد مثل دوره هذا ـ مع الاسف ـ بحذق ومهارة ، وحين أخذت الامة العربية وأخذ القادة العرب يواجهون الحقائق المرة ، بعد معركة الذل والهوان ، وبعد أن تكشف عهد الدجل والسخف والغثاثة ، واستهللنا عهدا جديدا نبدؤه ببناء الانسان العربي الجديد والمجتمع العربي الجديد ، وبالتنظيم الشامل للطاقات العربية ، لم يعد للشقيري مكان ، فانطوى من المسرح الى الابد !!

بعض الرجال كالطبل لو نقرته لرن من فراغ

– ١٤ –

بدأ الهجوم الاسرائيلي في الساعة ٧،٤٥ من صباح يوم الاثنين الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، الساعة ٨،٤٥ بتوقيت القاهرة الصيفي، وهدفه المباشر عشرة مطارات مصرية . وكان التوقيت محكما ، متميزا بعنصر المباغتة ، مبنيا على تقديرات مدروسة ، منها ان ساعة التوقع الصباحية كانت عند الشروق ، في وقت سابق للهجوم الذي وقع ، بثلاث ساعات على الاقل ، ومنها ان الضباب في تلك الفترة من السنة ، كان يخيم في الصباح الباكر على مناطق كبيرة من النيل ، وينجلي في نحو توقيت اسرائيل للمعركة ، حيث تكون الرؤية في أفضل حالاتها بسبب انكسار أشعة الشمس ، ومنها ان الدوام الرسمي في مصر ، يبدأ الساعة التاسعة بالتوقيت الصيفي ، أي ربع ساعة بعد المفاجأة الاسرائيلية ، وحين يكون الضباط والطيارون في الطريق الى مراكز عملهم .

كان هدف الهجوم تعطيل المطارات ، وتحطيم أكبر عدد من الطائرات المقاتلة ، بعيدة المدى ، على الارض .

ومضت الطائرات الاسرائيلية الى أهدافها ، على ارتفاع منخفض فوق البحر ، لا يتجاوز أحيانا الثلاثين قدما ، لتحاشي الظهور على شاشات الرادار الكثيرة المنتشرة في المنطقة ، وفي مقدمتها رادارات أميركا وروسيا .

مضت موجات متلاحقة من الطائرات تقصف المطارات والمقاتلات الجاثمة ، بدقة واحكام . وكانت الطائرة ، في تقدير الفنيين ، تنجز مهمتها في نحو سبع وخمسين دقيقة ، ثم تتجهز لتتجه الى أهدافها كرة أخرى ...

وبعد نحو ثلاث ساعات من الغارة الاولى ، تم تدمير المطارات المصرية المستهدفة ، وتحطيم معظم الطائرات المقاتلة على الارض ، فاتجه الهجوم الاسرائيلي نحو سوريا والاردن ، بكل ثقله وقوته ، فدمر مطارات البلدين ، وحطم معظم طائراتهما ، وقد قدر عدد الطائرات العربية التي دمرت في مطاراتها بنحو ثلاثماية وتسعين طائرة ، يضاف اليها عشرون طائرة أخرى أسقطت من الجو ، وبذا تمت السيطرة المطلقة لسلاح الجو الاسرائيلي في الاجواء العربية وتقرر بذلك مصير المعركة !

كيف استطاعت اسرائيل تحقيق مثل هذا النصر الحاسم بهذه السرعة الفائقة ؟

يقول الجنرال هود «HOD» قائد سلاح الجو الاسرائيلي : « لقد قضينا ست عشرة سنة نستعد ونخطط لهذه الجولة ، وحققنا ثمرة جهدنا في ثمانين دقيقة ! لقد عشنا خطتنا ، نمنا معها ، أفقنا عليها ، تمثلناها ، هضمناها ، وبالتدريج أدخلنا عليها الاصلاحات المتتالية حتى قاربت الكمال » !

ولقد حاول القائد العربي العام الفريق عبد المنعم رياض ، منذ الصباح الباكر ، وسلاح الجو الاسرائيلي برمته متجه نحو الاراضي المصرية ، حاول اغتنام الفرصة لتقوم سوريا والاردن والعراق مجتمعة بضرب مطارات العدو ، قبل عودة طائراته ، لمنعها من الهبوط ، وهي لو

قد فعلت ، لتغير وجه المعركة كله .. لكن القيادة السورية تمحلت مختلف المعاذير ، للتلكؤ والمماطلة ، بحجة ان طائراتها غير جاهـزة !! ولم تك الطائرات الاردنية في نوعيتها وفعاليتها ، بقـــادرة على احداث الاثر المطـلوب !

ولعل حكام دمشق قد حسبوا انهم أصبحوا في منجاة عـن مخاطر المعركة ، بعد تحطيم سلاح مصر الجوي ، وتشتيت قواتها البرية ، ولعلهم ظنوا ان النظام المصري قد آذن بزوال ، وانهم وحدهم رسل القـــدر التاريخي لملء فراغ الزعامة والتفرد بحكم البلاد العربية ، أو على الاقل التحرر من ربقة « القومية العربية » واقامة دويلات عنصرية طائفية فـي المنطقة ، توازي دويلة اسرائيل ، وتعيش معها في أمن وسلام !

لقد كان المطلعون على بواطن الامور يعلمون ان « البعثيين » ، وخاصة شراذمهم الحاكمة في دمشق ، يشكون من عقدة قاتلة هي عقدة « عبد الناصر » وانهم يعتقدون انهم خلفاء المد اليساري الثوري حيـــن تدول دولة الزعيم المصري ! فيستقلون هم بممارسة رسالتهم الخالدة ، التي سبق لهم أن مارسوها في بغداد ، ويمارسونها اليوم في دمشـــق الكئيبة ، بكامل روعتها الاخاذة وجلالها المهيب !!

وتسمع أنت يا أخي الى أهازيج النصر ، تتهادى اليك مـن دمشق العروبة ، فتحسب ان القوم قد داسوا « تل ابيب » وغسلوا عار الهزيمة وذلة الانكسار .. وان فائض سلاح الجو المظفر الذي هزم العدو وعفر أنفه ولوى ذراعه ، قد نهد اليوم بعد أن أنجز مهمته الشريفة بالامس ، لتقتيل العرب والمسلمين في الجنوب العربي واليمن السعيد !

أما المؤامرات الطائفية ضد العروبة والدين ، فلن يخفى أمرها بعد اليوم !!

* * *

وأعود الى سياقي :

لم يكن النصر الذي حققته اسرائيل معجزة خارقة أو مقدرة فائقة ، بل نتيجة منطقية لجهد وعرق ، وتعب وكلال ، وايمان مدة تسع عشرة سنة كان العرب خلالها مستغرقين في مستنقعات المهاترات والمؤامرات ، ورفع كل شعار ملفق ومجلوب ، عدا شعار التحرير ، فلا اعداد ولا تدريب ولا خطة ، ولا صدق ولا اخلاص ... وقد أبكاني ان مجلس الجامعة العربية ، الذي انعقد بعد الكارثة ، خرج بقرار يدعو الى وضع خطة لعمل عربي مشترك ... الله أكبر ! بعد تسع عشرة سنة من الضياع ألهمنا الله أخيرا ان الخطة الموحدة المدروسة ضرورة حتمية لمواجهة غطرسة اسرائيل !! والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ... ذلك ان المشعوذين ظلوا طيلة تلك المدة يحتلون الميادين العامة ، يعرضون أعمالهم البطولية ... وان القادة يزدهيهم هياج الجماهير فيسفون اليها بدل أن يرفعوها اليهم ... ويسلموها قيادهم بدل أن يوجهوها ويقودوها . وهوان النفوس يسوغ الخيانة ولو كان في ذلك ذل العروبة والاسلام ، حتى لقد كانت ، بل وما زالت ، القضايا المصيرية والاسرار السياسية والعسكرية ، تبحث في المقاهي والازقة والمنتديات ، ويعلو الجدل العقيم حولها في اطار الصراعات الحزبية المفلسة ، والانتماءات العقائدية الخارجية المزيفة ، البعيدة عن واقعنا ، المتنكرة لاصولنا الحضارية !! وكأنما الامة العربية قد انقسمت الى معسكرين لا يلتقيان ، ينتميان الى شرق وغرب ، ويتبجحان بعار العمالة لكليهما ،

دون أن يخطر في بال مخلوق واحد ، مخلص النية صادق الطوية ، ان العودة الى تراثنا والانتماء الى حضارتنا والرجـوع الى مبادئنا ، هـي وحدها طريق الخلاص !!

وفي صباح يوم المعركة ، وجه « كوسيغين » رسالة عاجلة الـى « جونسون » عبر الخط الاحمر ، بين « الكرملين » و « البيت الابيض » يقول فيها : ان روسيا لا تنوي التدخل في المعركـة اذا تقيد الآخرون بذلك ، وهي ترى من الضروري التعـاون مع أميركا لاعادة السـلام الى المنطقة ...

وبعد ست وثلاثين ساعة من بدء القتـال ، أرسل « كوسيغين » رسالة ثانية الى « جونسون » يقول فيها : ان روسيا تقبل بأي قـرار يتخذه مجلس الامن لوقف اطلاق النار .

وقد ارتاح المسؤولون الاميركيون لموقف الروس هذا ، مما دعـا الرئيس الاميركي أن يظهر على شاشة التلفزيون ، مساء يوم ٦ ـ ٦ ـ ٦٧ ليقول : ان موقف روسيا من أحداث الشرق الاوسط يتسم بالتعقـل ، وهو موقف يبعث على الامل .

***

انني أروي الحقائق ، وأترك للقارىء أن يستنتج منها ما يشاء !

في صباح يوم المعركة ، قام قائد القوات اليهودية المواجهة للقطاع الاردني يخطب فيها قائلا : « انكم تصنعون التاريخ ! ان ما يجري في سيناء ليس بشيء اذا ما قيس بما تقومون به أنتم هنا » .

لقد كان هـدف اسرائيل الاول والاهم ، غزو الضفـة الغربية

لا سيناء ... فقد كانت الضفة حلم عشرين سنة من الرعب والخوف .
وأؤكد هنا ، لازيل كل شبهة ، ان اسرائيل قد وسطت جقا الجنرال « اودبول » ، في التاسعة من صباح اليوم المشؤوم ، ليقول للملك حسين : « ان اسرائيل تقوم بحرب دفاعية في الجنوب ، وان ليس في نيتها مهاجمة الاردن ، اذا ما التزم الحياد ! » . غير ان ذلك كان جزءا من حملة التضليل والحرب النفسية ، فالضفة الغربية هي حلم اسرائيل ، وقد أرسلت وساطتها قبل التأكد من تتائج المعركة الجوية التي كانت ناشطة حينذاك ، وخشية أن تشغلها القوات المصرية الكثيفة ، فيخترق الاردنيون « عنق الزجاجة » وتفصم اسرائيل شطرين ، وهم يعرفون ـ من قبل ومن بعد ـ كيف يقاتل الجندي الاردني ، اذا كانت المواجهة بين جند وجند ، لا بين جند ونيران تنصب عليهم من السماء . لقد شهد العدو قبل الصديق ان الجندي الاردني قد قاتل بشراسة وبضراوة وبشجاعة مشرفة ، وانه أوقع خسائر فادحة في العدو ، تجاه قوى ضخمة تفوقه في كل شيء ما عدا البسالة والاقدام .

وقد نشر بعد الحرب تقدير للموقف العسكري بقلم « ويليام بيجر « William Beecher في « النيويورك تايمز » جاء فيه : ان بعض الخبراء العسكريين أكدوا قبل المعركة ان اسرائيل تستطيع اختراق القوات المصرية في سيناء في موقع أو اثنين على الاقل ، وفي مدة تتراوح بين اسبوع واحد واسبوعين ، وان المخابرات المركزية الاميركية طمأنت الرئيس « جونسون » بما لا يخرج عن ذلك ... ذلك اذن هو سبب وساطة الجنرال « اودبول » ، وهو ينسجم كل الانسجام مع أحلام اسرائيل وأهدافها . ولعل « اودبول » قد قام بالمحاولة نفسها مع حكام دمشق ، ولعل ذلك هو سبب اخلاء خط « ماجينو » السوري ، والتلكؤ في المشاركة الفعلية في المعارك ، لحماية « الثورة » أو «النظام»

أو « رجال الحكم » ! لقد كان الاردن يقاتل عن وطـن وأرض وشرف أمة ، لا عن « نظام » و « حكام » !!

لقد كان رد الفعل السريع للانتصار الاسرائيلي في الصحف الغربية ، الابتهـاج بتحرير القدس من أيدي المسلمـين ، نهاية سعيدة للحروب الصليبية ! وان روسيا قد خسرت معركة الشرق الاوسط لانها راهنت على الجواد الخاسر ! لكن الايام أثبتت ان وقاحة الصحافة الغربيـة المأجورة للصهيونية ، موسومة بالغفلة والتسرع ، والبهت وعدم تعمـق الأحداث ! فوق انها كشفت خبيئة النفوس التي تضمر الحقد الاسـود للاسلام والمسلمين ، حتى لو آلت الأماكن المقدسة الى قبضة أعـداء المسيحية والاسلام ... الى السفاحين ، قتلة السيد المسيح !

* * *

ولا بد لي من وقفة قصيرة هنا ، عنـد قضية تدخل قوات أجنبيـة أثناء المعركة !

لقد سجلت شاشة الرادار الاردني ، خلال الاسابيع القليلة السابقة للعدوان ، موجات متلاحقة من أسراب الطائرات النفاثة ، تجيء مـن البحر الابيض المتوسط لتحط في اسرائيل ... وكان تقديرنا ان اسرائيل تتزود بأسراب مقاتلة جديدة من فرنسا ، تحسبا لنذر المعركة القـادمة . وقد تأكد تقديرنا هذا فيما بعد ، فاسرائيل منذ طلبت مصر جلاء القوات الدولية ، أجمعت أمرها على الضربة المباغتة ، مستغلة تمزق الشمـل العربي لتحقيق مكاسب اقليمية ، خاصة في الضفة الغربية ، وقـد ثبت فيما بعد ان اسرائيل ، خلال تلك الفترة ، قـد حصلت على أسلحـة وذخائر كبيرة من الدول الغربية ، وان الطائرات التي سجلتها شاشـة الرادار الاردني هي في الواقع طائرات « ميراج » !

وفي صباح يوم ٥ ــ ٦ ــ ٦٧ ، سجلت الشاشة موجات متلاحقة من الطائرات ، وبكثرة هائلة ، تهبط في اسرائيل من جهة البحر ! والتبس الامر على المشاهدين ، فنقلوا ما سجلوه للقيادة العربية الموحدة ، التي ظنت ان تلك الموجات هي طائرات أجنبية اشتركت في المعركة ، لكن تبين فيما بعد ، بعد تكشف الخطة الاسرائيلية ، ان طائرات اسرائيل المقاتلة كانت تقوم الى أهدافها وتعود ، بعد انجاز مهمتها بضرب القواعد المصرية ، على ارتفاع منخفض على سطح البحر ، ثم عندما تقترب من الشواطىء الاسرائيلية ترتفع في الجو لتهبط في قواعدها ، بحيث يخيل لمن يرى شاشة الرادار انها قد برزت من جوف البحر ، قادمة من حاملة طائرات قريبة ، خاصة وانه قد عرف فيما بعد ، وساهمت روسيا نفسها في توكيده ، ان ليس في المياه القريبة حاملات طائرات أميركية أو بريطانية ... وأنا لست أعفي بريطانيا وأميركا ، بل ألمانيا وفرنسا ، ومعها دول المعسكر الشرقي ، من اغراق اسرائيل بالاسلحة الثقيلة والمقاتلات .. بل وبالمتطوعين .. لكن قبل المعركة لا أثناءها !

وما دامت قد ثبتت خيانة بعض قادة سلاح الجو المصري الذين حوكموا ويحاكمون .. وما دامت قد ثبتت خيانة بعض الجهات العربية التي لم تقاتل ولا تريد أن تقاتل ، كما قال الرئيس عبد الناصر .. فلماذا نلقي تبعة الهزيمة على الغير ؟!

وقد كنت شاهد المخابرة الهاتفية التي جرت بين الملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر ، في نحو الساعة الرابعة من صباح يوم ٦ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ ، والتي ذاع خبرها وشاع ، ولم تك القصة كلها الا خطأ تقدير من القيادة العربية الموحدة في عمان ، وخطأ تأويل أدى الى خطأ أفدح ، ولم يكن للرئيس عبد الناصر أو الملك حسين أي دور في

افتعال أي موقف أو اساءة التقدير والتأويل ! وبعد اعلان اشتراك القوات الاجنبية في المعركة تعذر التراجع ، وجرت الشبهة شبهات ، فأتسع الفتق على الراتق كما يقولون !

وفي صباح اليوم العاشر من حزيران ١٩٦٧ جاءني الفريق عبد المنعم رياض وفي يده بيان مكتوب ، يطلب مني اصداره بوصفي رئيس الوزراء ووزير الدفاع ، وهو يؤكد الاشاعة ويؤيدها ، فتوقفت ثم تأبيت ، لان الامر يتعلق بالقيادة الموحدة لا بوزارة الدفاع ، وقلت له : سنحتكم الى جلالة الملك الذي عاش الاحداث كلها ! ثم طوينا القصة بحذافيرها ، لان الصدق أجدى على كل حال ، خاصة وان ذيول المعركة كانت أمام مجلس الامن ، وتألثف الدول ، حتى تلك التي نعرف ضلوعها مع العدو ، في تلك اللحظات ، أجدر بنا من سورة بغضائها !

* * *

خرج الاردن من المعركة مهيض الجناح ، كسير القوادم . لقد فقدنا كل شيء ما عدا الامل ، وكفرنا بكل شيء ما عدا الشرف ! ومضينا نلعق جراحاتنا ، ونغسل الدماء بالدموع ، وعففنا عن القاء اللوم على مستحقيه . لقد غُرر بنا ، بأمتنا كلها ، بعقيدتنا كلها ، بكرامتنا كلها ، فانسقنا الى المذبح ، أعرف ما نكون بلؤم العدو وغدر الصديق ... ومع ذلك لم ننبس ببنت شفة ! لقد كان لنا مع العدو موعد خسرناه ، فلنطو صفحة ما فات ، ولننظر بثقة وايمان الى الامام .. فالايام دول.. والباطل جولة ، والكارثة تصبح فجيعة حين لا تتعظ بالذي صنعناه بأنفسنا ، أو صنع لنا على كره منا .. والمآسي عبر ، فمن هزته النكبات من أعمق أعماقه ، فقد وضع قدمه في الطريق السوي ، فلنبن اذن من جديد ، لا تهن لنا عزيمة ، ولا تفتر لنا همة ، ولا يخبو لنا رجاء . ان

مسنا ضر ، فقد مس الذين خلوا من قبلنا ، حتى اذا صليت النفوس بلواذع الحقد الآكل ، وعصفت بالارواح عواصف الالم المطهر ، وصاح بنا هاتف من وراء الغيب : ان حي على الجهاد يا أمة محمد ، فسنبدل عاليها سافلها ، ونجعلها كالعهن المنفوش ، والعصف المأكول !

وان أنس لا أنس لحظة دخل علي مكتبي ، سفير باكستان في عمان ، صباح اليوم السابع من حزيران ، وصرخ بدموعه في وجهي : لقد ذل اليوم شرف الاسلام ، ولا كنا ان لم نغسل الذل ، ونمحو العار ! يا لها من ذكريات باكية ، ويا له من حلم مزعج وكابوس مخيف ! ولا نامت أعين الجبناء !

خرج الاردن من المعركة كسيرا حسيرا ، لا يلوي على شيء ، وخرجت عمان ... عمان العروس المجلوة ، تلطم خدودها ، وتشق ثيابها ، وتواري أحبابها ... وفي قلبها الجريح ، تحفر لهم القبور الحبيبة !

وكان همي ، وصحبي ، منذ اللحظات الاولى ، أن نصمد في وجه الكارثة ، فوصلنا كلال الليل بكلال النهار ، نستقبل في الصباح عشرات الالوف من الوافدين ، نعد لهم المأوى والمآكل ، ونجتمع في المساء لنصون اقتصادنا ، ونحفظ قيمة نقدنا ، ونعيد الثقة الى نفوس مواطنينا ، ونوفر للبلد المنكوب الامن والاستقرار .. واستأنفنا مسيرتنا ، في صدورنا جراح البطولات ، وفي قلوبنا مضاء العزيمة مع مرارة الفجيعة ، ولم نكد نستقر على حال ، حتى تلفتنا الى أخوة لنا وأهل ، افترسهم العدو في الضفة الجريح ، نشد من أزرهم ، ونمدهم بما تيسر لنا من عون ، ونرسل مع العون أرواحنا ، لتعيش معهم أتراحهم .. كنا كمن

فقد قطعة من كبده ، كمن فارق أخاه ... فالضفتان توأمان تتنفسان برئة واحدة ، فاذا انفصلتا ضاعت كلتاهما ، والتآمهما رباط مقدس ، أكثر مما هو وحدة سياسية . وكان شعارنا ، ونحن نزجي الرجاء الى الصابرين الصامدين ، أن لا تهنوا ولا تحزنوا ، فالفرقة لن تطول ، والعهد لن يحول !

ومضينا على طيتنا ، لنا من رحمة ربنا عون مسعد ، نضع في كل قولة من أقوالنا وكل عمل من أعمالنا نسمة من أرواحنا ، فما التوى علينا قصد ، ولا اعتاص علينا طريق ، ولا اختل معنا ميزان .. وحملنا الامانة التي تضيق بها السموات والارضون ، واستطعنا أن نخرج بأشلاء وطننا الحزين ، أقوى ما نكون عزيمة ، وأشد ما نكون شكيمة ، حتى استقام لنا ، بحمد الله ، ما أملنا ، بفضل وعي مواطنينا واخلاص قيادتنا ، ووقف الاردن على قدميه ، قد انتظم جيشه واعتدل اقتصاده ، وعاد له استقراره ، ليستأنف مع شقيقاته طريق الآلام الطويل !

لقد كانت تجربتنا محكا لرجولتنا ، أرسينا قواعد أخلاقية للحكم في هذا البلد ، وأسلمنا الامانة الى صاحبها ونفوسنا مطمئنة بما أدينا من واجب وما حققنا من خير . أما قالة السوء ، وهوان الخصومة ، وغثاثة الخصوم ، فقد جعلناها دبر آذاننا ووراء ظهورنا ، بل تحت أقدامنا ، وشعارنا : قل اعملوا فسيرى الله أعمالكم ورسوله والمؤمنون . فالصغار لا تعرفه الا النفوس الصغيرة ، والمكر السيء لا يحيق الا بأهله !

وليت اقتتال الخصوم السياسيين ، أن يكون على التسابق في الخير ، والتباري في الايثار ، والغيرة على مجد الوطن ومصلحة

المواطنين ... لكن الواقع ان ماء الوجه الذي يراق ، والكرامة التـــي تهدر ، والخلق الذي يهون ، والتـــزلف النازل على حساب رجولـــة الرجولة ، والمزايدات الوطنية الزائفة ، وملء الجيوب ، وادناء المحاسيب، ووضع الرجل غير المناسب في المركز غير المناسب ... هي الطابـــع الغالب الا من رحم الله ، وكأي من مخلوق لا يصلح أكثر من أجير في طاحون أو « قواص » في سفارة أو ندل في مقهى ، ثم تصبح من الغداة لتراه في أرفع المناصب وأخطر المسؤوليات ..

ورب قوم ، كل ذنبك عندهم انك شريف وانهم أنذال ! انك نظيف وهم ملوثون ! انك مبرأ من الدنس وهم في الوحل غارقون !!

وليت شعري ، أبمثل هذا الطراز الغث من الناس ، نريد أن نجابـه « اشكول » و « بن غوريون » و « موشـــى دايان » و « اسحـق رابيـن » ؟!..

- ١٥ -

أعترف للقارىء ، مرة أخرى ، انني قد وضعت نصب عيني في هذه الخواطر ، قول الحقيقة الكاملة .. ولم أكد أمضي قدما حتى اثالت علي شجون الذكريات وشوارد الافكار ، من كل حدب وصوب ، لا أدري ما آخذ منها وما أدع ، ولعلي لا أعدو الصدق حين أقرر ان حصيلة ما كتبت في الصحائف الماضية ، تصلح وثيقة اتهام ، تجاور فيها « البينة » العبرة ، وتزامل فيها « الحيثية » الدلالة !

ولو قام للقضية الفلسطينية محام يدفع عنها بكلمة حق لا يأتيها باطل ، لوجد قفص الاتهام مكتظا بمن أجرموا ، ومن خانوا ، ومن غدروا ، ومن تهاونوا !

فقد تعاقدت وتعاهدت دول الاستعمار القديم ، مع الصهيونية العالمية ، والشيوعية الدولية ، على شن هجوم مركز ، وحرب صليبية ، من خلال قيام اسرائيل ، على التراث الاسلامي والحضارة العربية ، وعملت هذه القوى مجتمعة ، منذ بداية هذا القرن ، على تمزيق العالم العربي ، باقامة كيانات مفتعلة هزيلة ، معزولة عن بعضها باختلاف الانظمة ، وأنانية القادة ، وغلبة الافك ... ومشغولة عن الصهيونية وأهدافها المدمرة المخيفة بصراعات اقليمية ، وخلافات حزبية ، وتنظيمات شعبية ، تتلهى بالشعارات المستوردة عن معركتها المصيرية ، لان قادة

تلك التنظيمات والاحزاب قد اصطنعتهم ، على الغالب ، القوى الخارجية ، من الاقليات الشعوبية الذين لا تهمهم القضايا القومية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، بقدر ما تهمهم مصالحهم الخاصة المنتمية الى الخارج .. وانخرط الشباب الفلسطيني في تلك الحركات لينفسوا عن مشاعرهم القومية الحبيسة ، واستغلت جهات عربية فورة حماس أولئك الشباب ، وما يعيشون فيه من فراغ وضياع ، لتحقيق مصالح خاصة ومكاسب سياسية ومطامع شخصية ، حتى أصبحت القضية الفلسطينبة سلعة للمزايدات والمساومات والاستغلال ، فتميعت وتجمدت ، حتى آلت بندا متحجرا في دستور كل حزب وكل هيئة وكل بلد !

ولقد كانت تلك الحركات وتلك الطاقات ، معدولا بها عن وجهتها الحقة ، لان القوى العالمية التي خلقت اسرائيل ، أرادت لنا هذه البلبلة ، لتستطيع ربيبتها وصنيعتها أن تنمو وتزيد ، وتمكن لنفسها في الأرض ، حتى اذا صحونا من مفعول « الافيون » الذي تجرعناه ، على كرهنا ، سنين طوالا ، أفقنا على هول الفاجعة ، وذل الكارثة ، ندفع عن أنفسنا عارها ، بالتملص من الذنب بما هو أوقح من الذنب ، والتستر من الاثم بما هو أقبح من الاثم ... وحجتنا السخيفة اننا غامرنا ، غير مهيأين وغير منظمين ، بل غير جادين ، ولماذا نغامر بشرف أمتنا وكرامة عقيدتنا اذن ؟ وماذا كنا نصنع تسعة عشر عاما أو تزيد ؟!

مليونا مشرد ، في بقعة صغيرة تدرك مداها العين المجردة ، لكن وراء ذلك تنظيما سليما وجبهة موحدة وشعورا غامرا بالمسؤولية ... ازاء دنيا شاسعة ، وأموال طائلة ، وثروات هائلة ، وامكانيات كثيفة لا زيادة عليها لمستزيد ، لكن في مناخ محموم من المهاترات والنقائص والدسائس ، والتشيع لهذا الفريق أو ذاك ، ممن هم وراء العدو ، أولئك

الذين جرعونا مبادئهم وعقائدهم ، وقطعوا ما بيننا وبين تراثنا ، حتى لقد بلغ الاستخفاف ببعضنا أن يعيروك بانتمائك الى محمد ، وعمر ، وصلاح الدين ، بقدر ما يعتزون بانتمائهم الى « جونسون » و « كوسيغين » و « ماوتسي تونغ » !!

والصهيونية ، برغم استغلالها القوى المتصارعة في العالم لتحقيق أهدافها وتنفيذ مخططاتها ، ما هي الا قوة ضئيلة قميئة وسط عالم عربي زاخر ، وليس فيما صنعته اسرائيل اعجاز خارق للقاعدة ، بل هي كانت كذلك من جراء الخور والضعف ، والتفكك الذي فت في عضد الامة العربية ، وأطاح بالمنجزات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حققتها شعوبنا ، منذ تحررت من بقايا جيوب الاستعمار ، بحيث اختلت الاهداف القومية ، ونزفت الطاقات العربية في غير زمانها ومكانها !

وما لم تحدد الامة ـ أية أمة ـ أهدافسياستها الوطنية واتجاهاتها القومية ، وتضع جميع امكاناتها في خدمة تلك الاتجاهات ، فلا خيار في أن تظل غريقة خدر الماضي ، وضلال الحاضر ، وضباب المستقبل !

وازاء هذه الفوضى كانت الصهيونية تسرع الى أهدافها السياسية الاساسية ، التي رسمت لها في المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ ، قفزة وراء قفزة ، وقد ضربت صفحا بكل ما عداها ، فهي عندها دستور ، وعقيدة ، وايمان !

ومن غريب المصادفات ان اسرائيل ، منذ ذلك المؤتمر ، كانت تحقق كسبا هائلا في كل عقد من العقود التي مرت حتى الآن .

ففي سنة ١٨٩٧ وضع المؤتمر الصهيوني الاول دستور الصهيونية العالمية !

وفي سنة ١٩٠٧ استطاعت الصهيونية أن تقنع أوروبا أن لا شيء يحمي الحضارة الغربية من الانهيار ، الا اذا كانت دول الشرق الاوسط مفككة مجزأة ضعيفة ، وان الضرورة تقضي بزرع قاعدة غربية في قلب تلك المنطقة .

وفي سنة ١٩١٧ صدر الوعد المشؤوم .

وفي سنة ١٩٢٧ أثارت الصهيونية قضية « عربستان » لتمزق شمل العالم الاسلامي ، وتفسد العلاقات بين العرب وايران !

وفي سنة ١٩٣٧ حملت الصهيونية فرنسا على اقطاع لواء « اسكندرون » لتركيا ، لتفسد العلاقات بين العرب والاتراك !

وفي سنة ١٩٤٧ أقرت المنظمة الدولية تقسيم فلسطين !

وفي سنة ١٩٥٧ انطلقت التجارة الاسرائيلية عبر مضائق العقبة الى آسيا وافريقيا ، نتيجة لمعركة السويس !

وفي سنة ١٩٦٧ وقعت الطامة الكبرى !

* * *

لقد كانت كارثة ١٩٤٨ حصيلة واقع الدول العربية آنذاك . ولم تكد تمضي سنوات حتى قفز الى الحكم في بعض الدول العربية ، التي استشرت فيها الخيانة وعم الفساد ، طوائف وراء طوائف من العسكريين ، الذين ألصقوا عار النكبة بأنظمة الحكم المدنية المنهارة ! ونشطت على صعيد هذه الانقلابات حركة التجمعات الحزبية ، والتنظيمات الشعبية ، مستغلة جو البلبلة والفوضى والاضطراب الذي ساد المجتمعات العربية ،

من جراء اختلاط القيم والمفاهيم ، مستغنية عن جهد دراسة الواقع العربي واحياء أصول الحضارة الاسلامية ، بالانتماء الى مبادىء وعقائد مستوردة ، تغذيها الصهيونية ، وتتسلل من خلالها الى افساد المجتمع العربي وتمزيق وحدة صفه !

وقد رأينا في الفصول السابقة ان مخطط الصهيونية يتلاقى مع الاهداف الغربية والشرقية على السواء ، فقد بدأت الحركة الصهيونية كحركة سياسية ، مقنعة بالدين ، ونجحت منذ البداية في اقناع الاستعمار ، بكافة أشكاله ، انها الحليف المضمون ، فتمت عملية مقايضة بشعة منافية لكل خلق وشرف ، يعطي الاستعمار ما لا يملك لمن لا يستحقه ، ويضمن بقاء هذا « السرطان » في قلب العالمين العربي والاسلامي ، حتى اذا تم الاغتصاب والغزو ، أصبحت الدولة العميلة ركيزة وقلعة تحمي المصالح الغربية ، وتكون في الوقت ذاته ذريعة التغلغل الشيوعي !!

لم تكن الصهيونية حركة سياسية مجردة ، بل كانت كذلك حركة عنصرية مغلقة ، اقتبست كل مساوىء ومخلفات « النازية » وحملت شعار « شعب الله المختار » تبريرا للتعصب والاضطهاد والتنكيل ، واخلاء المنطقة من سكانها الاصليين ، بالطرد والابادة !

ان قضيتنا ، ليس كمثلها قضية في منطقها وعدالتها ، لكن غطى عليها الجهل والغرض ، وتعاورتها المهاترات الحزبية والنزوات العقائدية التي تضع مبادئها السياسية ونظرياتها الاقتصادية في منأى عن الجدل العلمي والنقاش الحر ، وتضع من يخالفها موضع الاتهام والتجريح والخيانة ــ ضربة لازب ــ فاحتدم الصراع بين الدول الشقيقة بعضها ببعض ، وبين المثقفين والسلطة السياسية ، وبهذا انهارت الكيانات من

الداخل وانقسم العالم العربي الى محاور ومعسكرات مشغولة بمساوئها عن العدو ، ونوايا العدو العنصرية التوسعية العدوانية ، فاختلت موازين العمل السياسي ، والتوى أسلوبه ، حتى أصبح تملق الجماهير واشراكها في التخطيط ، ومناقشة الاسرار السياسية والخطط العسكرية ، في الميادين العامة ، وفي المقاهي والازقة ، فوضى عارمة لا ضابط لها ولا رادع لنزواتها !

انني أومن بضرورة اجراء تحولات وتغيرات اقتصادية واجتماعية جذرية في العالم العربي ، لكن ذلك يجب أن يخضع للتطور الطبيعي ، مهما طال أوانه ، وللنظام والانضباط ، وفي اطار أصولنا الحضارية النابعة من واقعنا ومقوماتنا ، النفسية والفكرية والروحية ، بحيث تغدو عدالة التوزيع وتكافؤ الفرص والمساواة الصحيحة في الحقوق والواجبات ، حقائق واقعة ، لا شعارا مرتجلا مفتعلا مجلوبا ، ولا ارهابا فكريا ، ولا وسيلة حكم بوليسي أهوج ... وليس المهم ما يكتب في الدستور والميثاق ، ويعلن في الحفلات العامة ، بل المهم كيفية التطبيق ، بالايثار والمحبة مع مخافة الله ورقابة الضمير !!

لقد أثبتت بعض التجارب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، في بعض الاقطار العربية ، فشلا ذريعا في مدلولها ومفهومها وتطبيقها، لكن هذا الفشل ، مع الاسف ، كان الى يوم قريب الصنم المعبود لدى الجماهير الغبية ، بسبب تضليل « بطانات » السوء ، وكان كل معارض له عن فهم وتعقل ، مظنة تشهير وتجريح !

انني وأيم الحق ، عاجز عن الاعراب عما يخالجني من أسى ومرارة وحزن ، حين أجد كاتب الاشتراكية المصرية الاستاذ محمد حسنين

هيكل ، ينقض بمقالاته بعد النكبة ، ما غزله قبلها ، وألبسه صفة الحتمية المطلقة ، لا تقبل جدلا ولا تخضع لنقاش ! مع انني لا أنكر ان التجربة المصرية هي تجربة حية موحية ، أملتها ظروف البيئة المصرية التي لا يصح مقارنتها بالبيئات والمجتمعات العربية الاخرى ، كما وان الزعامة المصرية هي زعامة مليئة بالخير والصدق ، ومقومات القيـــادة الاصيلة ، غير انه فساد البطانة ، واضطغانها على تراثنا الروحي ، وسوء استغلالها لمراكـز القوة التي تسنمتها بالارهاب الفكري ، وايهامها بأن ما تقوله وتفعله هو القدر الحاسم الذي يهدم كل شيء ويجرف كل شيء ، والويل لمن يقف في طريقه ، ثم شراؤها حثالات كل مجتمع عربي وكل بلد عربي ، ليسيروا وراءها في مواكب الهتافـة ... مواكب العمـــالة الرخيصة ، يرفعون شعارات لا يفهمـــون مدلولاتها ، ويسهمـــون بغباء وجهل في عملية التخريب والتآمر !

هذه ومثيلاتها هي التي أدت بالتالي الى اتقاد المعارك الجانبيـــة ، التي شغلت الامة العربية عن اسرائيل وأطماع اسرائيل !

والى القارىء فقرتان من مقالين للاستاذ « هيكل » بعد كارثـــة الخامس من حزيران .

يقـــول :

« اننا لا نستطيع بصراحة أن نذيب صراعنا مع الاستعمار واسرائيل في الخضم الواسع للتنـــاقض السوفييتي ـ الاميركي .. ذلك يحرف قضايانا في محيط لا سيطرة لنا عليه ، ولا قدرة لنا على توجيه مصيرنـا المستقل وسط أمواجه العاتية » !

ويقول في مقـــاله الاسبوعي بعدد « الاهرام » الصـادر فـي ٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٨ :

« لقد أثبتت التجربة ان تأثير مصر بلغ أشده حين كانت تفعل داخل حدودها ، وتشد اليها بالنموذج اهتمام الكثيرين خارج الحدود ، وحين حاولت مصر أن تشد الاهتمام اليها تعجلا للتطور ، فان مصر افتعلت ، أي ان مصر أثرت حين لم تكن تقصد التأثير مباشرة ، وحين قصدت الى التأثير مباشرة فانها لم تؤثر ، وقيمة الحركة التقدمية في مصر انها تساير التاريخ ، وتدفعه أحيانا .. لكن دفع حركة التاريخ بأسرع مما يجب يؤدي الى التعثر .. ذلك ان التاريخ لا يتحرك بشكل الحوادث على السطح ، ودفع الحوادث الى السطح بأسرع من تفاعل بقية العوامل الاقتصادية والاجتماعية المشاركة في صنع التاريخ يؤدي الى التعثر ، وربما السقوط ، من اختلال الانسجام بين ما يموج على السطح ، وما يتفاعل في الاعماق ! أي ان مصر أمام حكومات مستقلة في العالم العربي ، ومن المحتم عليها أن تتفاعل معها كحكومات مستقلة ، ثم ان حركة التاريخ لا يمكن دفعها فوق عوامل التطور الطبيعي ، وان كان هناك جهد كبير يمكن القيام به لمساعدة هذه العوامل في تطورها الطبيعي » .

ويمضي الكاتب في تفسير التناقض الذي كان يقع بين مصر الثورة ومصر الدولة ، ويقول بالحرف :

« فاذا انحرف التفكير في سبيل حل هذا التناقض ، كما جرى في الماضي ، الى ترك أجهزة العمل الخفي ، كالمخابرات مثلا ، تحاول القيام بدور المحرك الثوري ، فان ذلك ينزل بالعمل القومي من مستوى الثورة الى مستوى التآمر ! » .

لقد صدق هيكل ، لكن ايمانه بالتطور وفساد أجهزة العمل الخفي جاء بعد « خراب البصرة » . لقد كانت تلك الاجهزة التي تكشفت

خياناتها فيما بعد ، مع من اصطفتهم من حثالات المجتمعات العربية الاخرى ونفاياتها ، وهي التي لم تستطع اصطناع عملائها من غير هذا المستوى الساقط في موازين الرجولة والاخلاق ! كانت تنزل بالعمل القومي من مستوى الثورة الى مستوى التآمر .. وأزيد فأقول : الى مستوى الاجرام وسفك الدماء ! وكان جهد تلك المجتمعات مصروفا كله لمواجهة تلك المؤامرات والجرائم ، بدل أن يكون مكرسا لمواجهة الخطر الاسرائيلي والاستعداد له ، فوق ما كان لذلك التآمر من يد طولى في تمزيق الشمل العربي ، وايقاد نار الفتن بين الاخ وأخيه والشقيق وشقيقه ، هذا في الوقت الذي كان العقلاء والنخبة والذروة في المعرفة والاخلاق ، في كل مجتمع عربي ، يتطلعون بحرارة وشوق ومحبة الى مصر الشقيقة الكبرى ، التي هي في الحق مركز الثقل الحقيقي في كل معركة مصيرية ... ويريدونها قدوة ومثلا لا وكرا للمخابرات والحثالات، خاصة وان الله قد قيض لها زعيما فذا ميزته الاقدار بمقومات وظروف مواتية قل أن تهيأت لغيره من قبل .

لقد طالما ضاع صوت الحق في غمار الجعجعة وهدير الجدل بالايهام والمغالاة ، حتى أصبحت الوطنية صفة التطرف واللامبالاة ، وأضحت الخيانة صفة التعقل والصدق والاخلاص ، وكان لمغالاتنا السلبية انعكاسات مؤسفة في المجتمع الدولي ، فنحن نرفض كل شيء دون توقف ، دون روية ، ولا يمضي زمن قصير حتى نندم على ما رفضناه ، ويصبح مطلبنا القومي الجديد !

الكتاب البريطاني الابيض سنة ١٩٣٩ خير من قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ .

وقرار التقسيم خير من حرب ١٩٤٨ .

وقرار الدول اللاتينية الذي رفضه العرب في شهر آب سنة ١٩٦٧ أفضل من القرار البريطاني الذي قبلته الدول العربية فيما بعد .

وبعد أن كان هدفنا القومي استرجاع الوطن السليب واعادة الحق المسروق ، أصبح مطلبنا الوطني ازالة آثار العدوان .. والدول الاجنبية ، حتى الصديقة التي تناضل معنا لقضايانا ، لا تستطيع للان أن تعلم ماذا نريد ! في كل يوم لنا خطة واستراتيجية وهدف ... وفي كل حدث لنا حديث ! ودأبنا أن نقرن الغفلة بالارتجال ، والجهل بالافتعال ، وليس في الدنيا ضياع أشأم من هذا الضياع ! والعدو ازاء هذا الواقع المحزن ، مدة تسعة عشر عاما طوالا ، يمشي وئيدا حينا ، حثيثا حينا ، حسب الظروف ، في تنفيذ مخططاته التي لم تتغير ولم تتبدل منذ سبعين سنة ! هو يتحين الفرص ، ونحن نمهد له الفرص ... هو يرقب المبرر ، ونحن نقدم له المبرر ... هو يواجهنا بالتجمع والاقتحام ، ونحن نواجهه بالتبعثر والانهزام ! ولو صدق العرب النية ، وأخلصوا العمل عشر سنين ... فقط عشر سنين ، لما كان هناك مأساة ، ولما كانت هناك اسرائيل !

* * *

ان الهزيمة التي منيت بها الامة العربية ، ليست معجزة سماوية تستعصى على التفسير . لو حدث العكس ، والحال هي الحال ، لكان ذلك مخالفا لنواميس الطبيعة ومنطق الاحداث ، فليس من عجب أن ينتصر العلم على الجهل ، والتخطيط على الفوضى ، والقلوب المؤمنة بقضيتها على القلوب الخواء .. لقد هزم العرب أخلاقيا قبل أن يهزموا عسكريا .

لقد عاشت المجتمعات العربية ، عقدين من الزمن ، فى ظل استبداد

سياسي وارهاب فكري وحكم بوليسي ، فتعطل الفكر العربي ، ونام الضمير العربي ، وغلبت « اللاابالية » على الشعور بالمسؤولية ، ورانت على أبصار الناس غشاوة من الخوف والرعب ، محوكة من نسيج الذل والظلم وتأليه الحاكمين !

قالوا باطلا ، وجلوا صارما ، وقالوا صدقنا ؟ فقلنا نعم !!

ولقد ظننا ان النكبة سترد الامة الى ذاتيتها ... الى تراثها ! الى مقوماتها الروحية ! وان مواجهة النفس بالحقيقة ، مهما كانت مرة ، هو أول الطريق ، وان واجب العقلاء والمفكرين ، قبل القادة والسياسيين ، أن يهبوا ليرسموا اطارا واضح المعالم ، لمجتمع عربي سليم ، ويبعثوا الصورة الحية للانسان العربي المسلح بالعلم والخلق والايمان ! لكن الظن خاب ، وتوشك عبرة الهزيمة أن تكون مثار نقع جديد يبعث الفتنة النائمة ، ويورث الخصومات بين القادة العرب ، ويجدد المحاور بين الدول الشقيقة ، ويغرقنا في دوامة المهاترات والمزايدات والمساومات ، ويشغلنا بالمعارك الجانبية عن معركة المصير ... عن العدو الرابض في قدس أقداسنا ينذر بالويل والثبور !

أرجو أن يعلم القارىء انني حين أتهم من يسمون أنفسهم ثوريين بالعقم والافلاس والتقصير ، وهم من هم جعجعة ولا طحن ... فان اتهامي من يسمونهم المحافظين أوجع وأمض ، اذ ان لاولئك ــ ولو في الظاهر ــ على الاقل ، مذهبا ومسلكا وعقيدة ينافحون عنها بدأب وجسارة ، أما الآخرون فهم يكتفون برفع شعار التراث ، وهم في تخلفهم العلمي والحضاري والسلوكي ، يضعون التراث بين جهل أبنائه وعجز علمائه ، ويطمسون جوهر العقيدة السمحة ، حتى أصبحت غريبة في وطنها وأهلها !

واذا كانت تجربة الفكر اليساري قد فشلت في شعوب مسلمة يحميها دينها من الفساد والالحاد ، فان تجربة الانظمة التائهة في غياهب الجاهلية الاولى ، أولى بالفشل وأدنى الى الضياع .

ولا بد ، لمواجهة المد الصهيوني الشيوعي الاستعماري ، من العودة الى أصولنا الحضارية ، في أصالتها ونضارتها ، تنفض عنها ما انقض عليها من عوادي الزمن وركام القرون ، ونبني الانسان العربي والمجتمع العربي والنظام العربي ، الذي يستمد قوته ونماءه ، ويلبي تطلعاتنا واهتماماتنا وتساؤلاتنا ، ويعيدنا الى ذواتنا بعد طول ضياع .. من بيئتنا ، من تراثنا ، من أصولنا الحضارية !

ولا بد لتحقيق ذلك من تنادي مفكري الاسلام في كافة أقطارهم وأمصارهم ، لا دعوة سياسية مشوبة بمظنة التحالف والاحلاف ، بل دعوة فكرية مذهبية ، خالصة لوجه الله . وأقصد بالمفكرين ... المفكرون الحقيقيون الذين تشبعوا بذخائر تراثهم ، وتفاعلوا تفاعلا عضويا مباشرا مع الحضارات الاخرى ، ليضعوا دستورا اسلاميا واحدا منبثقا من شريعتنا المعطاء ، من روائع تراثنا الروحي الاخاذة ، ومبنيا على أسس حضارية توائم وتلائم التطور التاريخي وروح العصر ، يصبح دستورا موحدا لعالم اسلامي موحد ، في منأى عن المتاهات الفكرية العقائدية الملحدة ، التي تفصم عرى المرء بربه ، بتاريخه ، وتتركه عاريا يركض في ضياعه الى هاوية الدمار الازلي ... وتعفيه من وازع الضمير ولجام الروح ، فيغدو كالدابة همها علفها ونزواتها ! كل ذلك في اطار من التسامح والتقارب والتآخي مع الدين المسيحي ، لانقاذ الانسانية من نوازع الهمجية والالحاد !

وهناك تجربة حية حاضرة ، تصلح أساسا لما أسلفت ، هي التجربة

الباكستانية التي تجهد في وضع أسس نظام اسلامي متكامل ، يجددون به معالم دينهم الالهي ، ويعيدون له دفعه الحضاري !

ان الرجوع الى أصولنا الحضارية الصحيحة ، كفيل بأن يغني واقعنا المشتت المفتت الملتاث ، بالمعالجات الشافية لنقائص المجتمعات ونقائضها وتخلخلها وانهيارها ، وبذلك وحده نستطيع اذابة الفوارق الطبقية والطائفية ، وتحقيق العدالة والحرية والمساواة ، التي أمرت بها شريعتنا قبل أن تعرفها أوروبا بأحد عشر قرنا ... ونقيم المجتمع السليم ، المبرأ من دنس الاحقاد ، ولعنة الالحاد ، وسفك الدماء !

ان في الناس – كما يقول المثل – من يحبون أبناء الصين لانهم لا يستطيعون حب أبناء وطنهم ..

فقد انفلتنا ، قبل أن نغسل جراحنا ونطوي آلامنا ، نتطوح بأقدار أمتنا ومصير وطننا ، بين هذا وذاك ممن لا يساوون ذرة واحدة من تراب الوطن المستخذي تحت أقدام اليهود ! ومضينا نقيم المؤتمرات ، ونحرك « المسيرات » ، ونسير المظاهرات ، نهتف : عربستان واسكندرون ! والعدو الاول والاخطر جاثم فوق صدورنا يملأ علينا مشارف الافق !

وعادت « اسطوانة » تمزيق الشمل العربي الموحد ، وشل العمل المشترك ، تدور من جديد ... ننسى العدو الذي يخنق أنفاسنا ويدمر مصيرنا ويذل كرامتنا ، ونمضي نوزع الشتائم ذات اليمين وذات الشمال ، وفي كل اتجاه ما عدا اسرائيل !

والآن .. من أين ؟.. والى أين ؟

أستطيع أن أزعم هنا ، مخلى من كل ارتباط سياسي أو عقائدي

ومن كل انتماء حزبي ، الا انتمائي لعروبتي وديني وقضيتي المقدسة في فلسطين ، ان سبب فشل التنظيمات الشعبية والحزبية في العالم العربي ، هو رفعها شعارات الوحدة والاشتراكية ، قبل شعار التحرير .

فلقد بان واتضح ان أي شعار ، مهما خطف بريقه الانظار ، لا قيمة له ولا مدلول ولا مفهوم ولا بقاء ، ما دامت الصهيونية النازية العنصرية الاستعمارية تربض في قلب أمتي وقلب وطني !! وما دامت قضية الوطن المغتصب والأهل المشردين عاجزة عن استثارة الضمير العالمي ، ليجد الحل الانساني الاخلاقي المبني على مبادىء الشرف والعدالة ... وما دام قد ثبت بالدليل الحسي القاطع المانع انه لا يمكن التعايش مع اسرائيل طالما انها تأبى التخلي نهائيا عن مخططات الصهيونية ، وأهدافها العنصرية ، وأحلامها التوسعية . ولذا يغدو رفع أي شعار قبل شعار التحرير جزءا من خطة التآمر على مستقبل الامة العربية ، بتوجيه جهودها الوجهة المفتعلة ، وعزلها عن قضيتها المصيرية !

وأستطيع أن أزعم بصراحة واخلاص وتجرد ، ان الاقليات العرقية والشعوبية والعنصرية والطائفية ، التي حملت المبادىء المستوردة الى المنطقة ، انما فعلت ذلك لاحساسها الخاطىء بأن الاسلام ينظر اليها نظرة طبقية ، فالتجأت الى مفاهيم القومية والتقدمية والثورية ، آملة أن ترفعها شعاراتها الى المراكز القيادية ، وقد تحقق ذلك الى مدى بعيد في التجربة السورية ، اذ استغنى بعض المسؤولين فيها ، بعد تسنمهم سدة الحكم ، عن مبادىء الصراع الطبقي — وليس المجتمع السوري مجتمعا طبقيا — بمبادىء الصراع القبلي والطائفي ! وأخذنا نسمع في الآونة الاخيرة نغمة مشبوهة بغيضة تغذيها وتشجعها الصهيونية ومن وراءها ، ترمي الى اقامة كيانات هزيلة على أسس طائفية حول اسرائيل ، تحمل معها

خميرة تفككها وانحلالها ، الغرض من ورائها تصفية القضية الفلسطينية وتحقيق حلم الدولة الصهيونية الكبرى ، وطعن الامة العربية بمزيد من البعثرة والشتات يقضي على حضارتها الروحية وتراثها الخالد !

أما الكتل الحزبية الآخذة بمفهوم القومية ، وفق الاسلوب الاوروبي الذي ساد في القرن التاسع عشر وما قبله ، والذي يفصل الدين عن الدولة ، فقد فشلت في تطبيقاتها وتنظيماتها ، ذلك ان الدين المسيحي هو في أساسه دين أخلاقي ، لا سياسي تنظيمي ، اذ جاء والامبراطورية الرومانية في عنفوانها ، فلم يعن بالمشاكل الحياتية ، بل اقتصر على القيم الخلقية لاصلاح مجتمع فاسد . أما الدين الاسلامي فقد ولد في بيئة بدوية رجعية متخلفة ، ليست فاسدة خلقيا فحسب ، بل تستدعي تقويم أوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ووضع الحلول العاجلة الكفيلة ببناء مجتمع متكامل متكافل ، ذي أنظمة وأجهزة وتشكيلات اقتصادية وسياسية . ولذا عني الاسلام بمتطلبات الحياة الدنيوية والمعاملات الى جانب عنايته بالطقوس والاخلاق والعادات ، فانصهرت القومية في صلب الدين ، وأصبحت الفكرتان أقنومين لمسمى واحد !

وقد اتجهت نشاطات تلك الكتل والاحزاب ، من خلال اقتباساتها الشيوعية ، التي تتجاهل الماركسية الاصيلة ، وتتطوح بين الروسية والصينية ، بمدارسها المختلفة ، حتى « العدمية » ، وهي كلها خوارج على صلب الماركسية ، واجهاض لمبادئها ... أقول : اتجهت تلك الكتل والاحزاب الى ان علاقة القومية بالدين هي علاقة واهنة واهية ، أو انها تقف منه على طرفي نقيض . وبذا وقعت الجفوة بين المفهومين حتى تحولت مع الايام الى عداء ، وأصبح المفهوم الاول للفكر اليساري

العربي التخلي ، بل التنكر للحضارة الاسلامية ومبادئها الروحيـة •• وهذا خطأ فادح ، هو في أحسن أحواله تبعية جاهـلة ، وهو سبب جوهري من أسباب فشل معظم الحركات القومية المسماة بالثـورية •• وهي لو استمدت عقائدها من ظروفها المحلية ، ومقومات أمتها النفسيـة والاجتماعية ، ومن الجذور الروحية للحضارة الاسلامية ، لما تخبطت في الفوضى والفراغ ، ولما استسهلت التطوح من مبدأ الى آخر بسهـولة ويسر ، دون أن تدري نهاية المطاف !

يبقى وراء ذلك كله ، ان الخطأ الاساسي في كل الحركات الحزبية والتنظيمات الشعبية ، رفعها شعار الوحدة والاشتراكية والثورية قبـل شعار العودة والتحرير •

يقول الاستاذ « هيكل » في مقاله الاسبوعي بتـاريخ ٩ ـ ٢ ـ ١٩٦٨ : « هل تترك أمل الوحدة ـ كما هو الآن في الواقع مهما أنكرنا ـ معلقا بمزاج ضابط مجهول ، يقوم في الليل بمغامرة انقلاب ، فاذا هـو في الصباح حاكم ، واذا هو في المساء على مائدة مفاوضات ، يوقـع اتفاقا بالوحدة ••• لقد ثبت ان مثل هذا التصور لتحقيق الوحـدة ، يصل في النهاية بأن نلقي أمل الوحدة في دوامات عنيفة وخطيرة ، ثم هي بلا جدوى ! ذلك لان الذي يعرض رأسه لمغامرة الانقلاب في الليـل ، ثم يجد نفسه حاكما في الصباح ، سوف تشده مغريات السلطة ، وسوف يحاول أن يجعل منها أساسا لدولته هو ، وليس لدولة الوحدة ، وهذا أمر انساني وطبيعي ، بصرف النظر عن كل العبارات الواردة في البلاغ رقم ١ ، الذي يكون في الغالب معدا قبل نجاح مغامرة الانقلاب » •

وأزيد على ما قاله « هيكل » بأن الفوضى التي أشار اليها فـي سياق كلمته قد خلقت أزمة ثقة ••• بل أزمة أخلاق ••• ضاعت الثقة

نهائيا بين الحاكم والمحكوم ... انتفى الامن وفقدت الطمأنينة ، وافتقد الجندي في المعركة ... في الجبهة ، الايمان الجارف الذي يشده الـى أرضه ... الى تراثه ، فيصمد في مكانه مهما كانت التضحية . وتحول الايمان عند المحكومين الى الشك في كل قيمة ، حين تحولت مبادىء الاخـــلاق عند الحاكمين الى انتهازية ، واثرة ، وارهاب ، وركض وراء الثروة والجاه ، والقفز الى السلطة بمدرعة وكتيبة ، تحتل مبنى الاذاعة وتذيع منه بلاغها رقم ١ !!

- ١٦ -

تساءلت في الفصول السابقة : من آين ؟ والى آين ؟

وقد حاولت بما بسطته من خواطر وآراء ، وما عرضته من حقائق مضيئة ، الاجابة على الشق الاول من السؤال ، وسأحاول في هذا الفصل أن أجيب على شقه الثاني بسرعة وايجاز .

رأينا مما قررنا سالفا ان زرع الوجود الاسرائيلي في قلب العالم العربي ودنيا الاسلام ، هو مؤامرة مبيتة تشارك فيها الاستعمار الغربي ، والشيوعية الدولية ، والصهيوبية العالمية ، ضد التراث الاسلامي والحضارة العربية .

فالفلسفة الصهيونية ترتكز على أساس نسف جميع « المدنيات » والحضارات والاديان ، ليقام على أنقاضها ملك اسرائيل الدائم ، لشعب الله المختار !

أما الوسيلة الصهيونية لبلوغ هذا الهدف الجهنمي ، فهو شعار التجمع والاقتحام ... والطرد والاجلاء ، والعلم والتخطيط ، والفتك والاجرام ، والارهاب النفسي والفكري والمادي ... ولا يخفي قادة الصهيونية ذلك ... وهم اذا كانوا يتملصون من بروتوكولات حكماء صهيون السرية ، خشية مردودها ، لانها بمضمونها لطخة سوداء في جبين كل المبادىء الخلقية التي تعارف عليها المجتمع الانساني ، فان ما يجري هذه الايام في بولنده وتشيكوسلوفاكيا والمانيا وفرنسا ، تنفيذ حرفي تدريجي لمحتويات البروتوكولات !! وقادة اسرائيل لا ينكرون سياستها التوسعية العدوانية ، ويكفي أن أستشهد هنا بقول « وايزمن »

في المؤتمر الصهيولي الثاني عشر : « ان اليهود عندما يكتظ بهم غرب الاردن سيسهل عليهم شق طريقهم الى شرقه » •

والصهيونية حركة عنصرية نازية دينية مغلقة ، لا ترضى بالتعايش مع غيرها ، بل تقيم بنيانها بالبطش على أشلاء ذلك الغير ••

ومما هو جدير بالذكر ان الصهيونية ، بالرغم من عراقة أساليبها في الغواية والاغراء ، لم تستطع لحسن الحظ أن تحقق الكثير مما خالته هينا ميسورا لتنفيذ مخططاتها الاجرامية ، فهي قد منيت بالخيبة في استقطاب كافة الاقليات اليهودية في الخارج ، وفشلت في توسيع نطاق الهجرة كما كانت تتوقع ، خاصة بعد حرب حزيران ، وهي بالاضافة الى انهيارها الاقتصادي المستمر ، وكيانها المفتعل المرتكز على فتات المعونات الخارجية ، ضلت الطريق لاقامة مجتمع متناسق متناغم متكامل، بسبب الخلافات الثقافية والحضارية والعرقية بين اليهود الشرقيين واليهود الاوروبيين ، واضطهاد هؤلاء لاولئك ، واستحالة دمجهما ليكونا شعبا واحدا متعاطفا ، « ذلك ان اليهود الذين أخرجوا من فلسطين سبيا وطردا منذ أكثر من عشرين قرنا ، انتشروا في الارض ، وذاب معظمهم في المجتمعات الاخرى ، واعتنق اليهودية في القرون الوسطى ، الخزر الآريون ، الذين هاجروا من أواسط آسيا الى أوروبا غربا ، وهم لا يمتون الى السامية بصلة ،اذ أصبحوا يهودا بالعقيدة لا بالعصبية القومية ، وعلماء الاجناس ينفون أسطورة علاقة الدم بين اليهود الاوروبيين واليهود الاقدمين » •

فالصورة ليست مشرقة كلها ، والحمد لله ، غير ان ما يبقي الخرافة وينميها ، ان في الجانب الآخر من الصورة عالما عربيا ممزقا ، مهددا

بالفناء ، يتلهى بصراعات لا تمت الى المعركة الاصيلة بسبب ، ويغفل عن حملات الكراهية والتضليل المستمرة ، التي لا تقل ضعة ومذلة عن حرب حزيران ، بينما تجد الصهيونية وتنشط في اقناع الرأي العام العالمي بأن معاركها هي دفاع عن النفس ... عن المدنية العريقة ضد الهمجية العربية !!

فما العمل اذن ؟.. والى أين نمضي ؟!

ان القرار البريطاني ، الذي وافق عليه مجلس الامن بالاجماع لمعالجة المشكلة سياسيا ، وانتداب « ياريننغ » ليكون رسول السلام ، هو قرار « مطاط » ، صيغ في أسلوب مائع يحتمل الكثير من التفسيرات وينطوي على الكثير من المتناقضات .

ولست أشك في ان مجلس الامن ، وقد اعتاص عليه الامر وهو يلف ويدور في حلقة مفرغة شهورا طويلة ، اختار أن يخرج بقرار كائنا ما تكون صياغته ، والاحتمالات المستترة في ثناياه ، هروبا من المشكلة ، وتخليا عن المسؤولية ، اذ لو لم يخرج المجلس بقرار ، لنسف مبررات وجوده ، ذلك ان الركيزة الاولى التي ينطلق منها ميثاق المنظمة ، هي شجب العدوان ، واستنكار مطلق لاية مكاسب اقليمية نتيجة أعمال عسكرية ... فماذا يفعل المجلس واسرائيل تحتل مساحات شاسعة بالقوة لثلاث دول أعضاء في هيئة الامم المتحدة ، وترفض الانسحاب منها ، دون سبب مفهوم أو مبرر معقول ؟! ولم تكتف اسرائيل بذلك ، بل أحدثت تغييرات جوهرية واجراءات قسرية فيما احتلته من مناطق ، خاصة في قطاع مدينة القدس العربية ، بالرغم من قرار واضح صريح اتخذته الهيئة العامة بأكثريتها الساحقة ، وأكده قرار آخر صدر عن مجلس الامن مؤخرا بشجب تلك التغييرات والاجراءات !!

وليت شعري ما جدوى بقاء المنظمة الدولية بشعاراتها وميثاقها ، وما جدوى بقاء مجلس الامن باجتماعاته ومقرراته اذا استمرت المخالفات الاسرائيلية ... بل الاحتقارات الاسرائيلية لها ، حتى لقد بلغ الصلف وبلغت الوقاحة ببعض المسؤولين الاسرائيليين أن يقولوا عن قرار مجلس الامن الاخير بشأن القدس انه قرار لا يرتكز على أسس أخلاقية !!

أجل ، ما جدوى بقاء المنظمة الدولية ومجلس الامن اذا استعصى عليهما الزام دويلة صغيرة ، قد ولدت ولادة غير طبيعية ، غير شرعية وغير أخلاقية ، ومع ذلك يبلغ بها السفه أن تقف في وجه الدنيا كلها بعناد وحماقة !!

وفي اللحظة التي وافق فيها مجلس الامن على القرار ، ثار نقاش وجدل بين أعضائه حول صياغته ، وترك في ضبابه ، لم يحدد مدلوله ومفهومه ، وانتدب السفير « يارينغ » للمهمة المعجزة ، وهو لا يدري كيف يبدأ وأين ينتهي ؟.. اسرائيل تفسر القرار على هواها ، « فالحدود الآمنة » تختلف عن حدود الهدنة قبل ٥ - ٦ - ١٩٦٧ ، وهي تشترط أن يكون الانسحاب نتيجة مفاوضات مباشرة وشروط مفروضة ، هي الاستسلام بعينه . والعرب من ناحية أخرى يتمسكون بشرط الانسحاب الناجز من كافة الاراضي التي احتلتها اسرائيل قبل الدخول في أية تسوية سياسية تنهي حالة الحرب في المنطقة وتعالج القضية من أساسها في ضوء قرارات الامم المتحدة السابقة ... و « يارينغ » يتمطى ويتثاءب في الدوامة الخطرة ، واذا كان طرف الخصومة مجرما وقحا كاسرائيل ، تدعمها الصهيونية العالمية وتحميها الولايات المتحدة ، وقد شاء لها القدر الاسود ، بل شاءت لها الخيانة العربية ، أن تنتصر ، فالويل للمستضعفين في الارض !!

قد يقول قائل : ان اسرائيل قد ربحت حرب حزيران ، وقد نسلم نحن بذلك ، لكن هل تستطيع اسرائيل أن تزعم انها قد حققت السلام المنشود والامن الدائم ؟ وهل يرضى العرب الاستسلام والاستخذاء ؟ والى متى يدوم هذا الحال ؟

وقد يقول قائل : ان الحل في يد الولايات المتحدة وروسيا ، وقد نسلم نحن بذلك ، لكن هل يرضى العرب أن تظل قضاياهم سلعة في سوق المساومات الدولية ؟!

قد يكون هدف الولايات المتحدة اذلال العرب ، واقناعهم بأن في يدها وحدها مفتاح القضية ، وانهم مهما تطوحوا في أحضان موسكو فلن يلقوا غير الفشل واليأس ... وليس بي حاجة هنا للتدليل على تحيز الولايات المتحدة ، فقد أسهبت في ايضاح ذلك ، فيما مر بك من قول ، لكنني أكتفي هنا بايراد بادرة واحدة تغني عن كل اسهاب .. فقد ناشدت الولايات المتحدة مصر واسرائيل ، قبل الحرب ، تحاشي أي احتكاك ومبادأة ، وحذرتهما من مغبة ذلك . وقد رضخت مصر ، وكانت استجابتها لدعوة السلام سبب المفاجأة الغادرة ، فهل سمع أو عرف ان الرئيس الاميركي قد لام اسرائيل أو ندد بموقفها العدواني المجرم ؟ وهل سمع أو عرف ان المندوب الاميركي في المنظمة الدولية قد قبل أي اقتراح يلوم اسرائيل أو يلقي التبعة على كتفيها ؟ وهل موقف الولايات المتحدة هذا عادل ومنصف وأخلاقي ؟! وهل كانت تقف مثل هذا الموقف المخزي لو شاءت قدرة الله أن ينتصر العرب وتهزم اسرائيل ؟!..

أما روسيا ، فلا يهمها ضاع العرب كلهم أو تشردوا ... انما الذي يهمها أن تجد المناخ المواتي والارض الخصبة ، نتيجة الاوضاع

المتدهورة ، لتتسلل الى المنطقة على أنقاض تردي العلاقات بين العرب والغرب ، واستقطاب المشاعر العربية المهتاجة ، لتصبح الدنيا العربية منطقة نفوذ لها ... وتلهث الدول العربية وراءها ، وتفتح صدور موانيها لاسطولها في المتوسط ، ويا طالما داعب أمانيها هذا الحلم السعيد !.. حتى اذا تطرق الحديث الى اسرائيل وأطماع اسرائيل ، تلفعت بالسكوت المريب ، لانها تؤمن ان اسرائيل قد وجدت لتبقى ، وان على العرب أن يقبلوا الامر الواقع ، وأن يفتحوا قلوبهم لمبادىء لينين وستالين ، ذلك ان قيام اسرائيل — عندها — يمثل حركة تقدمية ضد التراث الاسلامي في المنطقة ، وهو عندها ألد الخصام !

لقد كان في مستطاع المنظمة الدولية ومجلس الامن ، بل كان واجبا عليهما ملزما ، أن يجبرا اسرائيل في اطار نصوص الميثاق ، على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها بالقوة ، غير ان القوى الكبرى المتصارعة داخل المنظمة تشل أعمالها وتعطل نشاطاتها واهتماماتها ، وتلك أبشع صور الارهاب الفكري والسياسي الذي شهدته الدنيا منذ بدء الخليقة ، فالقانون السائد في عرف الدول الكبرى هو قانون الغاب ، ولو تلفع وتردى بألف ثوب زاه براق ! وأشرف للمنظمة الدولية ، وللدول الصغيرة ، أن ينفرط عقدها من أن يستمر هذا الوضع الشاذ العجيب !

تصور ان جميع دول الدنيا ، بما فيها القوى الضالعة مع اسرائيل ، تجدد كل عام منذ عشرين سنة ، قرارها اليتيم بشأن عودة اللاجئين أو التعويض عليهم ، واسرائيل ترفض وتتجبر وتتكبر ، وتمشي في الارض مرحا ، لانها ربيبة الاكابر ! ودالتها على الكبار لا تخيب ... فما قيمة كل قرار وكل ميثاق ؟ ما جدوى المنظمة اذا لم تستطع أن تلجم دولة مجرمة كاسرائيل ؟!

الحق للقوة ... القوي يبلع الضعيف ... شريعة عالم مجنون ، ليست المنظمة الدولية فيه الا ملهاة تمثل للتغرير بالضعفاء .. والمجازفة بحقوق الشعوب ومصالح الاوطان !

نخلص مما سقناه ، الى توكيد فكرة بسيطة واضحة يجب أن نعيها وتنفهمها ، ونعيش معها ولها ، ونعمل بايحائها ، وبغير ذلك نكون كمن تأبط شرا ، وركض في الظلام ، وعاش أضغاث الاحلام ..

أيها العرب .. أيها المسلمون :

ان ما أخذ عنوة ، لا يسترد الا عنوة ..

لا بد اذن من رفع شعار « التجمع والاقتحام » الاسرائيلي نفسه لازالة آثار العدوان ، واسترجاع الوطن السليب ، والقضاء على الاسطورة الصهيونية ... لا بد من توحيد كافة الجهود ، وتنسيق كافة الطاقات ، استعدادا للثأر وغسل العار ، في اطار من الصدق والاخلاص والمروءة والنخوة !

واذا كان لا بد في هذا المعرض من اشارة الى العمل الفدائي ، فاني أبعث بها تحية اعجاب واكبار وتقدير الى البطولات التي تزرع الشرف في الارض الحبيبة ، وتثير الهلع في قلوب المجرمين !

ان جدوى العمل الفدائي يتمثل في قض مضاجع العدو ، وشل حركته ، وتقويض مخططاته ، واستمرارية المعركة بكامل دوافعها وأبعادها ، وأهدافها القريبة والبعيدة ، اظهارا لارادة حاسمة مصممة ، لا تتراجع مهما عظمت التضحيات ، واعتبار هزيمة الخامس من حزيران ، مع الالم الذي أحدثته والشر الذي أوقعته ، نكسة عابرة في مسيرة

النضال القومي الذي لن يتوقف ، ولن يستخذي ، ولن يقيم على ضيم • واذا كان العدو قد أصابنا فانه لم يصبنا بقوته الخارقة لكن أصابنا من ضعفنا نحن ، وتخاذلنا نحن ••• وخياناتنا !

لقد كان العمل الفدائي هو المجابهة الوحيدة بعد فشل الجيوش النظامية ، وهو بارقة الامل ، ودلالة الرجاء ، في ان الهزيمة لم تستطع على ثقلها ولأوائها ، تحطيم الارادة العربية ، بل زادتها عزما وتصميما وثقة في المستقبل وايمانا بالثأر !

غير انني أعتقد ان العمل الفدائي لا يعفي الامة العربية من واجب الجهاد المقدس في سبيل القضية المقدسة •• كما وانه لا يمكن أن يكون البديل الوحيد للعمل النظامي والتخطيط المدروس ، ذلك ان العمل الفلسطيني لا يستطيع تحقيق الاهداف القومية بمفرده ، لان المعضلة مع الاسف أكبر من قدراته وطاقاته ، ولا بد لاستمراره ونجاحه من قيام قوة ضاربة عربية منظمة موحدة منسقة ، تحمي ظهره ، وتشد أزره ، وتوفر الوقاية الرادعة للحدود العربية المتاخمة للعدو ، من غارات انتقامية وحشية ، هي دائما أعمق جرحا من الاعمال الفدائية المتفرقة • ولا بد لاستمراره ونجاحه من توحيد جهود وفعاليات كافة المنظمات التي تعمل في المقاومة المسلحة ، في قيادة واحدة ، وفي اطار مبادىء منظمة « فتح » التي تأبى الانتماءات الحزبية والعقائدية في هذه البرهة المرحلية ، وتركز على الانتماء لقضيتها المقدسة وحدها ، وتنسيق تلك الجهود الموحدة مع دول « الطوق » خشية وقوع مضاعفات تسيء الى طبيعة العمل الفدائي ، وتثير اهتمامات معاكسة ، لما قد يقع فيه بعض أفراده من أخطاء انسانية لا يمكن تحاشيها ••

انه لمن المحزن حقا أن تضيع للآن الجهود المبذولة لتوحيد طاقات

جبهة النضال المسلح ، وأن نفتقد التنسيق والانضباط : بين أعمال بعض المنظمات وبعضها الآخر ، وبينها جميعا وبين الدول المتاخمة للعدو ، وأخشى ما نخشاه أن تصبح المنافسة الشريفة منافسة سلبية ، تحمل طابع التفاخر والتفرد ، وتحمل من جهة أخرى طابع الانتقاص من الغير ، وبدلا من أن تكون البطولات المشتتة مدخلا الى التلاقي بغية المزيد من الاكتمال والنضج والاصالة ، تصبح مظهرا للعنة الخلافات المشؤومة التي تطارد الامة العربية جيلا بعد جيل !

وهذه الجهود المنشودة تستتبع بالضرورة قيام قيادة عسكرية عربية موحدة ، قادرة على التنسيق والتخطيط والتنظيم ، يكون مقرها الاردن الذي أراد له قدره التاريخي أن يكون المنطلق الطبيعي لمعركة الثأر والتحرير .. تباشر على الفور بوضع خطة موحدة محكمة ، تنصهر فيها جميع امكانات وقدرات وطاقات الدول العربية ، المالية والبشرية ، على أن يكون ايماننا بهذه القيادة كايماننا بمقدساتنا ، وتكون لها قوة الزامية حاسمة ، بالنسبة للدول العربية كلها ، مهما اختلفت وجهات النظر السياسية ، شرط أن يبدأ هذا الجهاز عمله بتحصين القرى الامامية على غرار ما يصنع العدو ، لتكون قادرة على مجابهة تحديات العدو ، وغاراته الانتقامية الوحشية .

حتى اذا فشلت الجهود الدولية الرامية الى السلم في المنطقة على أسس من الحق والعدالة ، كانت المعركة معركة مصير حقا ، وكان كل عربي من الخليج الى المحيط جزءا من حركة الزحف المقدس ، وعلى الباغي تدور الدوائر .

لو أجمعت الدنيا كلها على ضرورة الحل السياسي ، الحل السلمي ،

فاننا لن نجذب حقا أو ندفع باطلا ، ولن نحقق خيرا أو نمحو شرا ، اذا لم نكن في مركز قوة ، نواجه منه التحدي والعدوان .

يجب أن يكون هذا واضحا في أذهاننا ، نقول به كل لحظة لشعوبنا العربية ، وشقيقاتنا المسلمة ، وللدول المحبة للحق والسـلام ... نقوله ونفعل ما يؤكده ، ونعد له ما استطعنا من قوة وعزم وتصميم ، وندعمه بكافة الطاقات والامكانات ..

اذا جنحوا للسلم ، فنحن للسلم أسرع ، لكـن بشروطنا نحن ، ومفاهيمنا نحن ، مفاهيم العدالة والمنطق ! وان اختاروا الشر ، فنحـن لا نخشى الشر ، ومن العار على المرء أن يموت على فراشه كالبعير ... وهو يرى شرف أمته يتعفر بالرغام . وستكون المعركة ، لو فرضت علينا ، عامة شاملة تحرق كل شيء ، وتدمر كل شيء ، لا نبالي أن نكـون لها الوقـود .

كل ما عدا ذلك فضول واسفاف ، وعقم وافلاس ، وحكمة هلوك ، نصطنعها لنداري ضعفنا ونواري سوءاتنا في العالمين !

انني أعلم ان الحزن اليائس لا يجدر بنا في معركـة مصير ، وان الدمع لا يغسل الظلم ... وأنا لا أدعو الى القنوط ، معاذ الله ، بـل أدعو الى التجهم ، والبقاء في مناخ المأساة ، ذلك وحده يضع في الصدر حزازة ، وفي القلب غصة ، تلسع الروح وتدفع الى العمل والتضحيـة والفداء ... ولذا — أعترف — تمزقني البسمة اللاهيـة على الشفـاه وتهز كياني .. كيف يبسم المرء وهو ذليل مهين ؟.. كيف يضحك وهو يقتات عار الهزيمة في الصباح والمساء ؟!

أملي أن تدرك الشعوب العربية والمجتمعات العربية انها يجب أن تفكر وهي حسرى ، وتدبر وهي حسرى ، وتستعد وهي حسرى ، حتى نغسل عارنا ونخوض معركة الثأر ..

انه ليدهشني حقا أن ينسى مفكرونا واقعنا الذليل ، ويخوضوا في متاهات الجدل والنقاش ، حتى في هذه اللحظات الرهيبة !

ان التفصح والتبجح والاستعلاء بلوك الشعارات ، تصبح في هذه الظروف القاتمة ، كالغفلة والاستخفاف والتقاعس واللاأبالية .. كلها صفات نفس منهارة وعقل مقفر ..

يا اخواني ... يا اخوان الدرب الطويل ، والزاد القليل ! انفضوا عقولكم بعض الوقت من ألق المعرفة وترف الثقافة وضعوها في معركة المصير ..

اخلعوا نفوسكم ، بعض الوقت ، من مهاوي المعارك العقيمة ، وصبوها في سياق الجهاد الاكبر والاهم !

ما جدوى كل لذة ، كل قيمة ، كل متعة ، اذا كانت أشلائي جريحة ، وأهلي مشردين ، ومقدساتي تئن تحت أقدام العدو !

اذا لم تطهر الكارثة أرواحنا من أحقادها ، فماذا يطهرها ؟
اذا لم تغسل المصيبة قلوبنا من أدرانها ، فماذا يغسلها ؟
اذا لم تلهبنا فجيعتنا بأهلنا وبلدنا وحضارتنا وتراثنا ، فيا موت زر ان الحياة ذميمة .. ان الحياة كريهة !

وبعد .. كيف تتملك القوة ، وكيف نواجه التحدي ؟!

يا أهلي .. ويا قومي !

يا قادتنا وزعماءنا !

يا ملوكنا ورؤساءنا !

عودا الى اصولكم الخضارية .. .

ارجعوا الى تراثكم الروحي ..

دوسوا خلافاتكم الصغيرة ..

أنسوا معارككم الجانبية ..

اجمعوا صفوفكم الممزقة ..

ارتفعوا الى مستوى مسؤولياتكم ..

انقذوا القضية المقدسة من المتاجرات والمناورات والمساومات الدولية ، واربأوا بأنفسكم أن تكون سلعة في الحرب الباردة ..

اجعلوها قضية عربية اسلامية ..

اهجروا كل شيء .. كل نشاط .. كل اهتمام ، وركزوا كل جهدكم ، كل عملكم ، في هدف واحد : محو الصورة البائسة الذليلة التي نحياها وتحيون ، لنثبت اننا جديرون بماضينا ، جديرون بالالم المطهر الذي يزلزل نفوسنا .. جديرون بروعة تطلعاتنا ..

ارسموا على الفور خطة عمل عربي مشترك ، لدول النسق الاول المتاخمة للعدو .

ولتصب على الفور دول النسق الثاني ، خاصة الدول البترولية المليئة ، جميع طاقاتها المادية في خدمة تلك الخطة ..

ارفعوا شعارا واحدا يعلو كافة الشعارات : شعار التحرير ••• قبل الوحدة ، قبل الاشتراكية ، قبل الثورية ، قبل التقدمية والرجعية ، قبل الانتماء لهذا الجانب أو ذاك ، والعمالة لهذه الجهة أو تلك !

ان معركتنا الكبرى هي اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل •• معركة العرب والمسلمين •• معركة علم وأخلاق وتنسيق وانضباط وتنظيم •• معركة حضارتنا وتراثنا وكرامة ماضينا وشرف حاضرنا ومستقبلنا ••

ما قيمة كل زعاماتكم وقياداتكم ، وملكياتكم وجمهورياتكم ، إذا ضاعت زهرة المدائن •• وتهودت المقدسات !

ولتكن الخطة جزءا من ايماننا •• نبيت معهـــا ، ونفيق معها •• ونحيا لها ، ونموت في سبيلها •• وننسى كل ما عداها من مهاتــرات ومنعطفات في الطريق ، فلا يسار ولا يمين ، ولا ثوريــة ولا رجعية •• ولا شيع ولا أحزاب ، حتى نطهر الارض من رجس الصهيونية•• وبعدئذ تناحروا ما شئتم ، وتفاخروا ما أردتم ، وليكــن بعضكم لبعض عدوا ، واذهبوا كلكم الى الجحيم ، والا فالعار لكم من القدر المحتوم ، والويل لكم من لعنة التاريخ !

واني والله لانظر من شرفات الغيب ، فأكاد أرى خلائفنا في الارض يبصقون على اجتماعاتنا ومقرراتنا وتفاهاتنا وسخافاتنا ••• ويصرخــون في وجوه أمهاتنا بقولة « هملت » : « الى الدير •• حثي الخطى ، فيم حرصك على أن تكوني أما لاوغاد ؟ » •

اللهم اشهد •• قد بلّغت !

- ١٧ -

استكمالا لتسجيل الوقائع والاحداث ، أيام المحنة ، بدقة وأمانة ، أورد في هذا الفصل بعض الرسائل اللاسلكية ، المتبادلة ، أثناء المعركة ، بين جلالة الملك حسين والرئيسين المصري والعراقـــي ... ثم بعض الرسائل الموجهة من جلالته الى ملوك ورؤساء الدول العربية ... يتـلو ذلك تقرير عسكري وضعه القائد العربي الفريق عبد المنعم ريـــاض ، وناقش فيه بصورة موضوعية سير العمليـــات في الجبهـة الاردنية ، والاستنتاجات والدروس المستفادة منها :

من الفريق رياض الى الرئيس جمال عبد الناصر

الموقف في سبيله الى التدهور السريع في الضفة الغربية . هجوم مركز على مختلف المحاور مع قصف جوي عنيف ليل نهـــار . القوات الجوية الاردنية والسورية والعراقية في (هـ ٣) والقاذفات عمليا دمرت . بعد التشاور مع الملك حسين طلب مني ابلاغكم ان هناك حل من ثلاثة :

١ ــ قرار سياسي نافذ بايقاف القتال اليوم يفرض من جهة خارجية (أميركا ــ روسيا ــ مجلس الامن) .

٢ ــ اخلاء الضفة الغربية الليلة .

٣ ــ البقاء ليوم واحد زيادة يؤدي الى قطـــع الجيش الاردنـــي بالكامل وتدميره .

طلب مني الملك حسين عرض الموضوع عليكم للرد بما ترون وعاجلا .

٦ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ (١٢٠٠)

الى سيادة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر

أخي ! الوضع متدهور للغاية ، القدس في وضع سيىء للغــاية ، نحن نفقد دباباتنا بمعدل واحدة كل عشر دقائق ، بالاضافة الى خسائرنا الجسيمة في الارواح والمعدات ، في كافة الاماكن • ان العدو يركز على القوات العربية في بلدكم هذا بكل قواه ، ونحن فـــي الحقيقة نعتــز بوقفتها فيه ، أردنية وعراقية ، تروي هذه الارض الطاهرة بالدم الزكي وتخوض فيها معركة فيها من الاستماتة والشجاعة والعزم والتصميم ، ما سوف ترويه الاجيال على مر السنين ، على اننا في صمودنا هـــــذا ــ يا أخي ــ نرى هدف العدو الرئيسي هذا البلد •• ضفته الغربية التي حملنا أمانة حفظها عربية منذ النكبة بكل أمانة واخلاص بعد ابادة هــذه القوات ، وبعد تدميرها ، وتدميرنــا جميعا • وهذا يتحقق مع الاسف تتيجة وجودنا دون دعم جوي ، تتيجة صمودنا والتعرض للعدو منــــذ بداية الحركات وبكل قوانا ، دون مساندة فعلية من ميمنتنا عسكريا •

ان لاستمرار هذا الوضع تتيجة واحدة ، فقدانكم وأمة العرب لهذا المعقل ولقواتها فيه عن بكرة أبيها ، بعد أروع ملحمة يسجلها تاريخنــــا بالدم ، وكذلك فمعنى هذا انتكاسة في المجهود الحربي العربي ، قـــد تقارب كونها كارثة ماحقة •

أخي ، أرجو أن أضع أمامك دقائق الموقف لتشاركني حمل أكبـــر مسؤولية واجهتها عمري •

علمت ان الفريق أول عبد المنعم رياض قد أبرق لسيادتكم بهـــذا الموقف الآن ، فأرجو سرعة تقدير الوضع على ضوء ما ذكرناه وايـــاه وعسى الله أن يهدينا سواء السبيل •

بالمناسبة اتصل بنا سفير الولايات المتحدة يحمل تأكيدا قاطعا بأنهم لم يكونوا على علم مسبق بنوايا العدو ، وانهم لا يملكون حاملات في المنطقة ، وان طائرة واحدة أميركية لم تشترك في المعركة ، ولن تشترك• فوجدت أن يصلكم هذا مع دقائق الموقف كاملة لارى رأيكم • والـى أن يأتي ، فنحن هنا نخوض معركة انتحاريـــة ، يؤلمني فيها أن أعيش لحظاتها وأرى نتاج سنين طويلة من الجهد في بناء قـوات هذا البلد ، وهي قوات أمتنا العربية كلها ، تدمر وهي تستبسل الى النفس الاخيـر بشرف ورجولة • والى جانبها ومعها قوات الشقيقة العراق ، التي وقفت شأنها دائما معنا بكل طاقاتها وامكاناتها في أرض المعركة •

أرجو سرعة الاجابة فورا ، والسلام عليكم ورحمة الله •

٦ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ (١٢٣٠)

أخوكم : الحسين

من الرئيس جمال عبد الناصر
الى جلالة الملك حسين

أخي الملك حسين . تلقيت برقيتك ، وانني لأقدر أننا نواجه لحظة من تلك اللحظات التي تمر بها الامة في تاريخها والتي تتطلب شجاعة تفوق طاقة البشر وفي هذه اللحظة يصبح واجبا علينا مواجهة مقتضيات الموقف أيا كانت آثارها علينا . اننا نعلم طبيعة الظروف التي تمرون بها في الوقت الذي نواجه فيه على جبهتنا موقفا متدهورا بنتيجة للضربة الجوية القاصمة التي حدثت أمس والتي وضعت قواتنا في مواجهة قوات متفوقة عليها في كل الجبهات بدون غطاء جوي . عندما يكتب التاريخ سوف يذكر لك جرأتك وشجاعتك وسوف يذكر للشعب الاردني الباسل انه خاض هذه المعركة فور أن فرضت عليه دون تردد ودون أي اعتبار الا اعتبار الواجب والشرف . ان العدوان قد فرض علينا وكان علينا مجابهته بكل ما فيه من قوة وما فيه من غدر وتواطؤ . ان القرار الذي أراه هو أن نختار ثاني الحلول التي تفاهمت عليها مع الفريق عبد المنعم رياض وهي اخلاء الضفة الغربية الليلة على أن نضع في اعتبارنا رأيكم الاول الخاص بتدخل مجلس الامن لايقاف القتال . ان تاريخ الامم فيه الاخذ والعطاء وفيه التقدم والتراجع ، فليكن فيما نختاره في هذه اللحظة الحاسمة وان كان اختيارا عصيبا علينا خطوة نستطيع أن نتقدم منها وهذه ارادة الله لعل في ارادته لنا خيرا . اننا نؤمن بالله

ولا يمكن أن يتخلى الله عنا ، ولعل الايام القادمة تأتينا بنصر من عنده • بقي لي وأنا أعلم كل جوانب الظروف التي نمر بها أن أعبر لك عن كل تقديري لموقفك الشجاع ولارادتك الحاسمة وللبطولة التي أظهرها كل فرد في الشعب الاردني والجيش الاردني • اللهم أعنا ، ولتكن ارادته رائدة لنا ، والسلام عليكم ورحمة الله •

٦ — ٦ — ١٩٦٧ (٢٣١٥)

اخوكم : جمال عبد الناصر

الى سيادة الاخ الرئيس عبد الرحمن عارف

أخي . الوضع متدهور للغاية ، القدس في وضع سيىء للغـــاية . نحن نفقد دباباتنا بمعدل واحدة كل عشر دقائق بالاضافة الى خسائرنـــا الجسيمة في الارواح والمعدات ، في كافـــة الاماكن . ان العدو يركز على القوات العربية في بلدكم هذا بكل قواه ، ونحن في الحقيقة نعتـز بوقفتها فيه ، أردنية وعراقية ، تروي هذه الارض الطاهرة بالدم الزكي وتخوض فيها معركة فيها من الاستماتة والعزم والتصميم ، ما سوف ترويه الاجيال على مر السنين . على اننا في صمودنا هذا ـــ يا أخي ـــ نرى هدف العدو الرئيسي هذا البلد ، ضفته الغربية ، التي حملنا أمـــانة حفظها عربية منذ النكبة بكل أمانة واخلاص ، بعد ابادة هذه القوات ، وبعد تدميرها ، وتدميرنا جميعا . وهذا يتحقق مع الاسف نتيجة وجودنا دون دعم جوي ، نتيجة صمودنا والتعرض للعدو منذ بداية الحركـــات وبكل قوانا دون مساندة فعلية من ميمنتنا عسكريا .

ان لاستمرار هذا الوضع نتيجة واحدة ، فقدانكم وأمة العـــرب لهذا المعقل ولقواتها فيه عن بكرة أبيها ، بعد أروع ملحمة يسجلهـــا تاريخنا بالدم ـــ وكذلك فمعنى هذا انتكاسة في المجهود الحربي العربي ، قد تقارب كونها كارثة ماحقة .

أخي ، أرجو أن أضع أمامك دقائق الموقف لتشاركني حمل أكبـــر مسؤولية واجهتها عمري .

علمت ان الفريق أول عبد المنعم رياض قد أبرق لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الموقف الآن ، فأرجو سرعة تقدير الوضع على ضوء ما ذكرناه واياه ، وعسى الله أن يهدينا سواء السبيل •

بالمناسبة اتصل بنا سفير الولايات المتحدة يحمل تأكيدا قاطعا ، بأنهم لم يكونوا على علم مسبق بنوايا العدو ، وانهم لا يملكون حاملات في المنطقة ، وان طائرة أميركية واحدة لم تشترك في المعركة ، ولن تشترك • فوجدت أن يصلكم هذا مع دقائق الموقف كاملة لأرى رأيكم• والى أن يأتي ، فنحن هنا نخوض معركة انتحارية ، يؤلمني فيها أن أعيش لحظات وأرى نتاج سنين طويلة من الجهد في بناء قوات هذا البلد ، وهي قوات أمتنا العربية كلها ، تدمر وهي تستبسل الى النفس الاخير بشرف ورجولة ، والى جانبها ومعها قوات الشقيقة العراق ، التي وقفت شأنها دائما معنا بكل طاقاتها وامكاناتها في أرض المعركة •

أرجو سرعة الاجابة فورا ، والسلام عليكم ورحمة الله •

٦ — ٦ — ١٩٦٧ (١٢٣٠)

اخوكم : الحسين

من المشير عبد الحكيم عامر
الى صاحب الجلالة الملك حسين

سنعمل كل جهدنا على وقف القتـــال ونوافق على سحب الجيش النظامي . حاولوا تسليح الاهالي للقيام بمقاومة شعبية .

٦ — ٦ — ١٩٦٧ (١٤٣٠)

من الحسين الى المشير عبد الحكيم عامر

اشارة الى برقيتكم الجوابية على برقية الفريق عبد المنعم ريـاض والتي تنص على موافقتكم على سحب الجيش النظامي وعمل كل جهدكم على وقف القتال ، أرجو أن أبين ان وضعية القوات هنا كما يلي :

هي تحت القصف المستمر المركز ونحاول ابقاءها على أرض المعركة الى أطول فترة ممكنة بأمل وقف القتال وهي على الارض ، وبطبيعـة الحال سنحاول الاستماتة في الصمود ولن نتراجع الا اذا كان بقاءالقوات الباقية عرضة للتدمير التام . الاسلحة أساسا موزعة على الاهالي .

٦ — ٦ — ١٩٦٧

الى سيادة الاخ الرئيس عبد الرحمن عارف

لست أشك في ان سيادتكم قد وقفتم على تطورات القتال بيننا وبين الاعداء على كافة الجبهات ، وليس علينا الا الصبر لقضاء الله وقدره والا الاعتزاز بما قام به أبطالنا في سبيل الله .

لقد أثبتت لنا أحداث اليومين الماضيين المؤلمة ان الاخوة العربية والشهامة العربية ، وما تفيض به الاخلاق الغر من شوق الى الشهادة وحنين الى الجنة هي وحدها الباقية على الزمن .

ان النكسات التي تصاب بها الامم في مسيرتها الجادة نحو خيرها ومصيرها ليست بمستغربة في تاريخ الشعوب اذا استطاعت وهي تتلمس جراحها أن تقلب الهزيمة الى نصر ، بتماسكها وثباتها وتخطيطها للمستقبل من جديد .

وانه ليسعدني في هذه اللحظات الحزينة أن أعرب لسيادتكم عما يختلج في صدري من مشاعر الشكر والامتنان والتقدير المنقوش في القلوب على موقفكم الوطني المشرف ، حين هببتم لنجدتنا باخوتنا وأحبابنا من العراق العزيز .

لقد اختلط الدم العراقي بالدم الاردني في البطاح الخضر والروابي السمر والارض الطهور . وكان اختلاطها عهدا جديدا يسجله رجالنا وشهداؤنا بأننا لا بد أن ننتصر مهما طال الزمن وتكاثرت العقبات ، ولا بد من وقفة أخرى بطولية نستعيد بها الوطن السليب .

تحيتي اليك يا أخي ولاهلي وعشيرتي في العراق الاشم . أما اعتزازنا بكم فهو شيء نحسه ولا نعبر عنه .

والحمد لله أولا وأخيرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

٦ — ٦ — ١٩٦٧ (٢٤٠٠)

الحسين

من الحسين
الى الرئيس جمال عبد الناصر

أشكركم من صميم قلبي على برقيتكم وأرجو أن أعلم الاخ الكريم بأننا أصدرنا أمرنا لجميع قواتنا في الضفة الغربية وعلى طول الجبهة بالتثبت بمراكزهم . نسأل الله التوفيق لنا ولكم .

٧ — ٦ — ١٩٦٧ (٠٢٣٠)

الحسين

مـن الرئيس جمال عبد الناصر
الى جلالة الملك حسين

أرجو أن أطلعكم على تطورات المعركـة على الجبهة المصريـة الاسرائيلية • بدأ العدوان بصورة مفاجئة وغير متوقعة ، واستهدف منذ الدقيقة الاولى قواتنا الجوية ، وكان هجوم العدو على كافة مطاراتنا دفعة واحدة وبعدد من الطائرات المهاجمة تفوق كل تقديراتنا عن قوة اسرائيل الجوية • وقد تأكدت القيادة العليا للقوات المسلحة بما لا يقبل الشك من تواطؤ أميركا وانكلترا مع اسرائيل ، وخاصة انه داوم الهجـوم بطلعات متصلة ومتعددة وكانت النتيجة أن أصيبت مطاراتنا وقواتنـا الجوية بضربة عطلتها عن تغطية قواتنا على الجبهـة • ورغم الخسائـر الشديدة التي ألحقناها بطائرات العدو الا انه اتضح ان لديه رصيدا من الطائرات علاوة على المظلة الجوية لاميركا وبريطانيا فوق اسرائيل ، مما أدى الى استطاعته أن يوفر بها تغطية جوية لقواته في الوقت الـذي حرمت فيه قواتنا من مثل هذا الغطاء الجوي • ومع ذلك فان قواتنـا مشتبكة الان في معارك عنيفة في سيناء ، والخسائر شديدة سواء فـي جانبنا أو من جانب العدو •

تحياتي وتقديري •

٧ — ٦ — ١٩٦٧

اخوكم : جمال عبد الناصر

من الرئيس جمال عبد الناصر

الى الفريق عبد المنعم رياض

— على جلالة الملك حسين الضغط عـــلى بريطانيا وأميركا حتى تنفذ اسرائيل وقف اطلاق النار • هذا هو السبيل الوحيـــد • ولا داعي لان يقطع الاردن علاقته مع أميركا وبريطانيا •

٧ — ٦ — ١٩٦٧

من سيادة المشير
الى الفريق رياض

عرض علينا الاتحاد السوفياتي مشروع ايقاف القتال على أساس رجوع الاطراف الى خطوط الهدنة مع فتح خليج العقبة . قبلنا وقف القتال على هذا الاساس على أن يوقف القتال على الاكثر فجر اليوم بضمان الاتحاد السوفياتي . منتظرين الرد مع أطيب تحياتي وتمنياتي .

٨ — ٦ — ١٩٦٧

من الحسين
الى كافة الملوك والرؤساء العرب

في هذه المعركة المصيرية بالنسبة لامتنا ، التي خاضت فيها القوات العربية على طول هذه الجبهة أشرس المعارك وأشرفها ، نعتقد ونحن تتلمس جراحنا اننا نواجه الان ، مجتمعين ، مخططا دوليا تلعب فيه الدول الكبرى دورا رئيسيا مريبا ، غربية كانت أم شرقية .

ان اجراءات الاستعداد لهذه المعركة لا يكاد يخلو من مسؤوليتها أي زعيم عربي ، وان أمتنا التي خاضت المعركة بشرف وبطولة في معظم أجزائها تواجه اليوم موقفا مصيريا : فاما أن ترتفع الى مستوى مسؤولياتها ، واما أن تكون النتيجة ، لا سمح الله ، القضاء المبرم على الحضارة العربية والاسلامية .

نحن في أمس الحاجة الى اعادة تقييم كافة المواقف السابقة والمساهمة معا في مخطط عام يشمل الامة كلها ، ويبنى عربيا سليما على أسس سليمة .

نحن نتوقع مناورات سياسية واستعمارية كثيرة ، لا تنحصر في ميدان المعركة وحدها ، بل تتعداها الى كل مجتمع أو محفل دولي .

ان أرواح أبطالنا التي شرفت المعركة مع شرف أمتنا ومستقبلها وكرامتها ، كل ذلك يتطلب منا جميعا أن لا نستمر في مواجهة المواقف بانفعالات عاطفية سطحية .

ان جولتنا التي بدأت منذ أيام قليلة سوف تتبعها جولات وجولات، قريبة وبعيدة . نحن هنا شرفنا الله بأن كنا دائما دعاة وحدة صف ووحدة هدف ، ووحدة جهد سليم لامة يجب أن تعيش موفورة الكرامة والعزة ، ونحن كذلك دعاة تخطيط وتنسيق وجهد مشترك وعمل صامت هادف .

اننا نعاهد الله على أن نكون في المعركة الى النهاية ، وليس ما قدمناه من ضحايا للآن الا طلائعنا جميعا ، من هذا المعقل العربي ، وهي تمثل الفوج الاول في المعركة المصيرية ، ولن يعجزنا نحن ولن يعجز أمتنا وفي أقرب وقت أن تقدم أفواجا وأفواجا ، اننا لهذا عاملون بعزم وتصميم وايمان .

انني أطرح الموقف أمامكم كما عشناه وواجهناه وقدمنا ضحاياه . فأرجو أن تدفع تجربة الايام القليلة الماضية ومآسيها زعماء الامة وقادتها الى اللقاء العاجل لبحث القضية من كافة أبعادها وزواياها ولمواجهة الموقف بكافة متطلباته المادية والسياسية والعسكرية .

لقد أثبتت المعركة مدى حاجتنا في الاردن الى انشاء شبكة مطارات وشبكة دفاع جوي واعادة بناء القوات الجوية الاردنية وتعويض الخسائر الجسيمة الفادحة في الاسلحة والمعدات ، أما الرجال والابطال فمتوفرون . وكلنا ثقة بأننا مع دعم اخواننا المادي سنبني قواتنا على أمثل وجه وفي أقرب وقت .

والله المستعان .

٨ – ٦ – ١٩٦٧ (١٤٣٠)

الحسين

مـن الرئيس جمال عبد الناصر
الى جلالة الاخ الملك حسين

تحية عربية مخلصة وبعد

اننا جميعا في الجمهورية العربية المتحدة نقدر تقديرا عاليا دوركم ودور الشعب الاردني وجيشه البطل في المعركة ، فلقد كان هذا الدور اسهاما عظيما ومجيدا في معركة مصير تخوضها الامـــة العربية وسوف تواصل خوضها حتى يتـم دحر العدوان الاسرائيـــلي المدعم بقـوى الاستعمـــار .

وأريدك أن تعرف اننا جميعا نقدر موقفكم بعمق ووعي ونضع بغير تحفظات تأييدنا ورائكم .

وفي هذهاللحظات التي تحتدم فيها المعارك فاني واثق من نصر الله ، واثق في جماهير أمتنا العربية ... واثق في انتصار الحق ... واثق في قيمة سلام يقوم على العدل .

ولكم مني أخلص التحية .
وعاشت أمتنا العربية العظيمة ... وعاشت قواتها المسلحة البطـلة الباســلة .

٨ — ٦ — ١٩٦٧

جمال عبد الناصر

مـن الرئيس جمال عبد الناصر
الى جلالة الاخ الملك حسين

تحية عربية مخلصة وبعد ، فان مقتضيات الموقف وتطوراته تقتضي في تقديري أن يتخذ الان موقف عربي موحد قاطع وحاسم .

وفي رأيي ان مثل هذا الموقف سيكون له اثره الكبير على المعركـة المقدسة التي تخوضها شعوبنا وقواتنا المسلحة الان .

وأقترح الصيغة التالية ببيان يصدر على الفور باسم ملوك ورؤساء الدول العربية ، ونص صيغة البيان المقترح هو :

ان ملوك ورؤساء الدول العربية ، بعد اتصالات ومشاورات بينهم ، مدفوعين بوعي كامل بمسؤولياتهم التاريخية وعارفين بخطورة تحـدي المصير الذي تواجهه الامة العربية هـذه الساعات ، قد اتفقوا على أن يعلنـوا ما يلي :

١ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية يجدون الان انه ليس هنـاك بديل عن وقفة موحدة وحازمة ضد العدوان الاسرائيلي المدعم بقـوى الاستعمـار .

٢ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية مقتنعون تماما بأن اسرائيل لم تكن لتستطيع الاقدام بما أقدمت عليه بغير عون عسكري مركز ومستمر مـن

جانب الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما من الدول الضالعة معهما .

٣ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية في الوقت الذي يصممون فيه على الوقفة الحازمة ضد العدوان الاسرائيلي يؤكدون ان هذا الموقف لا تتحقق فاعليته الكاملة بغير اتخاذ نفس الموقف ازاء القوى الاستعمارية الاجنبية التي تدعمها وبغير تقدير عملي ايجابي لموقف القوى التي شجبت العدوان وأثبتت انها تستطيع أن تنظر الى الامور بنظرة موضوعية مستقلة .

٤ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية مصممون على انه لن تكون لاي دولة من الدول المدعمة للعدوان الاسرائيلي موقع قدم في أي وطن من أوطان الدول العربية في أي مجال من المجالات ما لم تصحح موقفها فورا .

٥ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية يعتبرون ان الوقفة الجبارة لشعوب الامة العربية قد أذابت نهائيا والى الابد أية خلافات عربية .

٦ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية مقتنعون بأن نظاما عاما جديدا يجب أن ينشأ في الوطن العربي كله قائما على وحدة المصير التي تأكدت بالدم في ميدان القتال بين كل الشعوب العربية ، ويرون أن ينعقد مؤتمر قمة عربي في أقرب فرصة بعد انتهاء هذه المعركة المصيرية لوضع اطار النظام العربي المقترح ، قائما على التعاون الصادق وعلى الثقة المتبادلة وعلى انكار الذات وعلى أماني الشعوب العربية الباقية والخالدة بعد أي فرد وفوق أي منصب .

٧ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية وهم يعرفون انهم يواجهون

موقفا كبيرا ومسؤولية ضخمة يعلنون ان جميع الموارد العربية وكل الامكانيات والطاقات سوف تخصص كلها لخدمة معركة المصير ودون قيود أو حدود • وهم يعتبرون ان القوى التي ناصبت الامة العربية العداء وسهلت للعدوان الاسرائيلي يجب أن تتحمل تكاليفه •

٨ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية يقررون الآن ، ولكي تكون وجهة نظرهم واضحة أمام جميع الاطراف ، أن يتوجه الملك الحسن ملك المملكة المغربية متحدثا باسمهم جميعا وفي أسرع وقت الى مقابلة مع رئيس الولايات المتحدة الاميركية ، وان يتوجه الرئيس هواري بو مدين باسمهم جميعا وفي أسرع وقت الى مقابلة مع رئيس الحكومة السوفياتية ورئيس جمهورية فرنسا لشرح الظروف والعواقب التي يمكن أن تترتب على استمرار العدوان الاسرائيلي المدعم بالقوى الاجنبية ، ومضاعفات ذلك على السلام العالمي كله •

٩ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية يتوجهون الآن بالنداء الى كل الشعوب الحرة والصديقة والمؤمنة بسلام يقوم على العدل أن يرفعوا أصواتهم عالية لنصرة الحق العربي وأن يقدموا للجهد العربي الباسل كل ما في طاقتهم من عون •

١٠ ـ ان ملوك ورؤساء الدول العربية قد أصدروا أوامرهم الى كل سفرائهم في جميع العواصم ليطلبوا مقابلة رؤساء الدول أو الحكومات المعتمدين لديها وأن ينقلوا اليهم كلمة عربية واحدة بحقيقة الموقف وأبعاد المعركة ، وهم لا يطلبون الى أحد أن يختار بينهم وبين أي طرف آخر ولكنهم يعتقدون بصدق ان الاختيار المطروح هو اختيار بين الحرية وبين السيطرة الاجنبية وقواعدها العدوانية •

٨ ـ ٦ ـ ١٩٦٧

جمال عبد الناصر

من الحسين
الى سيادة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر

لقد فوجئت بقراركم مساء أمس بالتنحي عن منصب القيادة في الجمهورية العربية المتحدة . ولئن كنت أعرف عنف النكسة التي أصبنا بها جميعا نتيجة للعدوان الشرس الغادر على أرضنا العربية وما نجم عنه من تضحيات وخسائر ومشكلات ، فانني أؤمن بأن المعركة في بدايتها وان وجودكم في مركز القيادة في الجمهورية العربية المتحدة ضرورة وطنيةلنجاحنا جميعا في معالجة آثار النكسة ومواجهة مسؤولياتنا القومية الكبرى في المرحلة القادمة . ان الحرب سجال وان البطولات التي سجلتها جيوشنا وشعوبنا في المعركة القاسية أكبر مصدر لاعتزازنا وفخرنا . انني أناشد سيادتكم الاستجابة لرجاء الامة والبقاء في مركز القيادة في بلدكم المناضل فنلتقي معا وفي أقرب وقت ممكن على وحدة الهدف والمصير لتنسيق جهودنا للمعارك القادمة مبتهلا الى الله أن يأخذ بيدنا جميعا ويمدنا بالنصر المبين .

١٠ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ (١١ صباحا)

الحسين

من الرئيس جمال عبد الناصر
الى جلالة الاخ الملك حسين

وصلتني برقيتكم ، وانني وشعب الجمهورية العربية المتحدة لنقف بكل مشاعرنا معكم ومع شعب الاردن الشقيق . نقدر لكم موقفكم ونقدر الموقف البطولي الذي وقفه جيشكم الباسل . ولسوف أرسل لكم باكر مليون دولار في العملة الصعبة كمعاونة فيما تواجهونه من آثار العدوان الغادر ، كما واني لعلى استعداد للاستجابة لاي طلب منكم . أحييكم وأحيي موقفكم .

مع أطيب تمنياتي وتحياتي .

١٢ — ٦ — ١٩٦٧

اخوكم : جمال عبد الناصر

من الحسين
الى سيادة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر

تلقينا بمزيد الشكر والامتنان والتقدير المساعدة المادية السخية التي تفضلتم بتحويلها الينا وأودعناها لحساب المجهود الحربي •

ولقد كان لمبادرة سيادتكم الكريمة هذه في الوقت الذي تقاسي فيه الشقيقة مصر مثلما نقاسي من محنة النكسة نتيجة العدوان الصهيوني الغادر ، أعظم وقع في نفوسنا جميعا • وانني لاغتنم هذه المناسبة لأؤكد لسيادتكم اعتزازنا بالمواقف البطولية للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بقيادتكم الجريئة ، وايماننا الذي لا يتزعزع بأننا بالتعاون والتنسيق سنعيد التنظيم ونعلي البناء بعزم وتصميم للتجمع والحشد في كافة المجالات والميادين باذلين أرواحنا وكل ما نملك في سبيل عروبتنا وديننا غير مفرطين بأي ذرة من أوطاننا وبأي حق من حقوقنا ، والله أسأل أن يلهمنا الصواب ويؤيدنا بروح منه •

ولشخصكم الكريم أطيب التحيات والتمنيات •

الحسين

من الحسين
الى ملوك ورؤساء الدول العربية

تحية طيبة وبعد ،

لقد سبق ان اقترحنا ضرورة عقد مؤتمر قمة في أقرب وقت ممكن لبحث الموقف في المنطقة على اثر العدوان الاسرائيلي ووضع سياسة عربية موحدة لمواجهة المعركة السياسية والاستعداد للمعارك القادمة على أسس جديدة وتفكير جديد يتناسب مع أبعاد النكسة التي أصيبت بها الامة العربية مؤخرا .

ويؤسفني ان تلك الدعوة والدعوات المماثلة التي انطلقت من بعض اخواني ملوك ورؤساء الدول العربية ما زالت تتلكأ بين العواصم الغربية بين الاهمال والتسويف أو الانصراف الى مؤتمرات واجتماعات على مستويات أخرى لا نعتقد مطلقا بجدواها في هذه الظروف ، خاصة وان الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ستجتمع الاثنين القادم بدعوة من الاتحاد السوفياتي ، ولو اجتمع مؤتمر القمة العربي كما أملنا قبل أيام لامكن الاستعداد لذلك الاجتماع بسياسة مدروسة موحدة .

انني أناشدكم الله باسم الاجيال العربية ومعارك المصير القادمة أن تعلنوا فورا موافقتكم على عقد مؤتمر قمة عربي ، وأقترح أن يكون ذلك في الخرطوم بوصفها عاصمة الدولة العربية الاولى التي وجهت الدعوة لذلك ووافقت عليه دول عربية أخرى ، أو أية عاصمة أخرى تتفق عليها الدول الشقيقة .. على أن يبدأ الاجتماع في مدى أقصاه يوم السبت في ٢٤ حزيران سنة ١٩٦٧ .

وأبعث اليكم بهذه المناسبة بصادق تحياتي وخالص تمنياتي .

١٧ — ٦ — ١٩٦٧

الحسين

اخي جلالة الملك حسين بن طلال

لقد رأيت أن أكتب لك في مناسبة المحنة التي تعيش فيها أمتنا العربية بعدما تعرضت له من عدوان اسرائيلي مهدت ومكنت له قوى الاستعمار العالمي ، وما كان بغير ذلك يستطيع أن يصل الى ما وصل اليه • ويحز في قلبي — هذه اللحظات — بصفة خاصة ، ما أعلم انك تتعرض له ويتعرض له الشعب العربي في الاردن بسبب ظروفكم الخاصة لعذاب مادي ومعنوي يعلم الله انني بقلبي وأعصابي أشارككم معاناته ليل نهار •

وانني لأحس بألمك الصادق وأنت ترى بعض ما نعتبره ترددا وتراخيا من جانب بعض عناصر أمتنا العربية ، ومع انه من السابق لأوانه أن تترك لمشاعرنا الجريحة أن تنفس عن نفسها فانه من ألزم الامور الان ألا ندخر جهدا في تجميع طاقة عمل عربي موحد يقدر على اداء دوره بالنسبة للخطر الداهم على الامة العربية كلها وعلى مصير شعوبها وحتى على قادتها مهما اختلفت الآراء فيما بينهم •

ولكن هناك مسألة واحدة أريدك أن تعرفها في هذه اللحظات العصيبة وأريدك أن تضعها في اعتبارك دائما ، تلك هي ان الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لان تربط أقدارها ربطا كاملا ونهائيا بقضية شعب الاردن البطل تحت قيادتك الوطنية التي أثبتت اخلاصها لشعبها في أكثر الظروف صعوبة وخطرا •

اننا في جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية على استعداد لان نضع كل ما نملك في خدمة المصير المشترك لشعبينا ، ولا يخالجني شك في انه مهما كانت المشاق التي تواجهنا فان نصر الله قريب منا بقدر ما نعمل ، وبقدر ما نؤمن ، وبقدر ما نخلص ، وبقدر ما نصبر ، وبقدر ما نصر على حق أمتنا العادل الشريف .

وتقبل مني أخلص التحية وأصدق الاعجاب ، وسلمت لشعبك وأصدقائك .

٢٢ — ٦ — ١٩٦٧

جمال عبد الناصر

اخي سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

ان لساني لعاجز عن الاعراب عما يخالجني من مشاعر الاعتزاز بما احتوته رسالتكم الاخيرة الي • فلقد تأثرت بكل قلبي ــ يا أخي ــ بعواطفكم الكريمة الخاصة بي وببلدي ، ويعلم الله انني أبادلكم الاحاسيس ذاتها ، وأحمل نفس المشاعر نحو شخصكم وبلدكم العظيم • ولئن كنا نعيش اليوم محنة شعبينا وأمتنا العربية بأسرها ، بعد ما تعرضنا له من عدوان صهيوني دعمته ومكنت له قوى الاستعمار العالمي ، فاننا كذلك نعيش وأمتنا مرحلة تحول مصيري حاسم سينتقل بنا نحو غد أفضل ، بقدر ما نوفر لجهدنا من عزم وتصميم ، ولمسيرتنا من تكاتف وتعاضد واتحاد •

لقد آلمني حقا أن أرى معك ، ذلك التردد في مواجهة المسؤولية والواجب من قبل بعض اخواننا ، ولكنني سعيد بأن ألتقي مع أخي على الايمان بضرورة تجميع الطاقات لعمل عربي موحد ، لا من أجل السعي لرفع آثار العدوان اللئيم ومحوها فحسب ، وانما لوضع الخطة العربية الشاملة لدرء الخطر المحدق بوجودنا وكياننا ومستقبلنا ، ولسوف يجد سيادة الاخ وشعبه وبلده انني وشعبي وبلدي لكم ومعكم يدا بيد وقلبا الى قلب وروحا بروح الى أن يتحقق لنا ولأمتنا بعون الله كل ما نصبو له من أمان وآمال •

وختاما أبتهل الى الله أن يحفظ سيادتكم وأن يكلأكم برعايتــــه الدائمة وأن يوفقكم في سائر خطواتكم لخدمة بلدكم وأمتكم .

وتفضلوا مني أصدق تحياتي القلبية مع خالص اعجابي ومودتي .

٢٢ — ٦ — ١٩٦٧

الحسيـــن

القيادة المشتركة
مركز القيادة المتقدم بعمان

رقم القيد :
التاريخ : ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ م

سري للغاية

مناقشة موضوعية لسير العمليات في الجبهة
الاردنية والاستنتاجات والدروس المستفادة منها

١ ـ لم تكن هذه المعركة من وجهة نظر مسرح عمليات الجبهة الاردنية معركة متكافئة بأي حال من الاحوال ، ولم يكن في الامكان أن تنتهي الا الى النتيجة التي انتهينا اليها فعلا . فمن ناحية قد أدت المفاجأة التي منيت بها القوات الجوية في ج. ع. م. الى حصول العدو على السيطرة الجوية عموما منذ أولى ساعات العمليات ، وبالتالي تكبدت القوات الجوية السورية خسائر كبيرة استبعدتها عمليا من جو المعركة ، مما أدى الى خوض المعركة في الجبهة الاردنية بلا معاونة أو غطاء جوي يذكر ، وأصبح العدو في موقف متميز الى حد كبير ، اذ كان يقوم بتدمير قواتنا جوا ثم يتقدم بقواته البرية عندئذ بلا عناء .

ولو ان القوات الجوية العراقية والاردنية قدمت كل ما في طاقاتها المحدودة عددا ، الا ان ذلك لم يكن كافيا بأي حال لمعاونة القوات البرية أو لتغطية عملياتها جوا ، وذلك يرجع أساسا الى قلة عدد الطائرات وعدم

وجود مطارات في الجبهة الاردنية تسمح للمقاتلات العراقية المحدودة المدى بالعمل منها لتغطية عمليات القوات البرية الاردنية .

وعليه ، كاستنتاج عام ، فان المعركة كانت معركة جوية أولا وأخيرا حصل فيها العدو على السيطرة الجوية منذ الساعات الاولى وسهل ذلك لقواته البرية النجاح بلا عناء كبير .

وقد قاتلت الوحدات الاردنية قتالا مريرا في ظروف غير مقبولة ، وأدت واجبها بكل أمانة وشرف ، ولكن الموقف الجوي المطلق لصالح العدو لم يمكنها من اداء مهمتها .

٢ ـ هناك بعض نقاط كانت مثار تساؤل ومناقشة بحق ، وقد قمت بتفسيرها للسادة القادة ، ألخص أهمها فيما يلي :

أ ـ في اليوم الاول للعمليات صدرت الاوامر للواء ٦٠ مدرع بتعزيز قطاع الخليل وللواء ٤٠ مدرع بأن يحل محله كاحتياطي في موقع النبي موسى خلف محور القدس شمال البحر الميت ، ثم ألغيت هذه الاوامر وصدرت الاوامر الى ل ٤٠ م بتعزيز قطاع جنين ، وكان تحركه الاول سببا في تأخيره مدة ساعتين .

وللاجابة على ذلك اورد الآتي :

أ ـ بناء علي المعلومات عن العدو المتيسرة عندئذ كان تركيز قوات العدو ومدرعاته حول منطقة بير سبع وما غربها ، ولم توجد أية معلومات عن تركيز مدرعاته في الشمال ، وكان الموقف عندئذ يوحي بأن العدو قد يلجأ الى الهجوم على محورين : (محور القدس ـ النبي موسى) و (محور الخليل) شمال البحر الميت .

وكان قاطع الخليل مدافعا عنه بلواء حطين على مواجهة واسعة ، وكان الموقف فعلا يستدعي تعزيز قطاع الخليل بلواء ٦٠ مدرع ، وخصوصا بعد أن بدأ وصول وحدات اللواء الثامن العراقي • ولما اتضح اتجاه هجوم العدو على محور القدس شمال البحر الميت عن طريق أريحا واقترن بتركيز مجهوده على اتجاه جنين ــ طوباس ألغيت هذه التعليمات وصدر الامر للواء ٤٠ مدرع بتعزيز قاطع جنين •

وفي رأيي ان الوضع الاول هو الذي كان اكثر احتمالا طبقا لمعلومات الاستخبارات المتيسرة عندئذ ، وان تغيير الاوضاع أثناء المعركة طبقا لموقف جديد ظهر كمفاجأة هو اجراء سليم أيضا ، فقط يلزم تفهمه•

ب ــ في النصف الثاني ليوم ٦ ــ ٦ ، وبعد اختراق العدو لقطاع جنين رغم تدعيمه باللواء ٤٠ مدرع ونجاح العدو في الاختراق شمال القدس واتجاهه الى أريحا ، أصبح الموقف واضحا في اننا نواجه أحد أمرين :

اما الاستمرار في القتال وهذا يعني امكان وصول العدو الى منطقة الوادي شمال البحر الميت وتطويق القوات الاردنية بالكامل ، أو الانسحاب الى الضفة الشرقية •

وكان الرأي الثاني هو الحل المعقول عسكريا ، وعليه فقد صدرت التعليمات لجميع الوحدات بذلك •

الا انه خلال ليل ٦ ــ ٧ صدر قرار مجلس الامن بايقاف القتال ، وكان هناك أمل في تطبيق هذا الامر من ناحية العدو نتيجة للضغط

السياسي عليه ، وبناء على ذلك فقد عاد الامل يراودنا في الاحتفاظ بمعظم الضفة الغربية والقدس والتي كان قرار الانسحاب منها يعز علينا جميعا ، وعليه فقد صدرت الاوامر بالغاء الامر الاول سعت ٠٢٣٥ ي ٦/٧

وما حدث بعد ذلك كان عكس ما تمنينا ، واستمر العدو في القتال بغية الوصول الى الوادي مما اضطرنا الى تأجيل أمر الانسحاب الى اليوم التالي ٦/٧ ، وهذا أحدث خسائر أكبر في القوات الاردنية وخصوصا في لواء حطين الذي تكبد خسائر كبيرة أثناء انسحابه نهارا تحت قصف جوي عنيف .

الا انني أرى ان التضحية كانت تساوي الامل الذي كان يراودنا .

الدروس المستفادة من المعركة

١ ـ ان خوض معركة مع العدو يلزم التنسيق والتحضير المسبق ، والذي حدث هو ان القيادة العربية الموحدة التي كانت قائمة بهذا العمل قد شلت أيديها قبل المعركة بحوالي سنة ، وعليه لم يكن هنا تنسيق بالمعنى المفهوم ، ولم يكن هناك تجهيز لمسرح العمليات بشكل مقبول ، والقيادة المتقدمة التي شكلت قبل المعركة بأيام لم يكن في وسعها أن تفعل أكثر مما فعلت ، وهذا خطأ بيِّن للسياسة العربية التي جنت على الجندية العربية قبل أن تجني عليها اسرائيل .

٢ ـ لا معركة بدون دفاع جوي ومعاونة جوية مقبولة وما يلزمها من تجهيز مطارات ومواصلات ، وقد خاضت القوات الاردنية والعراقية المعركة ببسالة منقطعة النظير ، ولكن ذلك لا يكفي . واني على يقين من انه

لو أمّن للوحدات أقل ما يمكن من الغطاء الجوي والمعاونة الجوية لأخذت المعركة شكلا آخر •

٣ ــ تشكيل القوات الاردنية ينقصه الدفاع الذاتي البعيد ضد الدرع ، فمدفع ١٠٦ ممتاز ولكن مداه محدود ، ويجب أن يدخل ضمن تشكيل اللواء المشاة مدفع م/د طويل المدى ، ويستحسن أن تدخل الدروع ضمن تشكيل اللواء المشاة بما لا يضطرنا الى دعمها أثناء المعركة بأسلحة مضادة للدبابات وفرط عقد لواءات الدروع •

٤ ــ تشكلت القوات الاردنية من ألوية خصصت جميعها لقيادة الضفة الغربية مما أدى الى تعامل هذه القيادة مع سبعة ألوية ، وهو أمر غير عملي • يجب انشاء قيادة مجموعة ألوية أو قيادة فرقة لكل ثلاث لواءات لتكون مسؤولة عن تنسيق عملها على المحاور المختلفة •

٥ ــ كثر انقطاع المواصلات أثناء المعركة ، مما أدى الى فقدان السيطرة في كثير من الاحيان ، وفقدان السيطرة معناه فقدان المعركة ، لذا يجب اعادة دراسة وسائل الاتصال المباشر وتدعيمها بشبكات تبادلية واحتياطية •

٦ ــ يلزم النظر في تكوين احتياطات عامة للقيادة الاردنية في وحدات المدفعية ووحدات المهندسين وبخاصة وحدات الموانع والالغام المتحركة التى يمكن دفعها للقطاعات المهددة أثناء المعركة •

سري للغاية

فريق

قائد مركز القيادة المتقدم بعمان

(عبد المنعم محمد رياض)

دار الكاتب العربي
للتأليف والترجمة والنشر
بيروت - بناية عمر الخيام - ص.ب ٣١٥٧
هاتف ٢٩١١١٨ - ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

اوفست كونروغرافير
قماطي ودكروب
بيروت ـ تلفون ٢٩٢٣١١